عروبة مصر

اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

■ اليسار / العدد الثالث والتسعون/ نوفمبر ١٩٩٧ م / رجب ١٤١٨ هـ / الثمن جنيهان مصريان ■



ترعة السلام و ضياع مياه النيل

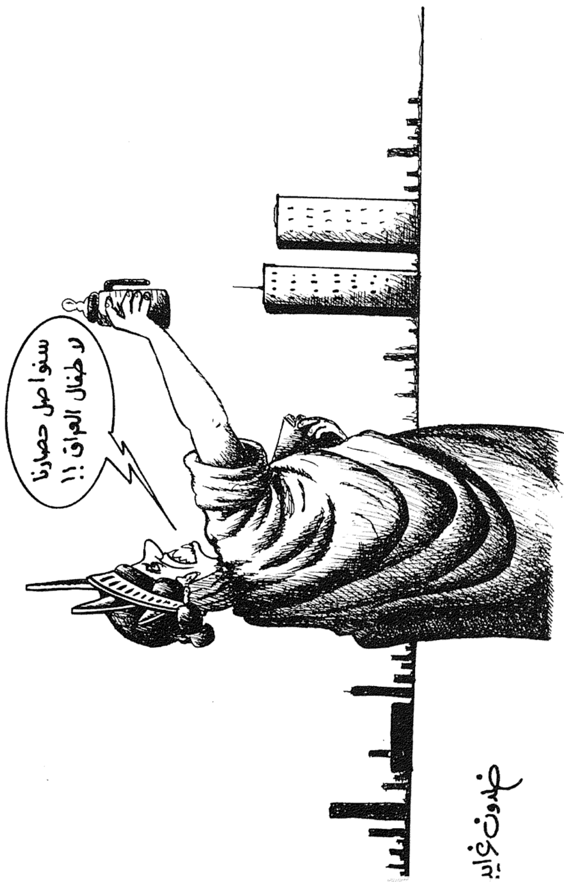
الجبهة القادمة فى حرب نتنياهو

الباعة الجائلون فى الموسكى

العشائر تسيطر على الأنتخابات فى الأردن

كارثة بيع بنوك القطاع العام فى مصر

الثورة الكوبية تلقى ظلالها على جولة (كلينتون) اللاتينية



إهـــــداء ٢٠٠٦

المرحوم / يوسف درويش

القاهرة

فى هذا العـــدد

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق
المستشارون
ابراهيم بدراوى
أحمد نبيل الهلالى
د. خليل حسن خليل
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
عادل غنيم
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمد وفاء حجازى
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSARIKARIM
EL DAWLASTTALAAT
HARB SQ
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر: ٢٤ جنيها للأفراد و٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.
الادارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX : 5786298

اليسار حر

جماعة أصدقاء اليسار .. العام الثالث

فى بداية العام الثالث لجماعة أصدقاء اليسار، إلتقى بقاعة د. فؤاد مرسى بمقر حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى يوم الأحد ١٢ أكتوبر عدد من أعضاء الجماعة لبوا دعوة مجلس المستشارين ورئيس التحرير. فى بداية الاجتماع قدم رئيس التحرير تقريراً عن الأوضاع التحريرية والصحفية والاتجاهات السياسية لمجلة اليسار. ودار حوار طويل صريح وجاد انتهى إلى التأكيد على عدد من الاتجاهات الاساسية للمجلة، والاتفاق على ضرورة اعادة تشكيل هيئة التحرير من عدد الشباب الجديد المتحمس لليسار، وتطوير «الماكيت» اعتبارا من بداية العام الجديد ، وتطوع الفنان **أحمد فؤاد سليم** والناقدة التشكيلية **فاطمة اسماعيل** للاشراف على هذا التطوير. وفى مقابل الحاح البعض على ضرورة اعطاء اهتمام أكبر بقضايا الفكر الاشتراكى ومشاكله والاتجاهات المستقبلية فيه ، والقضايا النظرية عامة ، أكد آخرون ضرورة أن لايكون ذلك على حساب المتابعة الشاملة لقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية محليا وعربيا وعالميا التى تميزت بها اليسار.*

وانتقل الحوار بعد ذلك إلى الأوضاع المالية ، والتى بسببها عقد أول لقاء لأصدقاء اليسار وتكونت جماعة أصدقاء اليسار عقب توقفها الاضطرارى فى أكتوبر ١٩٩٥ . كانت **الملاحظة الأساسية أن المساهمة المالية لأعضاء الجماعة والتى أدت لمعاودة ليسار للصدور فى يناير ١٩٩٦ ومرور عام ٩٦ كله بلا مشاكل ، لم تكن على نفس المستوى أو الحماس ما أدى إلى وجود مصاعب مالية فى العام التالى (١٩٩٧)**. وتقدم د. رفعت السعيد بعدد من الاقتراحات ، وعرض بعض الزملاء أفكارا لمعاودة الاتصال بأعضاء الجماعة الغائبين عن الاجتماع ، وبادر آخرون بدفع تبرعات فورية ما يعطى الأمل فى توفير المساهمة المطلوبة لانتظام اليسار عام ١٩٩٨.

بالطبع لايتوقع أن تنعكس الأفكار والاقتراحات التى قيلت فى هذا اللقاء بصورة فورية على هذا العدد الذى تم تجهيز مادته - أو أغلبها - قبل الاجتماع ومع ذلك فنعتقد أن العدد لايبعد كثيرا عما طرح من الأعضاء .

فمثلا ناقش الأعضاء غياب الحوار من صفحات اليسار . بالصدفة هناك ٣ موضوعات فى هذا العدد تشتبك مع موضوعات منشورة فى العدد السابق (أو العدد الأسبق) . فالدكتور **عبد العظيم أنيس** بعد عودته من كندا - ينقد عدد أكتوبر وخاصة مساهمات **د. أحمد محمد صالح ، ونبيل زكى وأحمد يوسف ، وفريدة النقاش** تناقش الموقف من العرب شعوبا وحكومات كما عبر عنها **خليل عبد الكريم ود. أحمد محمد صالح** فى العدد الماضى .

ويكتب **محمد نعمان نوفل** حول « حزب السبعينين» استجابة لدعوة **صلاح عيسى** فى العدد الماضى.

فى الساحة الداخلية تحدد الافتتاحية موقف اليسار من المرحلة القادمة من بيع وتصفية القطاع العام(الخصخصة) وتحديدا من بيع أحد بنوك القطاع العام التجارية الكبرى ، وتثير تساؤلات هامة حول موضوع ترعة السلام وتوصيل مياه النيل إلى سيناء . ويكتب **عريان نصيف** عن كارثة صالحجر ، **وخالد البلشى** عن الزراعة المصرية فى ضوء اكتمال تطبيق القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ ، ويقدم **سامر سليمان** رؤية ثاقبة لمشكلة الباعة الجائلين فى الموسكى ومن خلاله لظاهرة تضخم القطاعات غير المنظمة فى المجتمع ، وتعرض **نادية رفعت** واقع الطفل المصرى من خلال كتاب د. عماد صيام ، ويكتب **محمد جمال إمام** عن واحد من ألمع قادة الحركة العمالية النقابية فى مصر(أحمد فهيم).

فى الساحة العربية تقدم رسائل القدس وحيفا وعمان ودمشق متابعة للأحداث فى المشرق العربى وخاصة قضية الصراع العربى الإسرائيلى . ويغيب عن هذا العدد الزميل **حسين العودات** (دمشق) ونأمل أن يعوض غيابه الاضطرارى فى العدد القادم.

فى الساحة الدولية يتابع **سمير كرم** رحلة كلينتون فى أمريكا اللاتينية وتكتب **نجلاء العمرى** (بعد غياب) عن الصراع الفرنسى (الأوربى) الأمريكى ويضيف **أحمد الخميسى** فصلا جديدا فى قضية الصراع على رئاسة الجمهورية فى روسيا ، ويقدم **نبيل يعقوب** عرضا لمؤتمر الحزب الديمقراطى المسيحى فى ألمانيا.

هذا بالاضافة إلى الأبواب الثابتة التى يغيب عنها لأول مرة منذ ظهوره " فنون تشكيلية" التى تحرره الناقدة الصديقة « **فاطمة اسماعيل**» التى نجحت فى جعل هذا الفن جزءا أساسيا من اهتمام قراء « اليسار» .**لقد انتظرنا الموضوع حتى الساعة الخامسة والعشرون كما يقال ، واضطررنا لدفع العدد للمطبعة من دونه بعد أن أصبح العدد مهددا بالتأخر عن موعده** . ونأمل أن يكون المانع خير وأن لانضطر بعد ذلك للاعتذار عن القارئ على غيابه.

ختاما لابد من الاعتذار للدكتور **خليل حسن خليل** شفاه الله والأستاذ **عادل غنيم** على خطأ وقع فى العدد الماضى ، فقد أخطأت المطبعة ونشرت أسماء مجلس المستشارين القديم وبالتالى غاب اسميهما عن المجلس . فعذرا.

اليسار

موقفنا

كارثة بيع بنوك القطاع العام

حسين عبد الرازق

لم يعد هناك شك فى أن جريمة بيع أحد بنوك القطاع العام التجارية الأربعة (**الأهلى -مصر- القاهرة- الاسكندرية**) ستتم فى العام القادم وقبل نهاية سبتمبر ١٩٩٨ تحديداً. فقد أعلن «**هوارد هاندى**» رئيس بعثة صندوق النقد الدولى» التى تزور القاهرة حاليا للقيام بالمراجعة الدورية لبرنامج «**الإصلاح الاقتصادى**» المتفق عليه بين الحكومة المصرية والصندوق، أنه **سيتم خصخصة أحد البنوك التجارية العامة واحدى شركات التأمين العامة خلال العام القادم-** وهو العام الاخير فى برنامج الإصلاح المتفق عليه مع الصندوق منذ عام ١٩٩١ وهو القرار الذى تأجل تنفيذه عام ١٩٩٧ لحين اجراء التغيير التشريعى المطلوب. وأضاف ممثل الصندوق **انه سيتم أيضا خصخصة بعض الموانى قبل نهاية مارس ١٩٩٨، ومشاركة القطاع الخاص فى أحد المطارات الاقليمية، ويتم الانتهاء قريبا من خصخصة إحدى شركات نقل البضائع.**

وقد نشرت تصريحات «**المندوب السامى**» والتى تبشرنا بالكارثة يوم الجمعة ١٧ اكتوبر ١٩٩٧ فى صحيفة **الأهرام** تحت عنوان «خصخصة الموانى والمطارات والبنية الأساسية قبل نهاية مارس المقبل- خصخصة البنوك المشتركة تمت بنجاح مما يشجع بيع بنك تجارى عام». **وهكذا تبين الخط الأبيض من الخط الأسود، وتأكد ان بدء بيع بنوك القطاع العام الاربع سيصبح حقيقة واقعة اعتبارا من العام القادم، رغم نفى رئاسة الجمهورية والحكومة لهذا الخبر طوال السنوات الاربع الماضية**. فقد جاء الخبر هذه المرة على لسان أصحاب القرار الحقيقى الذين يعرفون كل كبيرة وصغيرة فى اقتصادنا ويقررون متى يتخذ هذا القرار ومتى يأجل ويراجعون تصرفات الحكومة كل ستة أشهر.

لقد طرح موضوع بيع البنوك وشركات التأمين ضمن تعهد الحكومة ببيع وتصفية القطاع العام فى خطاب النوايا المقدم من الحكومة إلى صندوق النقد تحت عنوان «**مذكرة حول السياسة الاقتصادية للحكومة المصرية**» فى أبريل ١٩٩١ والذى تم على أساسه توقيع أول اتفاق بين الحكومة والصندوق لتنفيذ البرنامج المعروف ببرنامج الإصلاح الاقتصادى.

وفى المرحلة الثانية لهذا البرنامج والقائم على الاتفاق الثانى مع الصندوق فى سبتمبر ١٩٩٣ تعهد ببيع أحد بنوك القطاع العام الأربعة قبل حلول عام ١٩٩٥، ضمن المرحلة الثالثة من مراحل الخصخصة والتى تشمل بيع البنوك وشركات التأمين وصناديق التأمين والمعاشات.

وتأجل البيع نتيجة لتعثر بيع القطاع العام. ولكن الحكومة قطعت تعهدا نهائيا فى الاتفاق الثالث الذى وقع فى أكتوبر ١٩٩٦ وينتهى تنفيذه فى سبتمبر ١٩٩٨ ببيع احد بنوك القطاع العام الكبرى بعد الانتهاء من بيع البنوك المشتركة .كما تعهدت الحكومة باعطاء **القطاع الخاص «المحلى والأجنبى»** حق تملك المشروعات ذات المنفعة العامة (الطرق السريعة -الخدمات- المرافق العامة- محطات الكهرباء- المياه- التليفونات- المطارات) والتنازل عن حق الدولة السيادى فى فرض وتحصيل الضرائب.

واذا كان بيع القطاع العام- الرابح خاصة- جريمة فى حق الوطن، فلابد من البحث عن تعبير أدق وأبعد من كلمة جريمة لوصف بيع أحد بنوك القطاع العام الكبرى.

ولكى ندرك خطورة هذا القرار وأبعاده الكارثية، استأذنكم فى نقل هذه الأرقام من **التقرير السنوى للبنك المركزى المصرى** الخاص بالتطورات النقدية والائتمانية للعام المالى ١٩٩٦/١٩٩٧.

* يقول التقرير إن قيمة الودائع بالبنوك المصرية وصلت إلى٦ر٢٠٠ **مليار جنيه**



حسنى مبارك

مصرى، وأن ٨٠٪ من هذه الودائع كانت من نصيب بنوك القطاع العام الاربعة(الأهلى- مصر، القاهرة- الاسكندرية).

*وأن مجموع المراكز المالية للبنوك- بخلاف البنك المركزى وصل إلى٣٠٢ مليار جنيه مصرى كان نصيب بنوك القطاع العام الاربعة منها١٦٣٫٢ مليار جنيه بنسبة ٥٤٪.

* وان بنوك القطاع العام الاربعة اسهمت بنسبة ٥٠٪ من اجمالى القروض فوصل إلى٧٦٫١ مليار جنيه من اجمالى القروض ١٥٢٫٢ مليار جنيه.

وأن استثمارات البنوك فى أذون الخزانة والاوراق المالية وصلت إلى ٥٣٫١ مليار جنيه ساهمت فيها بنوك القطاع العام الاربعة بـ ٣٣٫٣٨٥ مليارجنيه بنسبة ٦٢٫٨٪.

وتسلم الدولة كل هذه الثروات الهائلة للقطاع الخاص- الأجنبى خاصة- لالشئ الا خضوعا لتوجهات وقرارات المؤسسات المالية الدولية. تسلم مدخرات المصريين للأجانب ولرأسمالية محلية متوحشة بدون منطق أوسبب. وعندما نقول مدخرات المصريين لا نستخدم تعبيرا بلاغيا، بل استنادا إلى ارقام واردة فى تقرير البنك المركزى أيضا. يقول التقرير إن القطاع العائلى (المواطنون) قدم ٦١٫٥٪ من ودائع البنوك ، وأن القطاع العام(وهو أيضا من أموالنا) قدم ٢٧٫٥٪ من هذه الودائع. بينما لم يقدم قطاع الاعمال الخاص إلا ٩٫٩٪ ، وقطاع العالم الخارجى ١٫١٪ فقط.

وبنك الاسكندرية وهو أصغر البنوك الاربعة ، وهو المرشح للبيع أولا، تبلغ ميزانيته السنوية ٢٠ مليار جنيه(٢٠ الف مليون) وتبلغ الودائع فيه(١٤٫١)مليار جنيه . وساهم باستثمارات قدرها خمسة مليارات جنيه . ويدعم ٧٢ مشروعا رؤوس أموالها ١١ مليار جنيه ، ووزع ارباحا فى العام الماضى ٥٠ مليون جنيه. وقد نشر الزميل محمود المراغى هذه الارقام فى مجلة روزاليوسف(٢٩/٩/١٩٩٧).

ولن تقف الكارثة عند هذا الحد فالحكومة قدمت للصندوق عام ١٩٩٣ تعهداً بدراسة خطة لدخول القطاع الخاص تدريجيا لشراء الهيئات الخدمية الاقتصادية مثل السكك الحديدية (المملوكة للدولة منذ انشائها فى ظل الاحتلال البريطانى، وكانت مصرثانى دولة تدخلها السكك الحديدية فى العالم) والبريد والنقل العام والشحن الجوى (مصر للطيران) وقناة السويس. وأكد هذا الاتجاه اكثر من مسئول مصرى، وأن ذلك لن يتم قبل نهاية هذا القرن.

باختصار انهم يبيعون الوطن بلا ثمن.

وما أعجبه من إصلاح اقتصادى!.

ترعة السلام.. وضياع مياه النيل

مياه النيل!

من المفروض أن تكون مياه النيل قد وصلت إلى سيناء منذ أيام عبر«ترعة السلام» والتى تبدأ من فارسكور (محافظة دمياط) حتى قناة السويس، ثم تعبر تحت القناة إلى سيناء حتى تصل إلى جنوب العريش. ويصل طول «ترعة السلام» شرق القناة (فى سيناء)٨٦ كيلو متراً تقوم بنقل٢٫٨ مليار متر مكعب سنويا من مياه النيل العذبة من فرع دمياط، ومن«مياه المصارف العمومية المعالجة والصالحة للاستخدام».. وسيتم زراعة ٦٢٠ الف فدان جديد على مياه هذه الترعة، منها ٤٠٠ الف فدان فى سيناء.

وقد شاركت فى برنامج بالتلفزيون المصرى «دائرة الحوار» تحت عنوان«سيناء من التحرير إلى التعمير» مع عدد من المسئولين الحاليين والسابقين والخبراء والساسة والعسكريين والباحثين، وتعرض كثيرون بالضرورة «لترعة السلام» . ومن جانبى طرحت بعض المخاوف أو التساؤلات حول موضوع نقل مياه النيل إلى سيناء. ورغم ان عدداً من الحاضرين تفضل بالتعليق على كل ما أبديت من آراء- بما فى ذلك موضوع ترعة السلام- فما زالت تساؤلاتى ومخاوفى قائمة كما هى:

فما الحكمة فى نقل مياه النيل- الشحيحة أصلا-إلى سيناء، بينما هناك مصادر معروفة وثابتة للمياة فى سيناء. الامطار تسقط فى سيناء بكميات تتراوح بين ٥٠ مليمتر جنوبا الى ١٠٠ مليمتر شمالا،وهى كمية من مياه الامطار لا تسقط فى أى منطقة اخرى بمصر . وهناك مياه جوفية يقدرها بعض الخبراء بحوالى ٣٦ تريليون متر مكعب . فطبقا لما قاله د.البهى عيسوى فعندما رأى الرئيس مبارك خريطة مصر بالاقمار الصناعية لاحظ ان سيناء «صحراء ، وصحراء النقب الخاضعة للاحتلال الاسرائيلى خضراء»، وطلب تفسيرا لذلك. وقامت بعثة من الخبراء المصريين فى الفترة من ١٩٨٩ وحتى١٩٩٤ بدراسة المنطقة وحفر اكثر من بئر واستخراج كميات كبيرة من المياه ووصلت فى النهاية إلى توفر المياه الجوفية وتحددها نتيجة للامطار سنويا بهذه الكميات الهائلة.

وكما قال د. رشدى سعيد «وان سيناء ليست صحراء بطبيعتها، وانما هى صحراء صنعها الانسان»!!.

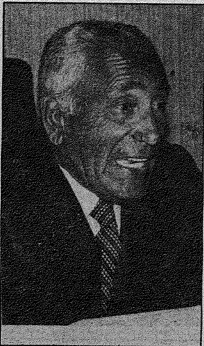
ويتم نقل مياه النيل بينما تعانى مصر من عجز واضح فى المياه.فنصيب مصر من مياه النيل ٥٥٫٥ مليار متر مكعب ، بالاضافة إلى١٫٤ مليار متر مكعب من أمطار الساحل الشمالى، و٤٫٦ مليار متر مكعب من اعادة استخدام مياه الصرف لأغراض الرى يتوقع زيادتها إلى٧٫٦ مليار عام ٢٠٠٠ .

وتستهلك مصر هذه الكمية تماما. وينتظر أن يزيد استهلاكنا إلى ٧٢ مليار متر مكعب مع بداية القرن العشرين. وطبقا لهذه البيانات الرسمية فان نصيب الفرد من المياه حاليا ٩٠٠ متر مكعب سنويا، وهو يقل عن حد الفقر المائى(حد الفقر المائى ١٠٠٠ متر مكعب) ويتوقع أن ينخفض إلى ٧٥٠ متراً مكعباً مع بداية القرن ٢١ .وتسجل مذكرة وزارة الاشغال والموارد المائية المقدمة لمجلس الوزراء أنه«.. من المقدر أن مصر سوف تعانى من عجز مائى حقيقى بدءا من نهاية العقد الأول للقرن القادم».

فى ضوء هذه الحقائق من واجبنا أن نقلق ونشعر بالخطر من الإصرار على نقل مياه النيل إلى سيناء . خاصة فى ضوء قضيتين أساسيتين:

الأولى.. تتعلق بمخاطر التواجد الصهيونى الاسرائيلى على أرض سيناء.

هيكل.. كشف المؤامرة



ترعة السلام.. وضياع

فالاستيطان الزراعي يمثل أولوية بالنسبة للمطامع الاسرائيلية في المنطقة. وسياسات الحكومة المصرية تصب في هذا الاتجاه.

لقد وقع د. **يوسف والى** نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة ونظيره الاسرائيلى فى ديسمبر ١٩٩٢ «**يعقوب تسور**» بروتوكولا ينص على إقامة إسرائيل «مجمعات زراعية في الأرض المصرية المستصلحة بمعرفة خبراء اسرائيليين وعماله مصرية «**وخاصة في مساحة ٥٠ ألف فدان في سيناء**».

وتلى ذلك اتفاق وفد رجال الأعمال المصريين ونظرائهم الاسرائيليين في أكتوبر ١٩٩٣ بمدينة القدس، على الاستثمارات المشتركة في سيناء.

واتخذ مجلس الوزراء قراراً بإلغاء قراره السابق بعدم السماح للأجانب باقامة مشروعات تنموية في سيناء بحكم طبيعتها الخاصة بالنسبة للأمن القومي، متجاهلا تقرير مجلس الشورى عن المشروع القومي لتنمية سيناء-لأن سيناء هي حزام الأمن لمصر-ويجب أيضا وضع ضوابط دقيقة للاستثمارات الأجنبية في المنطقة».

وطبقا للمشروع القومي لتنمية سيناء فستخصص ٨٠٪ من الأراضي المستصلحة في سيناء بواسطة ترعة السلام للمستثمرين.. و **الاحتمال الارجح أن يكون أغلبهم من الاسرائيليين والصهاينة.**

* **الثانية .. خطر نقل مياه النيل إلى النقب في اسرائيل** فما زلنا جميعا نتذكر الفكرة المجنونة التي طرحها الرئيس الراحل «**أنور السادات**» بنقل مياه النيل إلى إسرائيل، أثناء المباحثات التي تلت زيارته للقدس المحتلة وصولا إلى كامب ديفيد واتفاقية الصلح بينه وبين **بيجن**. وقد اشار اليها **بريجينسكى** مستشار الأمن القومي الأمريكي في كتابه «**القوة والمبدأ**»ود. بطرس غالى في مذكراته«الطريق إلى القدس» **ومحمد حسنين هيكل** في كتابه«عواصف الحرب وعواصف السلام».

وللأسف فما تزال هذه الفكرة مطروحة حتى اليوم، على الأقل من جانب إسرائيل. فقد قدمت للحكومة المصرية مشروعا محددا اقترحت فيه نقل مياه النيل إلى الى النقب دون أن يؤثر ذلك على الموارد الرئيسة لمصر ولا لباقي دول حوض نهر النيل» قائلة إنه يوجد فائض مياه مهدر في البحر المتوسط، وأنه بالتعاون بين الخبراء الاسرائيليين لترشيد عمليات الرأى، يمكن توفير حصة كافية من المياه تنقل إلى اسرائيل.

مرة أخرى.. ما الحكمة من نقل مياه النيل إلي سيناء.

من هنا وهناك


كمال الجنزورى

** تعرض تقرير الشال الاقتصادي لمعدلات النمو في الدول العربية وحصة هذه الدول من التدفقات الأجنبية. **ومن المهم مقارنة الارقام التي ذكرها بما يذيعه علينا د. كمال الجنزوري وحكومته من بيانات وردية.**

يقول التقرير إن معدلات **النمو الحقيقية للناتج المحلي الاجمالي في عام ١٩٩٦ في الدول العربية** كان على النحو التالي:

موريتانيا ٧٪ تونس ٦٫٩٪ الاردن ٥٫٢٪ مصر ٤٫٩٪

السودان ٤٫٧٪ اليمن٤٫٥٪ الجزائر٤٫٤٪ الامارات والسعودية وعمان والكويت ولبنان والمغرب ٤٪.

والمطلوب من د. الجنزوري أن يفسر لنا«المعجزة المصرية» التي تجعل معدل النمو في مصر مماثلاً للسودان واليمن والجزائر وأقل من الاردن وتونس وموريتانيا!.

ويقول التقرير أيضا أن نصيب الوطن العربي كله من تدفقات رأس المال الأجنبي المباشر (الاستثمارات المباشرة) عام ١٩٩٤ بلغ نحو ٤٫٢ مليار دولار أمريكي ويمثل ١٫٩٪ من جملة التدفقات في ذلك العام.

وانخفض نصيب الوطن العربي في عام ١٩٩٥ إلى ٣٫٢ مليار دولار أمريكي وبنسبة ١٪ من جملة التدفقات العالمية والتي بلغت ٣١٥ مليار دولار.

وفي عام ١٩٩٦ ورغم ارتفاع الدفقات العالمية إلى ٣٢٧ مليار دولار لم يزد نصيب العالم العربي عن ٣٫٣مليار دولار ، بنسبة ١٪ أيضا.


الملك الحسن

** الغت **الحكومة المغربية «الندوة الاوروبية المتوسطية»** التي كان مقررا عقد دورتها الثامنة في مدينة مراكش بالمغرب يومي ٣٠ و٣١ أكتوبر ١٩٩٧ بحضور وزراء الصناعة من ٢٧ بلدا. وقد أرجأت الحكومة المغربية الندوة إلى موعد غير محدد نظرا لمشاركة اسرائيل في هذه الندوة بوفد يرأسه وزير الصناعة والتجارة «**ناتان شارانسكي**».

وقالت المصادر المغربية أن حضور وفد إسرائيلي إلى المغرب في هذه المرحلة أمر غير مناسب في ظل الأزمة الفلسطينية الاسرائيلية وقرار حكومة نتنياهو السماح بالاستيطان في القدس الشرقية.


عمرو موسى

** نفى الناطق الرسمي باسم **وزارة الخارجية المصرية** أن تكون القاهرة قد اعطت أي تعهد بالمشاركة في**مؤتمر الدوحة الاقتصادي**» وقال ان مشاركة مصر مرهونة بتغيير السياسة الاسرائيلية من عملية السلام».

وأضاف المتحدث الرسمي أن هناك «محاولة لاصطناع تقدم في عملية السلام، خصوصا على المسار الفلسطيني، للاستناد إليها في دعوة الاطراف العربية إلى المشاركة في المؤتمر . فالحديث عن استئناف المفاوضات واجتماعات اللجان ولقاءات مزمعة في واشنطن هو حديث عن اجراءات وليس تقدما. **إن التقدم الذي يدفع نحو المشاركة في المؤتمر ، هو التقدم الحقيقي الذي يعني تغيير السياسات والمفاهيم والممارسات الاسرائيلية التي تعرقل عملية السلام.. ان السياسات الحالية لا تهدف إلى تحقيق سلام عادل وشامل ونهائي ، بل إلى ضمان احتلال آمن».**

هوامش

على

دفتر الحياة

قراءة نقدية لليسار



يوسف شاهين

د. عبد العظيم أنيس

*** هناك أجهزة فى الدولة الجزائرية لا تريد حوارا بين الدولة وبعض الاجنحة المعتدلة من «الإسلاميين».**

*** ليس كل المصريين فى الخليج ملائكة.. وليس كل أهل الخليج والسعودية شياطين!**

عدت من رحلتى العلاجية خارج مصر لأجد عدد« **اليسار**» الأخير فى انتظارى ، وبالطبع قرأت محتويات العدد باشتياق كبير، ثم عدت لقراءة متأنية لبعض مقالاته، وقد خطر فى بالى وأنا أفكر فى مساهمتى بعدد نوفمبر أن أبدأ بكتابة بعض ملاحظات عنت لى إثر قراءة عدد أكتوبر.

والملاحظة الأولى تتعلق **بخلو العدد تماما من بعض القضايا الفكرية والنظرية التى كانت أعداد «اليسار» تحفل بها بين الحين والآخر فى أعداد سابقة**. فكل مادة العدد تتعلق بقضايا راهنة داخلية أو خارجية مثل جولة أولبرايت فى الشرق الأوسط، وقضية مصادرة الكتب بمعرفة مجمع البحوث الاسلامية ووزارة الداخلية، واجتماع المؤتمر البرلمانى الدولى فى القاهرة والخلافات العربية فى داخله، ومثل الهجمة الشرسة الجديدة من الدولة وملاك الأراضى على صغار الفلاحين من المؤاجرين ، ومثل مقال **نبيل زكى** من الجزائر، ومقال **د. أحمد محمد صالح** بعنوان «ماما السعودية» ،ومقال **أحمد يوسف** عن فيلم« المصير» ليوسف شاهين.. إلخ.

وليس عيبا أن تشغل الأحداث الراهنة معظم صفحات «اليسار» ما دام تحليل هذه الأحداث عميقا ووافرا بالمعلومات ، لكن الاهتمام بالقضايا الفكرية التى تعمق أيضا نظرتنا إلى العالم الذى يحيط بنا، ومن فهمنا لما يجرى فى الوطن العربى عموما ومصر خصوصا مطلوب ، وهذا ما خلت منه«اليسار» فى عددها الأخير. وقد لاحظت وأنا أتابع بعض المجلات الشهرية فى الخارج(وبعضها ذات توجه غير يسارى) اهتمامها باثارة عدد من القضايا الفكرية ذات الأهمية الراهنة مثل **قضايا العولمة وطبيعة النظام «الليبرالى» الجديد** الذى يقود صندوق النقد الدولى والبنك الدولى توجهاته العالمية ، أو مثل النقاش الحاد الدائر فى بعض الدول المتقدمة عن **مستقبل الماركسية**، وقضايا وتوجهات ما يسمى«**ما بعد الحداثة**» وأثر هذا التوجه على قضايا السياسة والفكر بل والنقد الأدبى.

الملاحظة الثانية تتعلق بانطباعات خرجت بها من قراءتى لبعض المقالات ومنها على وجه الخصوص مقال **نبيل زكى «من هم القتلة فى الجزائر»**، ثم مقال **د. أحمد محمد صالح «ماما السعودية»،ومقال أحمد يوسف عن فيلم«المصير» ليوسف شاهين».**

وأبدأ القول بأن الصديق **نبيل زكى** هو فى رأيى واحد من أبرز الكتاب والصحفيين المصريين فى تعليقاته ومقالاته فى الشئون العربية والخارجية. ولذلك أحرص دائما على قراءة تلك المقالات وأحس أننى استفيد منها فائدة كبيرة، وهو لا يعتمد فقط على التعليق المباشر على الأحداث وإنما يدعم فى العادة تلك التعليقات بقراءات أوسع عن الموضوعات التى يتناولها ولذلك أقبلت على قراءة مقاله عن الجزائر بهذا الشوق الذى تعودته.

لكنى خرجت من القراءة الأولى للمقال بأنه غير متوازن فى تناوله لموضوع الجزائر المعقد والمتشابك، وقد توحى بعض الجمل الواردة فى المقال بأنه يحاول تبرئة السلطة الجزائرية تماما من مسئولية المجازر الوحشية التى وقعت فى الجزائر.

وليس هناك خلاف على أن «**الجماعة الإسلامية المسلحة**» والتي تعرف اختصارا باسم «**الجيا**» مسئولة تماما عن كثير من هذه المجازر الوحشية ، وهي نفسها معترفة بهذا ، ومن الضرورة إدانتها كجماعة اجرامية ترتكب أبشع المجازر الوحشية باسم الدين.

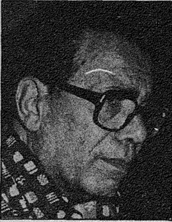
لكن الخلاف يبدأ حول **دور بعض الأجهزة العسكرية في الدولة في بعض المذابح تلك** وليس المقصود هنا أن الحكومة قررت تدبير مذابح أو أن هذا تم بعلم وموافقة **الأمين زروال** ولكن الواقع أن هناك أجهزة في الدولة تتصرف بمفردها تحت حسابات خاصة، منها مثلا أنها **لا تريد حوارا بين الدولة وبعض الاجنحة المعتدلة في الاسلاميين**، وليس هذا ما تجمع عليه كافة صحف الغرب فحسب، وإنما هناك شواهد عديدة تدعم هذه الشكوك. إن من المعروف مثلا أن مدينة «**بليدة**» التي لا تبعد عن العاصمة الجزائر إلا بعدد محدود من الكيلومترات هي مركز تجمع عسكري كبير للجيش الجزائري، ومع ذلك تمت فيها المجازر الوحشية دون أن يتحرك الجيش الجزائري للنجدة. ومن المعروف أيضا أن بعض المناطق التي وقعت فيها تلك المجازر الوحشية هي مناطق صوتت بكثرة غالبة للاسلاميين في انتخابات سنة ١٩٩٢ التي ألغاها ضباط الجيش!.

إن حقيقة الأمر أن «الجماعة الاسلامية المسلحة» ، وبعض دوائر الجيش الجزائري المستفيدة من الأوضاع الحالية ماديا ومعنويا يلتقيان في جر الجزائر إلى حالة الفوضى الشاملة التي لا تريد لأي حوار سياسي عاقل أن يتبلور، ولا تريد أن يصل الشعب الجزائري إلى حل ينهي هذا الوضع الرهيب.

ولقد تمنيت أن يبرز الصديق **نبيل زكي** أمرين في مقاله.. أولهما أن **النظام الحاكم في الجزائر ليس له شرعية حقيقية في الحكم سوى شرعية المدفع**. وهذا الوضع المحزن هو امتداد طويل حقيقي لأوضاع مزرية عانت منها الجزائر منذ الاستقلال، منذ أيقظ الضباط بن بيللا من نومه عام ١٩٦٥ واعتقلوه حتى اغتيالهم **بوضياف** - حديثا وهم الذين أتوا به - عندما وجدوا أنه يتجه إلى الحوار مع الاسلاميين!.

الأمر الثاني هو أن القسوة والعنف هما سمة تميز بهما الجزائريون على خلاف شعوب عربية أخرى، وهما صفتان تميزان بداوة الصحراء، وقسوة الأحوال في الجبال، وهما صفتان اكتسبهما الجزائريون أيضا نتيجة **وحشية الجيش الفرنسي في صراعه ضد حرب التحرير** ولعل هذا يفسر قيام الجزائريين بقتل الآلاف من أبناء الجزائر الذين كانوا يحاربون في صفوف الجيش الفرنسي، بعد انتصار الثورة، بل وقيام بعض أنصار الثورة بقتل زملائهم في صفوف الثورة لأنهم يشربون «الدخان» أو لأنهم يعتقدون بالماركسية.


أحمد يوسف


نبيل زكي

كان الصديق **الاخضر الابراهيمي** - سفير الجزائر السابق في مصر - يقول لي: أنتم تتحدثون عن الجزائر «بلد المليون شهيد» ، لكن نصف هذا المليون قتلناه نحن الجزائريين (وليس الفرنسيين).

***

ثم نأتي إلى مقال د. **صالح عن السعودية**. إنني لا أعتراض لي على فضح ما يحدث للمصريين في السعودية ، لا اعتراض لي من ناحية المبدأ على فضح القسوة والعنف والاذلال الذي يلجأ إليه بعض السعوديين في معاملة المصريين هناك. **لكن اعتراضي على تكرار الحديث عن هذا الموضوع في مجلة «اليسار» ، وعلى تصوير الموقف وكأن كل المصريين العاملين في الخليج ملائكة وكل أهل الخليج والسعودية شياطين.** فالحقيقة غير هذا، وقد عشت في الكويت ثلاث سنوات ونصف وأستطيع القول أن بعض المصريين يسيئون إلى سمعة مصر بتصرفاتهم إزاء أهل البلد أو إزاء زملائهم من المصريين. وهناك قصة الاستاذ الجامعي المصري الذي باع الامتحان في السعودية وحوكم هناك، ورحل إلى مصر ويداه مكبلتان بالقيود، وعشرات من القصص الأخرى التي أعرف أنها صحيحة. وإذا كان بعض الشباب الخليجي يتصرف في مصر تصرفات مسيئة فلا تنسى أن هذا الوضع هو **ثمرة من ثمرات الانفتاح - السداح مداح - والذي يعني أن من معه المال يستطيع أن يصنع في مصر أي شئ لأن الفساد ضارب بأطنابه في كافة أجهزة السلطة في مصر**، وهذه الحقيقة يوازيها أيضا أن العديد من الخليجيين في مصر يتعرضون - من جانب مصريين - للسرقة والنهب والابتزاز واستخدام الآلات الحادة ، بما في ذلك القتل أحيانا.

على أن أغرب ما طالب به د. صالح في ختام مقاله هو أن نطبق - بقانون خاص - نظام الكفيل على الخليجيين الذين يأتون إلى بلادنا (وبالمناسبة أضاف إليهم العراقيين في مقاله) أسوة بما يفعلونه هم بنا في بلادهم .. وينسى د. صالح أن المصريين يذهبون إلى الخليج بالالوف بحثا من عمل هناك، بينما الخليجيون الذين يأتون إلينا إنما يأتون للسياحة والترويح. وفي بلد يشجع السياحة بكل سبيل ليس من المعقول أن نطبق على الخليجيين نظام الكفيل.

لقد كتب د. صالح في هذا الموضوع من قبل ، ولا اعتراض لنا على ذلك. أما الالحاح في هذا الموضوع بمقالات أخرى في مجلة «اليسار» فأمر غير مفيد ولن يحل شيئا .

وهناك نقطة أخيرة تتعلق بمدى ملاءمة إثارة هذا الموضوع في الظرف الحالي، ونحن نبحث عن جبهة عربية تتبنى موقفا صحيحا من العدوان والعنت الاسرائيلي، ومن مؤتمر الدوحة المقبل في قطر. **والسعودية أخذت موقفا جيدا من هذا المؤتمر** . فلماذا ننتهز هذا الوقت لاثارة مسألة أن أحد الخليجيين ضرب ضابط شرطة، وهو حدث تمتلئ بأمثاله الصحف اليومية.

وأخيرا نأتي إلى مقال الصديق **أحمد يوسف** عن فيلم «المصير» ليوسف شاهين. وما أعجبني تماما في المقال أنه متوازن في نقد الفيلم، وعكس بعض التعليقات الاخرى التي قرأتها عن هذا الفيلم والتي لا تقول شيئا هاما سوى أنه فيلم «عظيم» أو أنه فيلم سيئ.

الهام في مقال **أحمد يوسف** أنه يلفت نظرنا في بصيرة نافذة إلى جوانب نقده للفيلم، وإلى النواحي الايجابية فيه.

وكما قال أحمد يوسف أن أكثر ما يلفت النظر إلى أعمال يوسف شاهين هو رغبته الجارفة أن يتحول إلى «مفكر»، وربما كان مصدر الضعف الأول في أعمال **يوسف شاهين** خصوصا إذا كان هو كاتب السيناريو، وهو

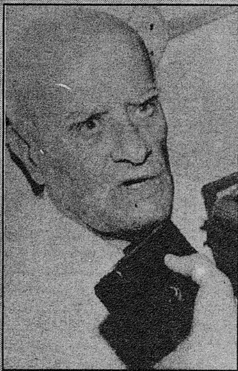
ليس على علم كاف لا بابن رشد ولا عصره.

وقد أراد يوسف شاهين أن يلخص فكره فى هذا الفيلم -كما يقول أحمد يوسف- فى كلمتين كما يلى: «هناك معركة ضارية بين صفوة المثقفين الذين يعشقون الحياة وينادون بالحرية والتنوير، والمتطرفين الذين يلعنون الحياة ويدعون إلى فرض الجهل والظلام، بينما تقف السلطة فى نهاية الأمر مع التنوير»

إن هذا بالضبط ما يمثل فكر «**التنويريين الجدد**» فى مصر الذين **قد اختاروا المهادنة مع السلطة بحجة أنها أرحم من هؤلاء الاسلاميين!!**

وهؤلاء «التنويريون الجدد» فى مصر يعتقدون أن التنوير يمس فقط حقوق المرأة وحرية الرأى. أما أن يكون لهم موقف معاد للصهيونية واسرائيل، مدافع عن حقوق الشعب الفلسطينى والأمة العربية، مؤيد لنضال حزب الله ضد الاحتلال الاسرائيلى لجنوب لبنان ولنضال حماس فى الأرض الفلسطينية المحتلة، أى أن يكون لهم موقف فاضح للنظام الحالى فى مصر فى تواطئه مع الولايات المتحدة والغرب وفى انحيازه إلى مصالح الاغنياء، من كبار ملاك الأراضى والرأسماليين المصريين والأجانب، وفى بيعه للقطاع العام للخواجات.. الخ. فأمر لا علاقة له بالتنوير فى ظنهم. وحتى لو كانت **السفينة تغرق وهى محملة بملايين الفقراء الذين ساءت أحوالهم إلى حد لا يوصف.. فأمر لا يخص هؤلاء التنويريين الجدد المشغولين إما بالبحث عن منصب حكومى مرموق، أو رئاسة تحرير مجلة من المجلات الحكومية، وهم قادرون على أن يديروا أبصارهم إلى الناحية الأخرى فلا يرون أن فى مصر فقراء بعشرات الملايين وأن مشاكلهم تفاقمت حتى بلغ السيل الزبى وأن صحف الحكومة مليئة بالاكاذيب عن الأوضاع فى مصر جنباً إلى جنب قصائد التفخيم والمديح للحكام وهى قصائد تذكرنا بالمرحوم «صالح جودت».**

إن ما لا يريد **يوسف شاهين** أن يراه -وهو أحد هؤلاء التنويريين- أن ما يحافظ على الأوضاع الراهنة فى مصر ليس حب شعب مصر لحكومته وإنما هو **ضعف المعارضة**، وانفتاح القطاع غير الرسمى فى الاقتصاد الوطنى وانتشار الفساد كظاهرة عامة فى المجتمع(وهما أمران يخففان من الضغط على بعض شرائح فى الطبقة الوسطى والشعبية) بالاضافة إلى تواطؤ التنويريين الجدد مع الحكومة، الأمر الذى خلق بلبلة واسعة النطاق لدى العديدين.



حيدر عبدالشافى

قابلت د. **حيدر عبد الشافى** فى غزة لأول مرة فى حياتى فى يناير ١٩٥٧ .. كان الاسرائيليون قد انسحبوا من القطاع بعد تدمير خط السكة الحديد بين بورسعيد والقطاع، وكنت أول صحفى مصرى يصل غزة بسيارة تاكسى من القنطرة وقضيت أسبوعا هناك ضيفا على **الاستاذ جمال الصورانى** فى منزله العامر ودعانى د. **حيدر إلى الشاى** فى منزله خلال ذلك الأسبوع. وفى شرفة هذا المنزل قضينا ساعات طويلة نناقش كل قضايانا السياسية معه ومع من دعاه من أبناء غزة فى هذه المناسبة ولا تزال حتى اليوم- بعد مضى أربعين عاماً- صورة هذه الشرفة - وهذا اللقاء ماثلة فى خاطرى تماما، وأظن أن شقيقه **صلاح عبد الشافى** كان معنا فى هذا اللقاء.

ومنذ ذلك الزمن لا أعتقد أننى قابلت د. **حيدر عبد الشافى** أكثر من مرة أو مرتين ربما فى القاهرة وربما فى دمشق. لكنى ظللت دائما أثق فى وطنيته وإخلاصه لشعبه ومصالح أمته. ولم أدهش عندما عرفت أنه حصل على أعلى الاصوات فى انتخابات المجلس التشريعى فى الأرض المحتلة، لأننى أعلم كم هو محبوب ومحترم فى القطاع، وفى الضفة الغربية كلها، ولكنى دهشت عندما علمت أنه ذهب إلى واشنطن رئيسا للوفد الفلسطينى فى مفاوضات مع اسرائيل، وإن كان قد صدم بعد ذلك عند اكتشف أنه بينما كان يفاوض باخلاص فى واشنطن، كان عرفات يدبر شيئا آخر فى أوسلو من وراء حيدر عبد الشافى، وأظنه قد تعلم شيئا من هذه الواقعة.

ولقد تذكرت د. **حيدر عبد الشافى** بمناسبة استقالته من المجلس التشريعى، ومن الواضح أنه فعل ذلك بعد أن يأس من مشاركة زملاء له فى المجلس فى هذه الاستقالة، وبعد أن يأس من أن يعمل عرفات شيئا فى التقرير الذى رفعه المجلس التشريعى له متهما أربعة من وزرائه بالفساد، فى مقدمتهم **نبيل شعث** -وزير التخطيط- الذى يحرص الامريكيون و الاسرائيليون على وجوده فى كل مناسبة تفاوض.

لكنى أثق أن د. **حيدر عبد الشافى** لن يكتفى بهذه الاستقالة وإنما سيسعى إلى العمل من أجل تآلف وطنى يضم كافة القوى الوطنية المستعدة لمواصلة النضال ضد اسرائيل ومن أجل دولة فلسطينية ديمقراطية تدافع عن مصالح العمال والفلاحين والطبقة الوسطى فى فلسطين.

مداخلات

عروبة مصر

بين د. أحمد صالح وخليل عبد الكريم





فريدة النقاش

هناك مدارس فكرية وسياسية متماسكة تقول بوجود أمة مصرية حضاريا وعرقيا تختلف اختلافا جذريا عن العرب وتنتمي تاريخيا للفراعنة أو لحضارة البحر الأبيض المتوسط مما يجعلها أقرب لأوروبا منها للعرب وقد بلغت أفكار هذه المدارس ذروة ثقافية في رسالة «**توفيق الحكيم**» إلى الرئيس الراحل «أنور السادات» بعد زيارته لاسرائيل سنة ١٩٧٧ التي حيا فيها لقاء المتحضرين (مصر وإسرائيل) ضد المحيط المتخلف من العرب والأعراب (البدو) . وقد جرت مناقشات علمية وأكاديمية كثيرة حول هذا الموضوع.

وقد أدهشني جدا مقالان في العدد الأخير من اليسار لا يقومان على شئ من ذلك ، أولهما **للدكتور أحمد محمد صالح** والثاني **للأستاذ خليل عبد الكريم**.

فأجأني مقال الدكتور **أحمد محمد صالح** في عدد أكتوبر من اليسار بعنوان **ماما السعودية**.. ودول الخليج إذ شممت فيه رائحة استعلاء مصري وهي مفارقة مدهشة لأن المصريين في بناء المقال كله هم الضحية لما أسماه بالاستعلاء «السعودي- الخليجي» والعربي عامة والعدوان على كرامة المصريين عامة وهو شئ لا تنكره الوقائع وإن كان التعميم هو أخطر ما فيه لأنه يؤدي لنتائج خاطئة . فقد وضع المقال مصر بقضها وقضيضها كما يقال في كفة والسعودية والخليج العربي بل والعرب جميعا في كفة أخرى كنقيضين «بعض العينات من مسلسل إهانات المصريين من العرب» فلا مفر اذن من الصراع بينهما ،وهو صراع يتخذ أشكالا سلوكية وسيكلوجية تصل لحد العداء الصريح يقول الكاتب:ومن يومها ونحن نحذر ونحذر أنه سيأتي وقت على مصر تهان فيه كرامتها من العرب داخل أرضها نفسها وقد كان.. »

وبعد أن يسوق الكاتب عدة وقائع يحدث مثلها في كل أنحاء العالم دون أن يكون المعتدي المتكبر سعوديا أو خليجيا ، أو يكون المعتدى مصريا ، بل ويحدث ذلك كثيرا بين المصريين أنفسهم ويعضهم البعض،**ولعل أشكال المهانة التي يتعرض لها المصريون- الفقراء غير المحميين في أقسام الشرطة بل وفي المكاتب الحكومية ومن رجال الأعمال الجدد و«أبناء الذوات»** أن تفوق كثيرا كل ما رصده من وقائع كبيرة وصغيرة نسبتها للسعودية والخليج والعرب المعتدين على ضحيتهم مصر.

بل وأدهشني أكثر أن د. أحمد محمد صالح يستخدم التحليل النفسي لوصف شعوب بأكملها فيها بحكم التركيب والتطور الطيب والخبيث، فيها المثقف والجاهل، فيها المتعصب والمتسامح شأن شعوب الأرض جميعا ، وإن كنا لا نختلف في أن الوفرة النفطية المفاجئة قد قلبت الموازين وشوهت المواقف والسلوكيات بصورة إضافية.

« فهم جميعا لديهم ورم نفسي اسمه مصر، يأتي الواحد منهم إلى مصر فيشتري فتاة صغيرة فقيرة ويتزوجها وهو يعتقد أنه يمارس الجنس مع مصر كلها ».

ورغم أن انتقاده لنظام الكفيل الاستعبادى القادم من القرون الوسطى هو انتقاد فى محله، ويحتاج هذا النظام المعادى لانسانية الانسان أن تخوض منظمات حقوق الانسان والحركات السياسية والديمقراطية عامة صراعا ممتدا ضده حتى يسقط، إلا أنه. **أحمد محمد صالح** ينسى أن **نصف المجتمع السعودى أيضا- وهم النساء مكبلات بمجموعة من النظم أشد وأقسى كثيرا من نظام الكفيل الذى يستعبد العاملين المهاجرين جميعا وليس المصريين فقط وهو يهدر حقوقهم مع آدميتهم.** بل إن نظام الرق لم يلغ فى السعودية إلا فى الستينيات، والشيعة فيها محاصرون ومضطهدون.

وفى السعودية كما فى دول الخليج كله شعوب **يكافح نفر من أشرف أبنائها وأكثرهم صلابة وثقافة فى ظروف صعبة من أجل تغيير هذا الواقع المزرى بما فيه من مخلفات قبلية وطائفية يؤيدها الاستبداد الملكى العائلى باسم الدين.**

والجدير بنا نحن المثقفين المصريين أن نرى واقع هذه البلاد فى كليته وصراعاته الضيقة المكتومة والعلنية ومظاهرها المشوهة التى ينتجها الاستبداد والفساد الواسع لنكون بذلك أقدر على فهم هذه الوقائع الجزئية ووضعها فى سياق مختلف عن الشوفينية والشوفينية المضادة التى تقوم بها النساء، والمثقفون التقدميون ومنهم بعض أبناء الطبقة الوسطى الجديدة التى لو دققنا فى الأمر قليلا سوف نجد أنها أخذت تطرح الأسئلة الجوهرية على الجزيرة العربية.

علينا أن نبصر الشعب المصرى بكل هذه الحقائق وبأن **الشعوب، شعوب، والملوك والأمراء، ملوك وأمراء هنا وهناك** وللعاملين المصريين الذين عاشوا فى الخليج تجربتهم الحلوة والمرة شأن كل تجربة إنسانية، ولهم علاقاتهم وصداقاتهم وعداواتهم التى يمكن أن تنشأ فى أى تجربة هجرة أخرى فى الوطن العربى سواء فى **الجزائر وليبيا أو الأردن أو العراق**، وبالرغم من أن تجربة الفلاحين المصريين فى العراق قبل حرب الخليج الثانية كانت فى الغالب الأعم تجربة ايجابية فلم يتعال عليهم أحد أو يعذبهم وأنشئت قرية خاصة لتستوعبهم، وأحب المصريون العراق وأحب العراقيون مصر، إلا أن مسلسلا مريبا قبل حرب الخليج الثانية أخذ يعرض على الملأ هو عودة المصريين الذين قيل إنهم قتلوا فى العراق ميتين في صناديق إلى أسرهم، وقيل أيضا إن بعضهم قتل فعلا فى جرائم شرف.. وما أكثر قتلى جرائم الشرف فى مصر وفى كل أرجاء العالم العربى، حيث يكون طرف الجريمة مواطنين ومع ذلك ورغم وضوح وبساطة هذه الحقائق، يعيد الدكتور صالح نشر واقعة عن ركوب عراقى لشاحنته واقتحامه مظاهرة لمصريين فى العراق قبل أسابيع حيث كان المصريون يعبرون عن فرحتهم بفوز الفريق الوطنى وصعوده لتمثيل مصر.

ولا أعرف لماذا امتنع الكاتب عن استخدام أداة التحليل السيكولوجى هذه المرة أيضا ،وهو التحليل الذى يمكن أن يقول له إن العراقيين عامة يشعرون بمرارة حقيقية بسبب الحصار الظالم الذى يتعرضون له وهو الحصار الذى يسانده صمت وتواطؤ عربيين، وقد يكون سائق الشاحنة قارن بين آلام الشعب العراقى وفرحة المصريين بفوز فى مباراة وفقد أعصابه مثلا، وقد حدثت وقائع مشابهة فى داخل كل بلد عربى على حدة وبين أنديته المحلية وفى كثير من بلدان العالم ولعلنا نتذكر واقعة قتل ما يزيد على الثلاثين مواطنا انقض عليهم المشجعون الانجليز لأحد النوادى بعد هزيمته.

أتفق **مع الدكتور «صالح» فى أن التسامح مع التجاوزات سواء كان مرتكبها عربيا أو غير عربى تحت شعارات الأخوة والعروبة هو نوع من الضعف، وأساند دعوته لانشاء جمعية أو منظمة أهلية يكون هدفها رعاية وحماية حقوق العمالة المهاجرة عامة ما دامت الحكومة المصرية لا تقوم بدورها الطبيعى فى حماية أبنائها.**

لكننى أشعر بأسف شديد لأن لهجة المقال كله «معادية» حرفيا للعرب وللفكرة العربية ولا تفرق بين الشعوب والحكومات، ومن يقرأها لابد أن يستخلص أن القومية العربية ليست إلا خرافة لا أساس ثقافى أو حضارى تاريخى أو جغرافى لها!!.

***

أما فيما يخص مقال الأستاذ **خليل عبد الكريم** فإن الواقع والتاريخ يقولان لنا إن عروبة مصر هى شئ آخر تماما غير الفتح العربى- الاسلامى لها، ولكن الأستاذ **خليل عبد الكريم يتعامل مع مفهوم العروبة وما أسماه بتعريب مصر باعتباره تجنيسها بجنسية إثنية للقبائل التى غزتها من الجزيرة العربية،** وهو ما يرد مفهوم القومية للأعراق والأجناس ويختزلها فيها، ويرجع بها إلى ما قبل تاريخ الحضارة وينفى كل تفاعلاتها التى تمت على مدى أربعة عشر قرناً.

لا أحد يجادل فى حقيقة الوقائع التى ساقها وهو باحث مجتهد وقارئ حصيف للتراث، ولكن الخطأ الفادح الذى وقع فيه هو **فصله غير المنطقى للإسلام عن اللغة التى عرفه الناس عن طريقها، اللغة التى هجر المصريون لغتهم من أجلها وهى اللغة العربية وعاء الثقافة وحاضنة التراث العربى الاسلامى الرجعى والتقدمى معا**،هذا التراث الذى كان أحد العناصر الأساسية فى توحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، والذى كانت كل الثقافات والديانات الأخرى روافد أساسية له سواء على المستوى الدينى المسيحى واليهودى، أو على المستوى القومى الكردى والبربرى والنوبى إلخ.

وكان العنوان الكبير الذى نسميه التراث العربى -الاسلامى فى فترة ازدهاره بوتقة انصهرت كل هذه العوامل ليقيم البربر وعلى أساس من اللغة العربية -وهم لم ينحدروا من أصلاب قريش-حكما عربيا اسلاميا مزدهراً متسامحا فى الأندلس.

إن الاستاذ خليل عبد الكريم، دون أن يقول ذلك صراحة، يضع الدين باعتباره أساس القومية فيعود بذلك إلى الوراء خطوات كبيرة.

إن عروبة مصر هى صيرورة ولادة واغناء دائمين وعاؤها اللغة منذ تكلمها المصريون وأصبحوا عربا.

وهى قضية لابد من دراستها مجددا فى ضوء ما يتهدد المنطقة من مشروعات اقليمية تنفى القومية العربية لصالح ما يسمى بالشرق الأوسط.

مداخلات


صلاح عيسى

«حزب السبعينيين»..
غوغائية النقاش
وغوغائية الحلول

د. محمد نعمان نوفل

لا أستطيع إلا أن ألبي الدعوة الكريمة للحوار التى طرحها الاستاذ **صلاح عيسى** فى مقاله الصادر فى شهر سبتمبر ١٩٩٧، رغم أنى، ولا أخفى أننى لا أشعر بدرجة كافية من الجدية فى هذه الدعوة، فهذا هو الانطباع الذى تسرب إلى من قراءة المقال الذى بدا بنبرة ساخرة وكأن شرط الانضمام مقصوراً على من شاركوا فى حركة السبعينيات وفى الوسط منه لجأ لأساليب الخبث الصحفى من أجل الغمز واللمز للمهتمين بموضوع الحزب من بعض زملائنا وأصدقائنا الذين حققوا نجاحا ما فى حركة الأعمال وكأن مجرد أن يكون الشخص رجل أعمال فهذا جرم فى حد ذاته، وأؤكد بمنتهى الصدق وعلى مسئوليتى تماما أن هؤلاء الزملاء والأصدقاء من رجال الأعمال لا توجد أى شوائب أو علامات استفهام على مصادر ثرواتهم وهى مبررة تماما، ولم يسلك أحدهم طرقا غامضة أو مشبوهة، وأرى أن استمرار الغمز واللمز فى هذا الشأن هو نوع من الصبيانية التى لا تليق بأى شخص يريد حوارا جادا، وإذا كان لديك اتهامات محددة تجاه شخص أو أشخاص بعينهم قلها بشجاعة ولا داعى للاختباء خلف تقولات هذا أو ذاك.

رغم ذلك، ألبى دعوتكم للحوار ويداخلنى شعور من يلبى «عزومة مراكبية»، فى البدء أقرر حقيقة وهى أنه **لا يوجد حتى هذه اللحظة بيننا كمجموعة مهتمة بمسألة تأسيس الحزب من له حق الحديث باسم الآخرين وان من يطرح منا أفكارا فهى فى الغالب أفكاره الخاصة أو أفكار يشاركه فيها عدد من القريبين منه**،لأنه لا يزال لدينا قائمة طويلة من الموضوعات التى علينا أن نناقشها فيما بيننا حتى نستقر على مجموعة من المفاهيم المشتركة وساعتها يمكن التعامل معنا ككيان واحد.

غير أن فكرة الكيان الواحد هذه ليست مغرية لعدد كبير منا وأنا واحد منهم، وهذا ينقلنا إلى مناقشة المفهوم التنظيمى العام الذى نتحاور حوله هو: **ديمقراطية الممارسة التنظيمية**.

ننطلق من الخبرة السنية لأغلبنا الناتجة عن الممارسة السياسية فى ظل أشكال لا تسمح بأدنى حد من الديمقراطية فى العمل الحزبى، ولا نتصور على الاطلاق أننا سوف ننقل الخبرة التنظيمية شديدة المركزية القائمة فى الأحزاب المصرية الحالية (باستثناء الحزب الوطنى فهو لا يشكل حزبا فى الواقع ولكنه لا يعدو أن يكون ناديا لأصحاب المصالح)**لأن المشاهد فى الأحزاب القائمة إما مركزية القرار والفكر والتوجه السياسى الذى تستحوذ عليه الأمانة المركزية (فى حالة حزب التجمع والحزب الناصرى) أو الاستحواذ المركزى بسبب النفوذ الشخصى الطاغى لرئيس الحزب** كما فى بقية الأحزاب بما فيهم حزب الشيخ الصباحى وولده.

إن التصور لدينا يقوم أساسا على فكرة **تصارع التيارات السياسية والفكرية داخل الحزب مع ضرورة التمثيل النسبى للأقلية فى المستويات الحزبية المختلفة**،مع الوضع فى الاعتبار أن البناء الهرمى مدبب القمة الذى ينتهى دوما بشخص رئيس الحزب الملهم ليس فى تفكير أغلبنا، لأن القمة القيادية فى حزب ينشد التفاعل مع قضايا ومشكلات القرن الحادى والعشرين لابد أن تعرف شكلا أوسع لجماعية القيادة، بمعنى أن تكون **القيادة عملية حزبية يقوم بها عدد من الأشخاص المرتبطين بآليات صنع القرار داخل الحزب وليس القيادة بوصفها وظيفة تعبر عن شكل من أشكال النفوذ والهيمنة** ،حتى وإن كانت تعنى أيضا تحملا لدرجة أكبر من المسئولية.

وأسوق مثلا عما أقصده، وهو كيفية وصول أشخاص فى الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات من أعمارهم لمناصب رؤساء وزارة أو رئيس جمهورية، وأمامهم هذا الكم الضخم من المسئوليات التى تحتاج إلى مستويات عالية من الخبرة فى مجالات

متعددة، إذا قسنا حصولهم على هذه الخبرات بمقاييس الكفاءة الفردية فإن عمر أي منهم ينبغي أن لا يقل عن ٧٠ عاما حتى يكون قادرا على اختزان كل هذه الخبرات، ولكن الحقيقة أنهم ممثلين لمجموعة قيادة لا أكثر، تستند على أجهزة متعددة للتفكير، لذلك اختفت الزعامة بشكل عملي بكل ما تعنيه هذه الكلمة من أهمية المؤهلات الشخصية للزعيم وخبراته السياسية والحياتية.

من ناحية أخرى لكي يكون الحزب قادرا على إنتاج هذا الجهد الفكري والسياسي **ينبغي أن يكون منفتحا على الجماهير وقادرا على خلق تواصل حقيقي مع مطالبها وتطلعاتها**، وهذه قضية بالغة التعقيد، لقد حل هذه المشكلة حزب العمال البرازيلي بقصر عضويته على القيادات الجماهيرية فقط ولم يلزم هذه القيادات الجماهيرية بإملاء رؤية الحزب على المنظمات الجماهيرية ولكن الحزب ألزم نفسه بالتفاعل مع مطالب وقناعات المنظمات الجماهيرية وإدارة حوار دائم معها.

ساعد حزب العمال البرازيلي على ذلك وجود حركة جماهيرية نشطة في البلاد ووجود قيادات جماهيرية مؤثرة منتظمة في صفوف الحزب وممارسة الحزب نفسه لأوسع الحريات الديمقراطية في حركته التنظيمية مع إتساع قمة القيادة وعدم انصياعها لأي زعيم ملهم. نموذج حزب العمال البرازيلي من النماذج الهامة جدا من وجهة نظري (والفضل في ذلك يرجع لصديقي **د. جمال عبد الفتاح** الذي لفت نظري لتجربة هذا الحزب) ولكن **المشكلة التي تواجهنا في مصر هي خمول الحركة الجماهيرية وبالتالي عدم وجود قيادات نشطة أو مؤثرة، كيف تسير إذن جدلية الديمقراطية في ظل جفاف جذورها؟** هذه معضلة علينا التفكير فيها بجدية، لأن خمول وتخلف الحركة الجماهيرية لابد أن يفرض نفسه بالسلب على الديمقراطية التنظيمية لأي حزب مهما صدقت نوايا ونضالية المنتمين له. معنى ذلك أننا لن نقدم على تأسيس حزب دون حل هذه المعضلة على المستوى النظري على الأقل (أو عن نفسي لن أنضم لحزب لا تدور داخله جدلية تنظيمية ديمقراطية).

التحديات التي تواجه مصر وغوغائية الحلول

اتفق معك في أن شعارات مقاومة الهيمنة الأمريكية الصهيونية والتصدي للفساد.. إلخ شعارات متضمنة في برامج الأحزاب، وربما كلها. وأن الجميع يتحدث عن مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين حتى أصبحت هذه العبارة مستهلكة ومملة من كثرة



محاكمات ١٨ و١٩ يناير ١٩٩٧.. أجيال مختلفة

الاستعمال. وعن نفسي لا أسعى لطرح قائمة بالتحديات التي أرى أن مصر تواجهها، فربما أجد لديك عدة أضعاف قائمة التحديات التي أطرحها. ولكن ما هو لافت للنظر هو **غوغائية النقاش وما يترتب عليه من غوغائية للحلول**. وفي تقديري أن هذا يعود إلى تغييب الأسس العلمية لتناول قضايانا ويؤكد ذلك التناول المنهجي المشوه أو المبتور للقضايا. فأول ما يلاحظ هو **غياب البعد المستقبلي عن أي تناول** (حتى هؤلاء الذين يصدعون رؤوسنا بتحديات القرن الحادي العشرين).

فلا أتصور إمكانية مناقشة مشكلات مصر الاقتصادية دون أن نضع في الاعتبار متغير اختلال معيار القيمة في الاقتصاد العالمي، ولاأتصور حوارا حول التنمية لايضع في اعتباره تغير شكل العمل في ظل التطور التكنولوجي وارتباط ذلك بتغير شكل التعليم (مؤسسيا ومن حيث المحتوى) وارتباطه أيضاً بالثقافة مع الغياب الكامل للبعد البيئي رغم أهميته الاستثنائية في حالة مصر على وجه التحديد.

ولا أتصور نقاشا لمشاريع الهيمنة الأمريكية والاسرائيلية دون طرح مشكلات الطاقة النظيفة والصراعات العرقية في منطقة الشرق الأوسط وتغير شكل الأسواق في ارتباطها بالمنظومة الدولية للمعلومات. هذا القصور النسبي هو الذي يسمح حتى الآن، بظهور آراء ذات طبيعة أيديولوجية صرفه، كأن يصرخ أحدهم بضرورة وضع قيود حمائية على الصناعة الوطنية دون أن يفكر للحظة في الشروط الدولية المحيطة به، أو يصرخ آخر وكأن تعشباناً لدغه يطالب بغلق شبكات المعلومات أو يتبتر أحدهم في ثقة زائدة ويقول الحل في الحرية للاستثمار والتجارة أو يبحث آخر باصرار في ملابسه الداخلية ويخرج كومه من اللعنات يصبها علي رؤوس الجميع ويقول «الاسلام هو الحل».

نحن نصف كل هذا بالغوغائية، ولن تخطو مصر خطوة واحدة للأمام بل سوف تنطلق إلى الخلف لا يحدها حد اذا استمر المجتمع المصري في اعتماد هذه المنهجيات، لذلك نرى أن لنا مبررا في التواجد على الساحة السياسية.

أكتفي بهذا، حتى لا تستخدم -**صلاح عيسى**- أكثر من ذلك على دعوتك المشكوك في أنك كنت بالفعل تقصدها، وعلى أي حال إذا كنت حريصا على مواصلة السخرية والغمز واللمز سوف لا تعدم مادة لذلك، وإذا كنت حريصا علي حوار جاد، أعتقد أن هناك جهد على هذه الأوراق المتواضعة يسمح لنا بمواصلة الحوار ولن نجد منبراً أكثر احتراما من مجلة اليسار الذي ننتمي إليه بدون شك. شكرا على دعوتك حتى ولو كانت «دعوة مراكبية»..

إسلام لا كهانة

تحية إلى قاض مستنير وشجاع

خليل عبد الكريم

منذ فجيعة **د. نصر أبو زيد** وحركة الاستنارة الفكرية تعيش في غم وهم ونكد، ولكنها أبدا لم تفقد ثقتها في قضاء مصر.

وفي يوم ١٥/ ٩/ ٩٧ تيقنت أن ثقتها كانت في محلها إذ أصدر؟ **سلامة سليم** رئيس المحكمة بمحكمة شمال الابتدائية قراراً بالغاء الأمر الصادر بضبط كتاب(**رب الزمان**) للدكتور **سيد القمني** والافراج عنه وكافة ما سبق ضبطه.

ولقد أصررنا نحن هيئة الدفاع علىّ ألا نغادر (سراى المحكمة) إلا بعد أن نطلع على أسباب (حيثيات) القرار الجرئ.

ولقد قراتها مرة ومرتين وتأكد لدى أن القاضي (رئيس المحكمة) الذى أصدر الحكم لم يكن شجاعا ومستنيراً فحسب ولكنه قارئ واع ،فعلى سبيل المثال عندما فند تهمة التعرض للخليفة الثالث **عثمان بن عفان** أورد ثلاثة مصادر من أمهات التاريخ الاسلامي(**البداية والنهاية**) **لابن كثير** و« **الطبقات الكبرى** » **لمحمد بن سعد** كاتب الواقدى و« **تاريخ الاسلام** » (**للذهبي**) ومرجعا حديثا يحظى بالتقدير هو كتاب (**زعماء الاسلام**) للدكتور **حسن ابراهيم**.

والعلامة الفارقة التى تقطع بسعة اطلاع القاضي(رئيس المحكمة) أن هذه المؤلفات لم يوردها الدكتور **القمني** في كتابه ولاذكرتها أنا في مرافعتي وقد حملت عبء الشق الإسلامي في توزيع أقسام الدفاع بمعنى آخر إن هذه المصادر إضافة هامة لما ذكرناه.

والحق إن هذا القاضي (رئيس المحكمة) لو لم يكن قارئا وقارئا واعيا لما كان مستنيرا لأن سعة الإطلاع قرينة قوية على سعة الافق وتفتح العقل ورحابة التفكير.

لإن القراءة الوسيعة العريضة الذكية شجرة وارفة تطرح ثمرة متميزة هي الاستنارة والعكس صحيح ،فان ضيق الأفق والانغلاق والتعصب للموروث والجمود على القديم نتيجة مباشرة لمقاطعة القراءة ومخاصمة الاطلاع.

ولا نملك لهذا القاضي المستنير إلا توجيه التحية وتقديم التقدير مقرونين بالشكر الوفير والعرفان العميق.

وبعد

فإننا نطلب من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ومن الشيخين **سامي الشعراوي وعبد العظيم الجزار** بالأخص إلا معان في قراءة القرار وتدّبر أسبابه وتفهم حيثياته حتى تكون لهما نبراسا- فيما بعد- وهما يكتبان تقاريرهما المهيبة.

ورجاء آخر لهما أن يكفا عن سفح التصريحات الصحفية التي يوزعانها يمينا وشمالا والتى يملآنها بالاتهامات والتشكيك واللمز والهمز والغمز والتلميح الذى هو أوعر من التصريح وأهمس في أذنيهما المبجلتين اذا فرضنا جدلا أن القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ يبيح لهما كتابة تلك التقارير فإنه لا يجيز لهما دلق تلك التصريحات الفلوت التى تعد خروجا على مقتضيات الوظيفة كما أنها تعرضهما للمساءلتين الجنائية والادارية. أما الإسلام الذى يعتبران نفسيهما من أبرز سدنته وأكابر مرازبته فانه يحظر عليهما اتهام الناس بالباطل في دينهم وشرفهم وذمتهم وهما لاشك يعلمان ان الرسول الأعظم عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام كان يكره الفاحش المتفحش البذئ السليط اللسان وكان مثلا أعلى في الأدب الرفيع وحسن الخطاب.



«لا يجب أن نغتر بسكوت فئة الفلاحين عن المطالبة بحقوقها . فانها ان سكتت اليوم على ذلك لما هى فيه من الجهل المخيم، فانها سوف تنتبه غداً إلى سوء حالتها متى قام بين ظهرانيها جيل متعلم يوجه اهتمامه إلى المسائل الاجتماعية والاقتصادية فيشعرها بما هى فيه من الشقاء»

عبد الرازق السنهورى
الاربعينيات من هذا القرن

الزراعة المصرية والتقدم نحو الماضى

قراءة لمستقبل المسألة الزراعية فى ظل تطبيق القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢

كان أول أكتوبر هو موعد المستأجرين مع الطرد من الأراضى الزراعية التى يستأجرونها . ولكن قبل أن يحل موعد تطبيق القانون بأسبوع كامل بدأت آثار القانون فى الظهور.

نشرت«**الأهالى**» أنه فى يوم الاثنين ٢٢ سبتمبر فوجئ أهالى عزبة الوقف الغربية بمحافظة البحيرة بلجنة من المساحة لقياس أراضى ٣٠٠ دار يقطنها ما يقرب من ألف مستأجر لمساحة ٣٠٠ فدان يمتلكها أربعة ملاك وذلك لتسليم أرض الدور لشخص ظهر فجأة يدعى ملكيتها توطئة لبيعها للمستأجرين بالمتر. وذلك فى إطار عملية تنفيذ القانون والذى ينص على إخلاء الأرض الزراعية والمنشآت القائمة عليها.

ولأن أراضى الدور كانت تابعة لهيئة الأوقاف ولا علاقة لها بالأرض الزراعية وسكنها آباء وجدود أهالى العزبة تصوروا استحالة ان يظهر من ينازعهم فى ملكيتها. اعترض اهالى العزبة عمل اللجنة فانسحبت دون أن تتمكن من عملية القياس . لكنها عادت بعد ساعات ومعها قوة سيارتين من الشرطة فيهما ضابطان وعدد من الجنود. اعترض الاهالى السيارتين وتحت ضغط الاهالى اتصلت القوة بالمركز الذى أرسل لهم على الفور تعزيزات كانت عبارة عن سيارتين لورى فيهما حوالى ٢٠٠ جندى برافقهما وحدة مطافئ ووحدة اسعاف.

التحمت القوة مع الأهالى وأطلقت القنابل المسيلة للدموع والاعيرة النارية للتخويف . لكن أهل العزب المجاورة تضامنوا مع أهل عزبة الوقف وحتى لا تتطور الأمور إلى كارثة أصدر اللواء مدير الأمن أمراً بانسحاب القوة بعد أن تم القبض على ١٥ فرداً.

وفى الفجر وصلت إلى العزبة ٢٨ عربة لورى محملة بما لا يقل عن ثلاثة آلاف جندى من قوات الأمن المركزى والقوات الخاصة واقتحمت الدور وكسرت أبوابها الخارجية ومحتوياتها . وانهالت القوات بالضرب الأعمى على الأهالى والذى لم يفرق بين رجل وامرأة أو طفل وشيخ. ولم يسلم مسجد القرية من الاعتداءات حينما حاول بعض الأهالى الاحتماء به.

وأمتلأت العزبة بالصراخ والعويل.

أسفر العدوان الذى وصفته إحدى بنات القرية بانه كان حرباً وانتقاما من أهل العزبة عن اجهاض ٤ سيدات واصابة أكثر من ٥٠ فردا باصابات بالغة وفرار أبناء العزبة إلى العزب والقرى المجاورة وتم القبض على ما يزيد عن ١٠٠ فرد.

***

خالد البلشى

كانت هذه هى أولى فعاليات تنفيذ القانون والتى ابرزت أن الحكومة شحذت كل امكانياتها البوليسية -وهى كبيرة- فى إطار الاستعداد لتنفيذ القانون. بما ينفى مزاعم الحكومة حول الأرقام المعلنة بين الملاك والمستأجرين.

وفى إطار الاستعداد لتنفيذ القانون نشرت«**الشعب**» أنه فى يوم ٢٥ سبتمبر وصلت لجميع مراكز وأقسام الشرطة ومقار العمد والمشايخ اشارة مكتوبة بالغاء جميع اجازات الضباط وأمناء الشرطة والجنود والخفراء على أن يكون الجنود فى حالة طوارئ استعداداً لتنفيذ قانون الملاك والمستأجرين.

وفى نفس الوقت سربت الشرطة المصرية شائعة تقول إن **المستأجر الذى لن يسلم الأرض للمالك سيتم اعتقاله** ، وهو ما حدث فعلياً فى قرى«**تلا واشمون**» محافظة المنوفية حيث تم استدعاء المستأجرين للشرطة وتهديدهم بتسليم الأرض والمزروعات والا سيكون مصيرهم الاعتقال والذهاب وراء الشمس.

وقامت قوات الشرطة بالقبض على ٢١ مواطناً من بينهم الفنان **عز الدين نجيب** وطالب بكلية السياسة والاقتصاد بتهمة الحض على كراهية النظام والانتماء إلى تنظيم شيوعى سرى وذلك لانهم اعترضوا على قانون الايجارات الزراعية **ليصل عدد**

المقبوض عليهم تحت ذمة معارضة القانون إلى ۲۰۰ مواطن وذلك قبل البدء فى عمليات التنفيذ الفعلية.

وعشية تنفيذ القانون دعا د. كمال الجنزورى رئيس الوزراء الاحزاب المصرية إلى التعاون لمصلحة أمن المجتمع وتجنب الاثاره فى شأن قانون الايجارات «الزراعية» بما يحمل اتهاما مبكراً للمشاركين فى معارضة تنفيذ القانون بانهم يعملون ضد أمن المجتمع.

وفى صباح الاربعاء ١/ ١٩٩٧/١٠ كان موعد الفلاحين مع الطرد من الأراضى المستأجرة .وكانت البداية فى قرى مركزى تلا واشمون بالمنوفية. ونشرت الشعب أن قوات الشرطة المدججة بالسلاح نزلت إلى الأراضى الزراعية ومعها جرارات زراعية ولودرات واقتحمت الأراضى واتلفت المزروعات وسط حالة من القهر والارهاب الذى لم يشهده الفلاحون، فمن يفتح فمه من المستأجرين يلقى به فى البوكس وسط صراخ الزوجة والاولاد وبعد توسلات يطلق صراحه على أن يذهب جريا لداره ولا يخرج منها.

احد قيادات الشرطة بالمنوفية صرح للشعب .. الموقف فى غاية الصعوبة لقد تم طرد ارامل ويتامى من قراريط قليلة يستزرعونها ويعيشون عليها . ان الموقف فى غاية الألم ولكنه القانون الذى لابد أن ينفذ.

وسجل مركز الأرض لحقوق الانسان سقوط ۳ قتلى و٧٥ مصاباً ، وايقاف أجهزة الامن ١٠٠ شخص فى محافظات الجيزة والغربية والدقهلية وكفر الشيخ والبحيرة من إجراء المصادمات بين الملاك والمستأجرين فى الأيام الثلاثة الأولى.

وفى مزيد من اثبات السطوة البوليسية على الريف المصرى ولمزيد من اذلال المستأجرين نزلت قوات الامن إلى قرية نزلة الاشطر بالجيزة واجبرت الفلاحين على إزالة الشعارات التى كانوا قد كتبوها تنديداً بالقانون ٩٦ لسنة ٩٢.

كل هذه المؤشرات تؤكد أن الريف المصرى فى حالة من الغليان الشديد ولكن ليس من المتوقع فى ظل هذا الكبت والقهر البوليسى أن يسفر ذلك عن حركة فلاحية-فى الوقت الحالى وعلى المدى القريب- تتسم بالشمول والعمومية والتأثير لمواجهة تنفيذ هذا القانون . وان كان ليس من المستبعد ان تحدث حالات احتجاجية هنا وهناك ربما ينتج عنها عدد من القتلى والمصابين والتى سوف تسعى الشرطة لاجهاضها مبكراً . تاركة وراءها بذور العنف والثأر تتزايد فى ظل الفقر الشديد الذى سيخلفه تطبيق القانون مما ينذر فى المستقبل بعواقب وخيمة.

جمال عبد الناصر

الاصلاح الزراعى أول قوانين ثورة ٢٣ يوليو



****

ولكى نستطيع قراءة مستقبل ما سيحدث فى الريف لابد من العودة للخلف فكل المؤشرات تؤكد أن مستقبلنا يتقدم نحو الماضى ونحو عودة الأوضاع لما قبل ثورة يوليو . وهو ما حذرت منه قوى اليسار منذ فترة طويلة.

فقد اتسمت العلاقات الزراعية فى الريف المصرى قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ بالتفاوت الشديد فى توزيع الملكية الزراعية وكان ۲..و ٪ من الملاك «١٠٠فدان فاكثر» يملكون ۲۷٪ من جملة الأراضى الزراعية بينما ٩٤٫٣٪ من الملاك لا يملكون سوى٥ فدادين واقل ،وكان هناك ١٩٠ مالكاً يستأثرون بحوالى ٨٫٤٪ من مجمل الزمام الزراعى، ۱۷۸ الف مالك لا يملكون أكثر من ١٢٫٤٪ فقط من مجمل الزمام.

وكان حجم الأراضى الزراعية الخاضعة للايجار النقدى أو بالمشاركة لا يتجاوز ٣١ ٪ من جملة الأراضى بالاضافة إلى الأعداد الضخمة من الفلاحين المعدمين الذين كانوا يتعرضون لابشع أنواع الاستغلال المادى والمعنوى.

وأدت ظاهرة تركز الملكية الزراعية فى يد عدد قليل من كبار الملاك إلى أن يعيش عدة ملايين من أبناء مصر- هم عمال الزراعة-فى ظل اسوأ ظروف اقتصادية واجتماعية ممكن أن يتحملها الانسان.

فالاجر إن وجد لا يزيد عن بضعة قروش محددة مقابل مجهود بدنى شاق للعامل طوال ١٢ ساعة يوميا وتحت أشد الظروف المناخية.

والعمل غير مستقر تتراوح مدته بين ٨٠-١٢٠ يوماً وباقى العام يعيش العامل واسرته تحت وطأة البطالة والجوع والحرمان الكامل من أى رعاية صحية أو اجتماعية أو تعليمية مقابل الرفض التام من كبار الملاك- الذين كان بيدهم القرار- لمجرد طرح فكرة تشكيل نقابات لعمال الزراعة لرعايتهم والدفاع عن مصالحهم.

وهكذا كان حال عمال الزراعة- حتى عشية ١٩٥٢-انتشار واسع غير مكثف وتخلف اجتماعى واقتصادى شديد.

وبالرغم من ذلك فان الوعى الطبقى التلقائى والمعاناة الاجتماعية القاسية والدور المبادر لبعض التنظيمات اليسارية قد أسهم فى دمج حركة العمال الزراعيين مع فقراء الفلاحين فى العديد من النضالات والهبات الفلاحية منذ منتصف الاربعينيات واستمر ذلك حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ .وكانت المسألة الزراعية من أهم القضايا التى شغلت ثوار يوليو فكانت قوانين الاصلاح الزراعى هى أول القوانين التى صدرت فى عهد الثورة.

وكانت العلاقة بين المالك والمستأجرمن أهم القضايا التى شغلت المشرع المصرى منذ قيام الثورة وحتى صدور القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ . ومرت التشريعات الزراعية فى هذه الفترة بثلاث مراحل اختلفت فيها طريقة معالجة المشرع للقضية الزراعية والاشكاليات

التى تنشأ بين الملاك والمستأجرين بشكل عام.
المرحلة الأولى تبدأ بصدور المرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ والمعروف بقانون الاصلاح الزراعى وتنتهي بصدور القانون ١٢٣ لسنة ١٩٧٤ والتى أقر فيها المشرع للمستأجرين ثلاثة حقوق أساسية هى:

١- حق امتداد عقد الايجار.
٢- حق توريث عقد الايجار طالما بقى أحد الورثة مهنته الأساسية الزراعة.
٣- حق تحديد سعر الايجار وعدم تركه يتحدد وفقا لقانون العرض والطلب فى السوق الحرة.

وحدد قانون الاصلاح الزراعى الصادر فى عام ١٩٥٢ القيمة الايجارية بسبعة امثال الضريبة العقارية وفى عام ١٩٦٤ صدرت القرارات بقوانين ارقام ٤٤، ١٠٤، ١٣٨ والتى نصت على أنه **يتم النظر فى قيمة الضريبة العقارية كل عشر سنوات.**

ويعتبر القانون ٥٢ لسنة ١٩٩٦ من أهم القوانين التى صدرت فى تلك الفترة حيث أنه جمع سائر أحكام العلاقة الايجارية فى تشريع واحد. فضلا عن انه اضاف احكاماً جديدة فى شأن تحديد وتنظيم التزامات كل من المالك والمستأجر **فأوجب أن يكون تأجير الأرض لمن يتولى زراعتها بنفسه ولا يجوز تأجيرها من الباطن أو التنازل عنها للغير.**

ونص على أنه لا يجوز للمؤجر طلب إخلاء المستأجر إلا إذا أخل المستأجر بأى إلتزام جوهرى، ولا يجوز طلب فسخ عقد الايجار فى حالة التأخر فى سداد عقد الايجار إلا بعد انقضاء ثلاثة اشهر على تخلفه عن دفع الاجره واجاز له القانون الوفاء بها إلى ما قبل قفل باب المرافعة.

وأجاز المشرع إمكانية إنهاء عقد الايجار واخلاء المستأجرين بشروط هى أن يكون المستأجر حائزا بالملك أو الايجار هو وزوجته وأولاده القصر مساحة تزيد عن خمسة أفدنة بحيث تكون مهنة المؤجر هى الزراعة وألا تزيد ملكيته وحيازته عن خمسة أفدنة.

وهكذا لم يقم الاصلاح الزراعى المصرى بالغاء الملكية الغائبة التى لا تباشر أى نشاط انتاجى فى أرضها كما فعلت العديد من الدول ذات الأنظمة السياسية والاقتصادية المتباينة ولكنه **كان حريصاً على اقامة علاقة اجتماعية متوازنة تكفل للمالك الحصول على ربع ملكيته. رغم انتفاء الدور الانتاجى وتكفل للمستأجر البقاء فى الأرض- مصدر رزقه الوحيد- طالما لم يخل بأية التزامات حددها القانون.**

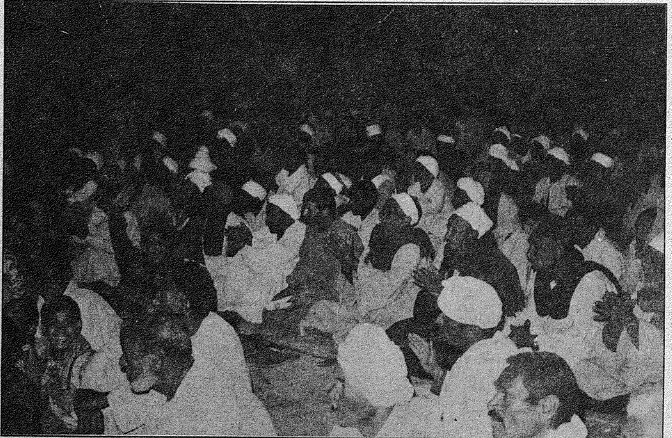
وقد أدى هذا أن تسود الريف حالة من الاستقرار النسبى- اجتماعيا واقتصاديا- وكان له تأثير إيجابى على الفلاحين وعلى الانتاج الزراعى.

ففى عام ٦٥ أصبح **الملاك لاقل من ٥ فدادين يملكون ٥٧،١٪ من الأرض** بينما الملاك الكبار لا يملكون سوى ٦،٥ ٪ منها **وبلغ نصيب الريع من الدخل الزراعى ٤٦٪ بعد ما كان ٥٪ عام ١٩٥١ . وزادت نسبة دخل الفلاح الصغير حوالى ٥٠٪ مقابل ارتفاع نسبة نفقات المعيشة حوالى ١٥ ٪فقط**. وفى عام ١٩٦٧ أصبح الأجر النقدى للعامل الزراعى ٧٠ جنيها -مساويا للاجر الحقيقى له.

وفى العام ١٩٦٩- ١٩٧٠ مول الانتاج الزراعى خزينة الدولة بما قيمته ١٢٨،٨ مليون جنيه وكان الفائض من العملات الاجنبية التى وفرتها الزراعة**١٥٢،٦١ مليون جنيه**، وكانت مساهمة الزراعة فى تنمية القطاعات الزراعية **٦٦،٦٨ مليون جنيه** وتم تصدير بعض المحاصيل الغذائية.

المرحلة الثانية: وتبدأ بصدور القانون رقم ١٢٣ لسنة ١٩٧٤ وتنتهى مع صدور القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ أصبحت سياسة التحرير الاقتصادى هى المحور الأساسى الذى ترتكز عليه سياسات الدولة فى مختلف المجالات فى

الفلاحون.. ضحايا صندوق النقد وحكم الحزب الوطنى



تلك الفترة.

وكان المشرع منشغلا بالبدء في إصدار التشريعات التي تلائم تلك المرحلة مستهدفا رفع أسعار المستلزمات الزراعية. وتحرير سوقها والغاء الدعم عن الأسعار والفائدة وتحرير أسعار المنتجات الزراعية وتشجيع الصادرات والحد من الواردات الزراعية واطلاق حرية تداول الأراضي الزراعية ورفع كافة القيود التي ترد على هذا الحق.

فنص القانون ١٢٣ لسنة ١٩٧٤ على جواز انهاء عقود الإيجار وإخلاء المستأجرين من الأرض المؤجرة بناء على طلب المؤجر وبعد انذار المستأجرين في حالتين: صدور قرار تقسيم الأرض المؤجرة أو ترخيص باقامة بناء عليها من السلطات المختصة أو صدور ترخيص من السلطة المختصة باقامة مصنع على الأرض المؤجرة.

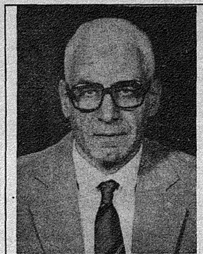
وأقر القانون ٦٧ لسنة ١٩٧٥ جواز تحويل الايجار بالنقد إلى إيجار بالمزارعة كما أنه قلل المدة التي كان يجوز فيها للمستأجر سداد الأجرة من ثلاثة شهور إلي شهرين واحال كافة المنازعات التي تنظر أمام لجان الفصل إلى المحاكم الجزئية لسرعة البت فيها. كما أوجب طرد المستأجر الذي يتكرر تأخره في الوفاء بالاجرة.

وو**فقاً لهذا القانون فان الفدان اصبح ٣٠٠ قصبه فقط بعد ان كان ٣٣ ر٣٣٣ قصبه وفقاً لكافة القواعد الحسابية والمساحية المتعامل بها منذ آلاف السنين. وكانت النتيجة أن أصبح الاف الفلاحين متخلفين عن سداد القيمة الايجارية الكاملة منذ صدور التشريع والذى لم يعرفوا عنه شيئا وكان عليهم إما الدفع واما الطرد وبالفعل تم طرد عشرات الاسر من قرية كفر سعدون مركز قطور مثلا.**

وصدر **القانون رقم ٣ لسنة ١٩٨٦** والذى أصبح بموجبه على الالاف الفلاحين من المتفعين بأراضي الاصلاح والذين دفعوا -على مدى عشرات السنوات- ليس قيمة انتفاعهم بالأرض فحسب بل عمرهم كاملاً . ان يعيدوا شراء هذه الأراضي وفق شروط القانون أو يطردوا منها شر طردة بدون اللجوء للقضاء.

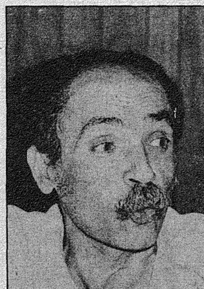
كما صدر قرار مريب لهيئة الاصلاح ينص على أنه اذ ظهر مالك للأرض بخلاف الهيئة يكون من حقه بعد طرد الفلاحين- استردادها لصالحه. **وبناء على ذلك أصبح الالاف من الفلاحين فى قرى مصر مهددين بالطرد عاجزين عن دفع الثمن وعن فهم المبرر الذى يجعلهم يدفعونه ثانية بعد اربعين عاماً.**

وقد اتسمت هذه الفترة بالتوسع غير القانوني في مبررات طرد الفلاحين من الأراضي المستأجرة عن طريق التلاعب في عمليات الرى وإدخال الأراضي الزراعية كردون المدن واستغلال الغاء لجان فض المنازعات الزراعية.



د. أحمد حسن

اضرار بالاقتصاد المصرى



عريان نصيف

اهدار مصالح المستأجرين وصغار الملاك

وقد أدى هذا في عام ١٩٨٣ ان أصبح **٨٠٪ من الفلاحين الحائزين لثلاثة فدادين فاقل لا يحصلون سوى على ٤٨٪ من قيمة الدخل الزراعى بينما يحصل ٢٠٪ من متوسطى وكبار الملاك على٥٢٪وبلغ الأجر الفردى السنوى فى قطاع الزراعة ١٩١ جنيهاً بينما كان الأجر الفردى على المستوى العام للدخل القومى ٦٣٠ جنيها.**

وفى عام ١٩٨٦ أصبحنا نستورد أغلب المحاصيل الغذائية . ووصلت الفجوة الغذائية إلى نسبة ٣٢٪ ذره، ٤٨٪ سكر، ٥٣٪ عدس ، ٧٨٪ قمح وأصبحت القيمة النقدية للسلع الغذائية المستورده تضيف حوالى **٣ مليارات دولار** لديون مصر فى السنة الواحدة.

وفى عام ١٩٨٨ بلغ نصيب الريع من الدخل الزراعى ٢٩٪ بعد أن كان ٤٦٪ عام ١٩٦١.

وأخيرا في ديسمبر عام ١٩٩١ أصبح **٢ر٢٪ من الملاك فى مصر يملكون٣٪من مساحة الأراضى حسب بيانات جهاز التعبئة وازاد عدد المعدمين فى الريف حيث أصبح من ٣٠ إلى ٤٥٪ من سكان الريف لا يملكون أرضاً واصبح من ٣٥ إلى ٤٨٪ من سكان الريف يعيشون تحت خط الفقر . وارتفعت اسعار مستلزمات الانتاج نتيجة الغاء الدعم لتصل ٦٧٠ ٪ للاسمدة ، ٧٠٠٪ للتقاوى.**

ولمواجهة ذلك خاضت قوى اليسار معارك كبيرة للمحافظة على استقرار الأوضاع في الريف واستقرار العلاقة الايجارية بين المالك والمستأجر . ومن أجل ذلك بادرت قيادات التجمع الفلاحية والقيادات المتخصصة في قضايا الزراعة والريف.**عبد المجيد الدويل ومحمد عراقى وشاهنده مقلد وعريان نصيف ومحمد مهير وعبد المجيد الخولى وبشير غنيم وسعد قنديل وعلى عبد المجيد ود. محمد أبو مندور ود أحمد حسن ابراهيم ود. محمود منصور وسيد العشرى** إلي تكوين «اتحاد الفلاحين- تحت التأسيس» وجابوا اقرى مصر وعز بها من أقصى شمال الدلتا إلى اسوان.

المرحلة الثالثة: قانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢

مع بداية التسعينات أصبح واضحا أن الحكومة في سبيلها لضرب العلاقة بين المالك والمستأجر في الأراضي الزراعية استجابة لمصالح أجزاء رئيسية من الحكم وخضوعاً لشروط صندوق النقد الدولى وأدركت قوى اليسار مبكراً توجهات الحكم الجديدة ونادت بعدم جواز طرد المستأجر من الأرض تحت أي اسم ولكنها كانت حريصة على أن تتيح للمالك الاستفادة من أرضه في إطار الحفاظ على مصالح الطرفين والحفاظ على استقرار الريف.

كتب **عريان نصيف** في العدد التاسع عشر من «اليسار» «سبتمبر» ١٩٩١داعياً إلى**«ضرورة العمل على إيجاد علاقة ايجارية متوازنة وعادلة بين الملاك والمستأجرين».** وحذر من التوجهات الحكومية «بدلاً من أن تقوم الحكومة بتطوير قواعد العلاقة الايجارية في إطار الحرص على مصالح كل من الطرفين من ناحية والاقتصاد الزراعي من ناحية أخرى تطرح المحاولات المستمرة لتدمير هذه العلاقة بما يهدر مصالح كل من المستأجرين وصغار الملاك وبما يوسع أيضا من الفجوة الغذائية.

واستجابة لضغوط صندوق النقد الدولى وكبار الملاك الزراعيين تطرح الحكومة مشروع

شاهنده مقلد
اتحاد للفلاحين

القانون الجديد للمناقشة والذى كان حريصا على إنهاء العلاقة الايجارية فى الأراضى الزراعية بشكل سريع وتتعالى التحذيرات من مخاطر التشريع من جانب اليسار المصرى لنقرأ على صفحات «**اليسار**» الاتى:

وكتب **أحمد عقل** يقول يزداد القلق هذه المرة من الحملة الأخيرة لان المناخ مواث للملاك وصوت القوى السياسية المعبرة عنهم أكثر وضوحا وحسما.

إن هذا المشروع ليس مجرد تشريد ١٫٢ مليون أسرة مستأجرة فقط بل أنه يدفع بالمجتمع إلى دائرة مجنونة من العنف الاجتماعى «سيؤثر طرد المستأجرين على من الصناعة المصرية ونموها لانه يؤدى إلى ضيق السوق الاقتصادى باخراج هذا العدد الكبير من المستأجرين منه.

وكتب «**فايز عقل**» لقد انحاز القانون إلى جانب المالك ضد المستأجر بشكل تعسفى». وكتب «إن الموقف جد خطير ومستقبل ١٫٢ مليون أسرة مستأجرة مظلم فى ظل مشروع هذا القانون وسيكون هناك ضحيتان المستأجر والمستهلك محدود الدخل وستصبح الحياة على أرض مصر نار.. نار الاسعار.. ونار القلاقل.. ونار المظلومين».

وتكتب **شاهنده مقلد** تقول« إننا نقف ضد مشروع هذا القانون الذى يكرس الخط الهدام لقوة الاقتصاد القومى باضعاف ركيزة اساسية للدخل القومى وهى القطاع الزراعى.

وكتب د. **أحمد حسن** فى إحدى دراساته حول القانون «ان ترك تأجير الأراضى الزراعية لقوانين واليات السوق فى ظل أوضاع التنمية الراهنة من شأنه أن يرفع قيمتها إلى مستويات مبالغ فيها. وان يرفع بالتالى تكاليف انتاج الحاصلات الزراعية المصرية على نحو لا يعجزها عن المنافسة فى أسواق الصادرات الزراعية فحسب وانما يعجزها أيضا عن الصمود أمام الواردات من هذه الحاصلات فى السوق المصرى مع ما فى ذلك من إضرار بالاقتصاد المصرى عامة.

وفى إطار الدفاع عن علاقة صحيحة ومستقرة بين المالك والمستأجر فى الأراضى الزراعية طرح التجمع مشروع قانون جديداً. ينص على

١- عدم جواز طرد المستأجر من الأرض تحت أى اسم طالما يفى بالتزاماته تجاه الأرض والمالك.

٢- رفض تحويل الايجار النقدى إلى ايجار بالمزارعة الا بموافقة الطرفين.

٣- التمسك بمبدأ الامتداد القانونى لعقد الايجار.

٤- إعادة النظر فى القيمة الايجارية بصورة متدرجة لتحقيق عائد مواز لجهد المستأجر واسرته طوال العام وقيمة ايجارية عادلة للمالك.

٥- انشاء صندوق يتم تمويله من الفروق بين أسعار المحاصيل واسعار التصدير ويقوم بدفع ثمن الأرض للمالك الصغير فى حالة رغبة بيعها وتمليكها للمستأجر على أن يسدد قيمتها على أقساط طويلة الأجل.

تجاهلت الحكومة كل تحذيرات اليسار المصرى وصدر القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ والذى أنهى عقود الايجار الزراعية نقداً أو مزارعة بانتهاء السنة الزراعية ٩٦/١٩٩٧ واخضع النص المادة الثالثة من عقود الايجار التى تبرم اعتباراً من تاريخ العمل بهذا القانون للاحكام الواردة فى الباب الثانى من الكتاب المدنى.

لمدة أربع سنوات ظل الفلاحون غير مصدقين انه سيتم الغاء العلاقة الايجارية فى الأراضى الزراعية وسيتم طرد الفلاحين منها فلم يتحركوا. وازاء صمت فئة المستأجرين عن حقوقهم لم تتخذ الحكومة أى اجراء لتدارك الوضع أو الحد من القانون وظلت صامتة حتى بداية العام الحالى.

فوجئ الفلاحون بصدور قرارات عدم تجديد الحيازات الزراعية فبدأت التحركات الفلاحية .وفى مواجهة ذلك بدأت الحكومة فى طرح مجموعة من الحلول والتى ثبت عدم جديتها حتى الان.

وشهد الريف المصرى أحداث عنف لم يشهدها طوال تاريخه والتى سوف يكون لها أثر شديد على طبيعة الحياة فى الريف فى المستقبل القريب وخصوصاً فى ظل تفشى أحداث العنف وظاهرة الارهاب فى المجتمع.

مع بداية تطبيق القانون ازدادت حدة المواجهات فى الريف المصرى بين الملاك والمستأجرين .كما بدأ التصارع على ايجار الأراضى الزراعية فى الأماكن ذات المساحة الزراعية المحدودة فى بعض مراكز محافظة المنوفية نتيجة لدخول أصحاب الأموال لسوق الايجار والذين ضاربوا بشدة للحصول على مساحات كبيرة من الأرض التى لم يتمكنوا من شرائها تمهيداً لشرائها فى المستقبل.**مما اضطر الفلاحون إلى اللجوء لبيع مواشيهم-احد أهم- مصادر معيشتهم- للدخول فى هذه المنافسة فهبط سعر الماشية ليخسر الفلاحون على الجانبين.**

ان هذا القانون سيتيح الفرصة أمام أصحاب الدخول الطفيلية ومن كونوا ثروات مشبوهة وأموالا غير نظيفة باستغلال أزمة الملاك الصغار وشراء ممتلكاتهم وتجميع أكبر قدر من الأرض كى يتربعوا على الريف بانشاء العزب والوسايا وعودة قهر الفلاحين.**بل الملاك الزراعيين أصحاب الملكيات الصغيرة حتى ثلاثة افدنة سيكونون ضحية أيضا فى ظل ارتفاع مستلزمات الانتاج وسيادة الميكنة الزراعية وعدم قدرتهم على تنمية ملكياتهم الصغيرة لانه ليس هناك فلاح يملك فداناً يستطيع أن يشترى فداناً آخر.**

وفقا لتقرير هام صادر من لجنة الانتاج والقوى العاملة بمجلس الشعب فانه من المتوقع أن تزيد **الفجوة الغذائية عام ٢٠٠٠ إلى النسب** التالية٣٨٪ الارز، ٥٥٪ الذره، ٧٨٪ البقول، ٨٥٪ القمح، ٩٠٪ الزيت مما يعنى مزيداً من التبعية.

وهكذا يتم القضاء على أول قانون اجتماعى أصدرته ثورة يوليو مما سيؤدى إلى مزيد من تركيز الملكية فى الريف المصرى لتظهر من جديد نسبة نصف ٪ التى تمتلك ٥٠٪ من الأراضى الزراعية وذلك بعد أن يصبح المستأجرون وصغار الملاك عمالاً زراعيين والذى سيؤدى إلى مزيد من تدنى مستوى المعيشة فى الريف حيث من المتوقع أن يرتفع عدد الفلاحين الذين يعيشون تحت خط الفقر فى الريف المصرى إلى معدلات لم يشهدها الريف المصرى من قبل.

وباختصار يعود الوضع فى الريف المصرى لما كان عليه قبل ٤٥ عاما بل إن الوضع سيكون أشد وطأة نتيجة لاحداث العنف التى شهدها الريف المصرى فى ظل تطبيق القانون والتى تركت وراءها بذور الثأر تتفاعل مع ما يشهده المجتمع من أحداث عنف وارهاب فى ظل تفشى الفقر والبطالة .

إن الموقف جد خطير والمستقبل ينذر بعواقب وخيمة.

مصر

حينما يتضخم القطاع غير المنظم

البـاعـة الجـائـلـين فـى شـارع المـوسكـى

إن نظرة واحدة لشارع الموسكى بوسط القاهرة تكفى للدلالة على المستوى الذى وصل إليه حجم القطاع غير المنظم في مصر.ومن الصعب أن تعبر هذا الشارع بطوله دون أن تستدعى ذاكرتك صور الاسواق المصرية فى العصر المملوكى أو العثمانى التى تراها فى الأفلام التاريخية. ولكنك بأى حال من الأحوال لن تشعر أنك داخل سوق فى مجتمع «حديث» (ما بعد حداثى ربما!).

سامر سليمان

يبدأ المشهد الأول وأنت تسير بصعوبة فى الشارع المزدحم، الذى يقارب زحامه زحام أتوبيسات النقل العام. يصطف الباعة الجائلون على جانبى الشارع أمام المحلات التجارية وهم ينادون على بضاعتهم ومعظمها من الملابس بعضهم يستخدم الطبل والغناء لجذب الزبائن. والزبائن تتوقف لمعاينة البضاعة والمفاوضة على السعر. المهم أن حركة البيع الآن تسير بشكل نشط.

وفجأة يبدأ المشهد الثانى وهو الأهم.

فى خلال عدة ثوانى يجمع الباعة الجائلون بضاعتهم ويهرولون ويتدافعون فى اتجاه الحوارى الجانبية المتفرعة من شارع الموسكى. وأثناء ذلك بالطبع تتساقط منهم بعض البضاعة. ولكن ذلك غير مهم، فالأهم هو الفرار من الغول القادم. **وهذا الغول هو تجريدة الشرطة التى تقوم بحملات لضبط الباعة الجائلين** والتى عادة ما تضبط عدة باعة وتلقى بهم مع بضاعتهم فى سيارات الشرطة بينما ينجح الباقون فى الفرار.

ولكن الأغرب هو المشهد الثالث وذلك حين ترحل الغارة . فبعد دقائق يتدفق الباعة من الحوارى المجاورة ويعود الشارع كما كان بالضبط وكأن شيئا لم يكن. ومن الجدير



بالذكر أن ذلك المشهد يتكرر بشكل شبه يومى مما يجعل المرء يتساءل عن الهدف الحقيقى لتلك الحملات فمن الواضح أنها لا تحقق أى نتيجة فى مجال مكافحة التجارة غير الشرعية فى الشارع.

إن الحالة التى وصل إليها شارع الموسكى تلخص وتكشف مجموعة من الظواهر الاقتصادية والاجتماعية التى تنامت فى المجتمع المصرى فى السنوات الأخيرة . ويمكن التعرف على هذه الظواهر من خلال استعراض القطاعات التى ترتاد هذا الشارع وعلاقات التبادل والصراع التى تنشأ بينها. **والحقيقة أن علاقات الصراع لا تنبع فقط من الزحام وكثافة العلاقات بقدر ما تنشأ من تناقض المصالح** . إن الأطراف المتواجدة فى هذا الشارع هم **الباعة الجائلون وزبائنهم ،وتجار المحلات وزبائنهم**. هذا بالاضافة بالطبع إلى **الدولة الممثلة فى الشرطة** التى تقوم بحملاتها من آن إلى آخر.

ليس من الصعب تفسير الأعداد الكبيرة من الباعة الجائلين فى الشارع، لأن ذلك يعود إلى النمو المذهل الذى شهده القطاع غير المنظم فى السنوات الأخيرة والذى يعمل كمنفذ للكثير من العاطلين الذين لفظتهم الدولة بعد أن تخلت عن تعيين القادمين الجدد إلى سوق العمل، والذين فشل القطاع الخاص بنموه المحدود فى استيعابهم. **وبلاحظ أن غالبية هؤلاء الباعة من حملة الشهادات ،وبعضهم حاصل علي شهادات جامعية** . وذلك يعطى مؤشراً على تغير التركيبة الاجتماعية للباعة الجائلين التى كانت تتميز بغلبة العناصر محدودة التعليم القادمة من الريف.

إن القطاع غير المنظم -بالتعريف- لايخضع للاحصاءات الحكومية، وذلك يعنى أنه ليس هناك رقم دقيق عن عدد الباعة الجائلين فى مصر. **على أن البعض يقدر عددهم بنحو ثلاثة ملايين بائع، يوجد منهم فى القاهرة نحو مائتى ألف.**

الطرف الثانى الذى يرتاد شارع الموسكى هم الزبائن. وهؤلاء يأتون إلى هذا الشارع بالتحديد للبحث عن بضاعة رخيصة الثمن، فمعظم بضاعة الباعة الجائلين تكون من السلع الرديئة الأجنبية المهربة من بورسعيد أو من بواقى المصانع المصرية. وبالطبع **زاد الاقبال على هذه النوعية من السلع مع تدهور الحالة الاقتصادية لقطاعات واسعة من الجماهير.**

ولأن الباعة الجائلين يبيعون سلعا تماثل فى كثير من الأحيان تلك التى تبيعها المحلات ولكن تنخفض عنها فى السعر بشكل ملحوظ فان ذلك يثير حنق أصحاب المحلات عليهم. فهؤلاء يعتبرون الباعة الجائلين **«كائنات طفيلية»** تقتات على حسابهم فهم «يستفيدون من إضاءة المحلات، وهم لا يدفعون ضرائب أو إيجار للمحلات الأمر الذى يمكنهم من بيع البضاعة باسعار رخيصة وتحقيق هامش ربح مرتفع. هذا بالاضافة إلى تلويث الشارع ببقايا السلع والأكياس».

أما الباعة الجائلون فهم من جانبهم ليس لهم خيار آخر، فليس هناك فرص للعمل. وحتى لو وجدت فانها لاتغنى. فماذا يفعل المرء بمائة أو مائة وخمسين جنيها شهريا؟ والحقيقة أنه من الصعب أن تحصل على إجابة شافية من الباعة الجائلين عن دخلهم الشهرى المتوسط لأن الرد غالبا سيكون «أن ذلك بيد الله وحده» . ولكن بعد مماطلات ،وبعد سؤال العديد منهم، وأخذا فى الاعتبار التخفيض الذى يجرونه علي دخولهم خوفا من الحسد ، يمكن القول **أن دخول الكثيرين منهم تتراوح ما بين خمسمائة إلى ألف جنيه فى الشهر، وهو الحد الأدنى حتى لا يجوع المرء هو والأسرة التى يعولها.**

والصراع بين أصحاب المحلات والباعة الجائلين غالبا ما يستدعى تدخل الدولة ، ممثلة فى المحافظة والشرطة وهنا نأتى إلى الجانب العبثى من الموضوع. فكما قلنا من البداية فان الشرطة تقوم بحملات يومية لضبط الباعة الجائلين و«تنظيف» شارع الموسكى منهم. وهذه الحملات أصبحت نوعا من «الروتين» الذى اعتاد عليه الباعة إلى الحد الذى جعلهم يستعينون ببعض **«الناضورجية»**لتحذيرهم عند مجئ الشرطة. وتنتهى الحملة عادة بالقبض على بعض الباعة وعودة الحياة الطبيعية للشارع بعد انصراف الشرطة ببضع دقائق الأمر الذى يطرح علامات الاستفهام عن دوافع هذه الحملات إذا كانت لا تحقق أى نتيجة فى منع التجارة غير الشرعية فى الشارع.

من أحاديث الباعة الجائلين يمكن أن تستشف **أن الهدف من هذه الحملات هو جمع بعض الأتاوات من الباعة. فالباعة الذى يتم القبض عليهم يدفعون الغرامات وهم يؤكدون**





أنهم يستردون جانبا يسيراً من البضاعة أما البقية فتختفى فى ظروف غامضة !.

هناك تفسير آخر، من النوع الوظيفى، يمكن أن نتصوره وهو أن الدولة لا ترغب حقا فى إحكام قبضتها على التجارة غير المنظمة لأنها تمثل صمام أمان اجتماعى لكثير من العاطلين. وكما قلنا من قبل فان بعض التقديرات تشير إلى أن أعدادهم وصلت إلى ثلاثة ملايين بائع على مستوى الجمهورية. الحقيقة أنه من الصعب الجزم بهذا الاحتمال، ولكن من المؤكد أن ما يحدث فى شارع الموسكى، كما فى العديد من الشوارع الأخرى، يبين بشكل جلى **ضعف الدولة المصرية**. إن هذا الدولة تظهر قوة كبيرة فى المجال السياسى أمام التيارات السياسية المناوئة لها. فلا يوجد أى تيار سياسى اليوم يمكن أن يمثل تهديدا حقيقيا للدولة. ولكن حين يتعلق الأمر بالسيطرة على الحياة اليومية وضبط ما يسمى بالفضاء العا.PUPLIC SPACE فان ضعف الدولة يظهر بشكل واضح للعيان.

نقابة للباعة الجائلين؟

المفاجأة التى يمكن أن نخرج بها من هذا الموضوع هو أنه هناك نقابة للباعة الجائلين فى مصر مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية هى **جمعية الباعة الجائلين** وهذه الجمعية لها رئيس هو **«الداخلى محمد حسين»** تأسست الجمعية عام ١٩٥٨ فى الوقت الذى كانت السلطة الناصرية مهتمة بخلق تمثيل لكل قطاعات المجتمع من أجل إحكام السيطرة عليها. والمضحك حقا أن هذه النقابة تشبه إلى حد كبير نقابة الصحفيين ! فكما أن نقابة الصحفيين لا تقبل فى عضويتها كل الصحفيين، فان جمعية الباعة الجائلين أيضا لا تقبل إلا أقلية من الباعة. وعلى سبيل المثال فانها **لا تضم إلا حوالى ٤٠٪ من مجموع الباعة الجائلين فى محافظة القاهرة.** ولكى تحصل على عضوية الجمعية يجب أن تكون بائعا جائلا معترفا بك عند الدولة، أى أن تحصل على بطاقة بائع متجول من المحافظة . ولكن المحافظة توقفت عن منح هذه البطاقات ، وهكذا تجمد عدد أعضا ، هذه الجمعية. وحتى الذين يحملون بطاقة بائع متجول فان ذلك لا يعفيهم من الحصول على نصيبهم من «تحيات» رجال الشرطة التى تبدأ بالشتائم وتنتهى بالصفعات والركلات فحين تستمع لشكاوى البائعة من معاملة رجا الشرطة لهم تشعر أن هؤلاء الباعة بالنسبة للشرطة ليسوا أكثر من حشرات يمكن سحقها بالقدم! ألم يقل أحد قادة هذا الجهاز أن الباعة الجائلين مثل السرطان لا يصلح معهم إلا البتر؟.

يكشف حديث رئيس جمعية الباعة الجائلين عن عجز تام فى مجال حماية أعضائه والدفاع عنهم. فهو يقول إنه يحاول التدخل لدى المسئولين لحل مشاكل الباعة، ولكن بلا فائدة. لماذا؟ **يقول إن السبب يكمن فى «الرأسمالية المستغلة» (كما قالها بالحرف) من أصحاب المحلات الكبيرة ،التى تستطيع تعبئة الدولة ضد الباعة الجائلين .** ولكن هذا الاحساس بالضعف وقلة الحيلة لا يدفعه إلي فتح جمعيته أمام كل الباعة الجائلين الراغبين في الانضمام إليها. وهذا مكمن ضعفه لأن التفاوض مع الدولة لا يتم بالاقناع ولكن من خلال ضغط جماعى منظم.

على أية **حال اذا كانت كل الفئات المقهورة فى البلاد لا تمتلك تنظيمات قوية ومتماسكة تدافع عن مصالحها، فهل نطلب ذلك من فئة هى بطبيعتها تميل إلى العمل الفردى غير المنظم؟ ألا يسمونها القطاع غير المنظم؟.**

حول كارثة صالحجر الأليمة

□ أرواح الزهور البريئة.. أمينة وعيد ونعناعه.. تطلب القصاص.

□ المحاكمة والعقاب.. يجب أن يكونا للمسئولين عن السياسة الزراعية.

□ تراجيديا واقعية فى ثلاثة مشاهد.

من الضحايا


ياسمين العبد


نورا جمعه عقاب


عبد النبى السايس


سمير البديوى


صفاء خليفة


بسمة عبد اللطيف


أنس البديوى


أمينة محمد

المشهد الأول: فرحة فقراء الفلاحين.

الزمان: مساء يوم الاثنين ١٥ سبتمبر ١٩٩٧.

المكان: قرى وعزب «صالحجر، كفر عسكر، أبوطه» من أعمال مركز بسيون.

الاضاءة: رغم الظلام الطبيعى فى قرى مصر، إلا أن القمر يحيط تلك القرى بضيائه الهادئة الحنون.

هل رأيتم عصافير الربيع المغردة ،وهى تنتقل بسرعة ونشاط من شجرة إلى أخرى محاولة التعبير- بزقزقتها المحببة- عن الطاقة والفرح واللهو البرئ؟. هل استمتعتم بأريج زهور«البسلة» مختلفة الألوان، وبعطر أشجار الموالح وشذاها يتطاير فى الحقول والبساتين؟.

إن لم تكونوا قد رأيتم هذه العصافير أو استمتعتم بتلك العطور ، فكان يكفى أن تشاهدوا .. **أمينة ونعناعه وعيد وسميحه ومصطفى..** والعشرات من أبناء وبنات تلك القرى والعزب، فلقد كانوا فى ذلك المساء وهم يستعدون للترحيلة التى تبدأ من صباح الغد لجنى القطن **وبأجر يومى قدره جنيه ونصف لكل منهم-** أكثر نشاطا ومرحا من تلك العصافير، وأشد انتعاشا وفرحة من هذه الزهور.

*****عيد**.. أصلح شنطة الكتب استعدادا لبدء العام الدراسى الذى يبدأ -بالنسبة له ولأمثاله- بعد العودة من الترحيلة.

* **منال:** أخرجت- للمرة المائة- فساتينها الجديدة الثلاث وطقم أكواب الشربات ومجموعة أوانى الطهى الألومنيوم، تتأملها وتحلم- وفى يدها صورة خطيبها -بحياتها الجديدة، فلقد تحدد يوم «الدخلة» فور عودتها من الترحيلة.

* **حميده:** ذات العشرة أعوام ، نامت والبسمة تملأ وجهها الصغير، فلقد وافقت أمها على أن تشترى لها حذاء جديدا من أجر الترحيلة.

*****نعناعه:** التى أخرجوها من المدرسة حتى تساعد أسرتها من خلال العمل بالحقول ، ليست حزينة لما سيلحق بها من معاناة- تعرفها جيدا-

عريان نصيف

فى هذه الترحيلة، بل على العكس **تشعر بالفرح والفخر لأن أجرها- هى وشقيقتها عزة- سيمكن والدها الذى تحبه كثيرا من مواصلة العلاج من الداء الذى طرحه أرضا منذ عدة أعوام.**

المشهد الثالث: لوعة فقراء الفلاحين.

الزمان: مساء الثلاثاء ١٦ سبتمبر ١٩٩٧.

المكان: نفس القرى والعزب.

الاضاءة: ظلام دامس ، فالقمر «مخنوق».

الموقف: سيارات الاسعاف تصل محملة بجثث تلك الزهور.

الصوت: دقائق من «تعديد» الأمهات ، تليها نوبات من الصراخ و«الصوات» .. تملأ جنبات تلك البيوت القزمية الفقيرة.

* **فى بيت اسماعيل مبروك السودانى: ١٨ سنة** -الصف الثالث الثانوى التجارى.. تصرخ أمه من اللوعة، فأبوه غير موجود وحتى لا يعلم بما حدث لابنه فهو عامل تراحيل ينتقل من محافظة إلى أخرى وراء لقمة العيش ولا يعود إلى قريته إلا عند اشتداد مرض الربو عليه.

«يا ولد يابو خرايز ريال.. ايش هوّنك ورماك فى الكيمان

يا ولد يابو خرايز فضة. إيش هوّنك ورماك فى الملجه

ولد شريف مضرور فى صره.. خده الموت ورماه بره

ولد شريف مصرور فى شاله.. استخسره علىّ الموت وشاله»

.. ويرتفع النحيب والصوات.

* **فى بيت منال محمد :١٩ سنة** - زفافها كان سيتم يوم الجمعه.

«من الحرير حريرى.. ما اتمتعتيش فى عمرك القصير.

من القماش قماشى.. جيتى تفرحى لقيتى العمر ولاش

٢٠٠ عامل وعاملة تراحيل فى سيارة نقل يموت منهم ٣٣ ويصاب أكثر من ٧٠ من حادثة واحدة


نيابة كفر الشيخ أثناء معاينتها للحادث

حريرهم السنات لبسوه.. وأنت حريرك فى التراب حطوه

راحت ضنايا ولا اتهنت .. حتى كساوى الفرح يا شابه ما اتبلت».

.. ويعلو الصراخ.

* فى بيت عبده السيد: ١٣ سنة -تعيش الأسرة من ايجار فدان وثلاثة قراريط.

تعدّد الحاجة صبيحه أمه:

يا مغسله قبل أن تبل الضهر.. ميل عليه وقول له الغياب كام شهر.

يا مغسله قبل أن تبل ايديه.. ميل عليه وأساله الغياب قد ايه.

يا مغسله غسله بماء الطيب.. وقول له مع السلامة يا أجمل حبيب».

.. وتتفجر اللوعة.

المشهد الثانى: -بين المشهدين السابقين- **بؤس فقراء الفلاحين.**

خبر صغير فى صفحة الحوادث والجرائم ببعض الصحف اليومية:

« **سقطت سيارة نقل(لورى) كانت تحمل فى صندوقها حوالى ٢٠٠ فتى وفتاة- من عمال التراحيل- فى مصرف«برش» بمحافظة كفر الشيخ» توفى منهم ٣٣ وأصيب أكثر من ٧٠ ، وذلك بعد عودتهم من جنى القطن يوم ١٦ سبتمبر الجارى».**

هامش على المشاهد الثلاثة.

بالتأكيد سيكون هناك من يقولون- بعد قراءة هذه السطور- ما هذا الاستغلال الردئ لمجرد حادثة مؤسفة؟!

ما هذا «**العويل**» والتعديد- غير المستحب أو حتى معهود فى الصحافة المحترمة ! -حول حادث يقع يوميا فى كل بلاد العالم، ويتم التحقيق فيه ومحاسبة المسئول عنه؟ ونحن على استعداد لأن ننقد أنفسنا نقداً ذاتياً على هذا الأسلوب/ المناحة، اذا تم فعلا عقاب المسئولين عن تلك الجريمة، ليس سائق السيارة الذى هو -أيا كان خطؤه- لا يقل بؤسا عن ضحاياه ، ولكن للمسئولين الحقيقيين عن هذا الحادث الذى يتكرر باستمرار ويروح ضحيته العشرات من أبناء وبنات الأجراء والمستأجرين وفقراء الفلاحين.

المسئولون الذين نطالب بمحاسبتهم هم:

* من أوصلوا الفلاحين- بسياساتهم المدمرة- إلى أن **يعيش حوالى ٦٠٪ منهم فى حالة الفقر المدقع -وفقا لدراسات الجهات المتخصصة محليا وعالميا**مما يضطرهم إلى تقديم أطفالهم فريسة للاستغلال والعمل الشاق حتى يساعدوهم فى تحمل النفقات الضرورية للحياة الانسانية البسيطة.

* **الذين وصل عدد العاطلين فى الريف- بفضل توجهاتهم المهدرة للزراعة وللفلاحين- إلى أكثر من أربعة ملايين مواطن.**

* **من أضاعوا على مصر حوالى مليون فدان من الأرض الزراعية سواء بالتجريف** والبناء بالنسبة للأرض القديمة الخصبة، أو بالتبوير والتصفية والبيع للمستثمرين بالنسبة للأراضى المستصلحة ، وأفقدوا الفلاحين بذلك امكانات كبيرة كانت كفيلة باستيعاب طاقاتهم وحاجتهم للعمل وللدخل.

* **الذين سمحوا لغير المصريين بتملك مئات الآلاف من الأفدنة من أرض مصر ليستزرعوها ويستنزفوها**، بدلا من إعدادها- انتاجيا ومعيشيا- كمجالات عمل للفلاحين وإمكانات خير ونماء لمصر كلها.

***من صفّوا فعليا الحركة التعاونية الزراعية وتركوا الفلاحين** -من مستأجرين وصغار ملاك- نهباً للسوق السوداء ومافيات التجارة والاستيراد، مما أنقص كثيرا من دخلهم المحدود بطبيعته.

* الذين لا يكتفون بكل ذلك، **بل يصرون على اهدار حياة الفلاحين بالقانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢** ، *الذى لن تكون له من نتيجة* سوى المزيد من افقار الملايين من الفلاحين إن لم يكن القذف بهم فى ظلمات البطالة الكاملة.

هؤلاء هم المسئولون الحقيقيون الذين يجب عقابهم والقصاص منهم ، ليس على هذا الحادث فحسب، بل على كل الحوادث المماثلة والمستمرة، كمأساة العام الماضى وانقلاب عربة محملة بعشرات الأطفال الضحايا -بقرية «**ميت الدبية**» ، وكحادث مصرف السعد بالبحيرة الذى أفنى فيه الدود المتوحش السام العشرات من عمال التراحيل عندما نزلوا فيه باجسادهم لتطهيره بايدهم، وعلى إصابة المئات من الأطفال سنويا بداء السل نتيجة قيامهم بجنى محصول الياسمين دون توفير الظروف الملائمة والمكنة لحمايتهم.

.. هؤلاء هم المسئولون الحقيقيون أيها السادة الذين جرحت مشاعركم الرقيقة وأسيئ إلى أمزجتكم المرهفة، من تسجيلنا لبعض تعبيرات اللوعة الانسانية الصادرة من أمهات الزهور المحطمة.

.. **وعندما يتم محاسبتهم وعقابهم عن جرائمهم المستمرة فى حق الفلاحين، وسنعتبر الأمر فعلا، مجرد حادث مؤسف -كما تقولون- يقع مثله يوميا فى كل بلاد العالم.**

.. أما قبل ذلك.

فستظل دماء أمينة ونعناعه وعبد وعشرات الضحايا الأبرياء، نارا لا تنطفئ فى اجسادكم وأجساد هؤلاء المسئولين.

وستنطفئ براءة طفولتهم التى اغتيلت، وصمة عار فى جبينكم وجبين هؤلاء المسئولين وستبقى أرواح تلك الزهور الجميلة، أطواقا من حديد فى عنق كل من لا يقف- باصرار وجسارة- ضد من أزهقوها.


د. يوسف والى

واقع الطفل المصرى

فى نهاية القرن العشرين

* أطفال الشوارع .. خمائر العنف والجريمة

*٤٠٪ من أطفال مصر محرومون من حقوقهم



تأليف : د. عماد صيام

عرض: نادية رفعت

ينطلق كتاب «واقع الطفل المصرى **فى نهاية القرن العشرين» للدكتور عماد صيام والصادر عن مركز الدراسات والمعلومات القانونية** لحقوق الانسان عام ١٩٩٦ من حقيقة أن الأطفال ليسوا فقط حجر الزاوية فى بناء مستقبل الوطن وبالتالى ضرورة اعدادهم لبناء المستقبل ولكن من كونهم بشراً لهم حقوق أساسية لابد من ضمان عدم انتهاكها وفى مقدمتها **حقهم فى التعليم والرعاية الصحية والاجتماعية وحقهم فى الحياة الآمنة المستقرة والترويح واللعب والتعبير عن أنفسهم.**

ويقدم الكتاب صور مؤلمة وبائسة للغاية عن وضع الطفولة فى مصر تتمثل فى **حرمان جزء كبير من الاطفال المصريين الذين يشكلون ٤٠٪ من المصريين من هذه الحقوق** الاساسية وتدهور أوضاعهم التعليمية والصحية. ويأتى جزء كبير من هذه الانتهاكات نتيجة **تعثر المشروعات التنموية ونتيجة الانحيازات الاجتماعية التى لم تراع العدالة عند وضع السياسات والخطط التنموية** وكذلك غياب الرؤية الشاملة التى تعالج بها قضايا الطفولة.

فبالنسبة **للتعليم هناك غياب للتكافؤ الحقيقى فى الحقوق أو الفرص التعليمية المتاحة أمام الأطفال** . فاتساع ظاهرة الفقر فى المجتمع المصرى وعجز آلاف الاسر عن تحمل تكلفة تعليم أطفالها ادت إلى ارتفاع معدلات التسرب من مرحلة التعليم الاساسى والتى وصلت وفقا لبعض التقديرات إلى **٢٥٪ من جملة أطفال مصر** والذين يلتحقون بسوق العمل فى وقت مبكر من حياتهم. كما يبدو غياب التكافؤ فى الفرصة التعليمية فى عدم توزيع الخدمة التعليمية التى ما زالت تتركز فى المدن الكبرى على حساب المناطق الريفية مما ساهم فى تدنى نسبة الاستيعاب فى المدارس والتى تتروارح ما بين ٧٠-٨٠٪ . ويشكل غياب بعد العدالة الاجتماعية أو غياب عدالة توزيع الخدمة التعليمية العامل الاساسى وراء تجدد منابع الأمية**إلى أن ٣٠٠ ألف طفل يلحقون سنويا بحجافل الأمية** . ويصعب تصور كيف يمكن حصار ظاهرة الأمية واجراء اصلاح شامل للنظام التعليمى فى ظل انخفاض نصيب التعليم من الميزانية العامة للدولة و الذى **لم يتجاوز ٤ر٩٪ فى موازنة ١٩٩٣/٩٢** فى حين أن مكافحة أمية الأطفال وتجفيف منابعها يتطلب مضاعفة الانفاق على التعليم بحيث لا يقل عن ٢٠٪ من إجمالى الانفاق العام فى ميزانية الدولة.

كما يلاحظ أيضا **تدهور الحالة الصحية للاطفال المصريين** بتأثير سوء التغذية وانتشار الأمراض وارتفاع نسبة الاعاقة مع تدهور أوضاع الرعاية الصحية وهو ما تؤكده عديد من المؤشرات.

كما اتسعت ظاهرة **عمالة الاطفال** وانخراطهم المبكر فى سوق العمل دون أى تغطية أو حماية قانونية أو اجتماعية وتشير بعض التقديرات إلى أن **٢٩٪ من الاطفال فى الفئة العمرية ٦-١٤ سنة منخرطين فى سوق العمل وأن الطفولة العاملة شكلت ١٢٪ من اجمالى قوة العمل فى مصر عام ١٩٨٨**. وتشكل الطفولة العاملة فى الريف الجزء الاساسى من الأطفال المنخرطين فى سوق العمل حيث تشير الاحصاءات الرسمية الى أن ٨ر٧٧٪ من إجمالى الطفولة العاملة فى مصر تنشط فى قطاع الزراعة ،ومع ذلك لا تحظى هذه الفئة بنفس القدر من الاهتمام الذى تحظى به عمالة الأطفال فى المناطق الحضرية وذلك انعكاسا للانحياز والتمييز التاريخى للمدينة بكل مشاكلها و احتياجاتها

على حساب الريف مما جعل الريف بأسره **الفقيرة التي تعيش أغلبها تحت خط الفقر القطاع الأكثر فاعلية في إعادة انتاج هذه الظاهرة واتساع نطاقها**. وإلى جانب الفقر تساهم عوامل أخرى في اتساع الظاهرة في الريف مثل غياب المؤسسات التعليمية التي يمكن أن تستوعب هؤلاء الأطفال وطبيعة النشاط الزراعي والتركيب المحصولي الذي يعتمد على عمالة الأطفال في بعض مراحله ونمط الحيازات الصغيرة والقزمية التي تعتمد بشكل أساسي على عمالة كل أفراد الاسرة بما فيهم الأطفال بالاضافة إلى انخراط الأطفال كعمالة دائمة بالأجر خارج نطاق الأسرة سواء في النشاط الزراعي أو في أنشطة حرفية أو خدمية او زراعية والتي انتشرت مع الهجرة النفطية في المراكز الحضرية القريبة من القرى.

وظروف العمل في القطاع الزراعي بالنسبة للاطفال قاسية للغاية وخاصة للذين يعملون بعيدا عن أسرهم حيث يتعرضون لمخاطر عديدة نتيجة طبيعة العمل الزراعي سواء على صحتهم أو حياتهم كما يخضعون لاستغلال مركب من قبل صاحب العمل ومقاول الانفار ويحصلون **على أجر أقل من نصف أجر الرجل في حين يتحملون ١٥٪ من إجمالي عدد ساعات العمل الزراعي المطلوبة فعليا** ،كما أن الطبيعة الموسمية للعمل الزراعي والتنقل بين عدة مهن وأعمال لا يسمح للطفل بمراكمة أي خبرة أو مهارة أو التعامل مع أي تكنولوجيا أو وسائل انتاج متقدمة وبالتالي يظل استمراره في سوق العمل مرهونا بقوته البدنية وحالته الصحية. وبرغم الأوضاع البائسة للطفولة العاملة في الريف إلا أن كافة التشريعات المصرية الصادرة بشأن تنظيم وتشغيل الاحداث منذأوائل القرن وحتى اخر تشريع صادر عام ١٩٩٦ وهو قانون حماية الطفل **قد استثنت بشكل صريح وواضح الاطفال العاملين في الأعمال الزراعية والخدمات المنزلية** مما يضع هؤلاء الاطفال خارج أي حماية قانونية أو اجتماعية.

تقرير عن أطفال الورش في مدينة الحرفيين

٣٠ ألف طفل ينضمون سنويا إلى جحافل الأمية

الاطـــفـــال يـــشـــكـــلـــون ١٢٪ مـــن قـــوة الـعمل

ويقدم الكتاب نموذجاً للطفولة العاملة في الحضر من خلال **تقرير عن أطفال الورش في مدينة الحرفيين بحي السلام** . ووفقا لمسح استطلاعي ثبت أن الأطفال يعملون في حوالي ٧١٪ من ورش تجمع الحرفيين ويشكلون **٣ر٣٣٪ من إجمالي قوة العمل**. وينتمي معظم هؤلاء الأطفال للاسر الفقيرة ذات الدخول المنخفضة والعمل غير الدائم ويعملون في المتوسط **١١-١٢ ساعة** وبعضهم معرض بالفعل نتيجة صغر سنهم وعدم خبرتهم لاصابات عمل من النوع الجسيم والتي يمكن أن تؤدي للاصابة باعاقات خطيرة كما أن هناك أنشطة حرفية تؤثر سلبيا على صحتهم وقد بين المسح ان **٦٣٪ تقريبا من الورش لا تناسب انشطتها الحرفية صحة الاطفال في حين أن حوالي ٦٧٪ من اجمالي قوة عمل الاطفال يعملون في ورش انشطتها الحرفية ضارة بالصحة** . ولا يتمتع الاطفال بأي رعاية صحية أو اجتماعية كما يعاني معظمهم من الأمية نتيجة تسربهم المبكر من المدرسة بالاضافة لعدم تمتعهم بأي حقوق تأمينية.

ويستعرض الكتاب ظاهرة أخرى من **انتهاك الطفولة في مصر** وهي ظاهرة **أطفال الشوارع** التي بات يتسع نطاقها مع اتساع نطاق الفقر وتدهور الأوضاع الاجتماعية لآلاف الاسر. وهؤلاء الأطفال تم استبعادهم من نطاق مؤسسات المجتمع على اختلافها الاسرة، المدرسة، ومؤسسات العمل وهم الأكثر عرضة للانتهاك الفج لطفولتهم ولذلك هم **خمائر العنف والجريمة في المستقبل القريب**.

ولا تكتفي الدراسة برصد ملامح الطفولة المنتهكة في مصر، ولكنها تقدم في ذات الوقت مجموعة مفصلة من الحلول والاستراتيجيات البديلة على رأسها تبني **خطة تنموية أعمق وأشمل لتطوير وتحديث والنهوض بالمجتمع المصري ومحاربة الفقر ودعم الفقراء** واجراء اصلاح تشريعي حقيقي يضمن مواجهة كافة أشكال الانتهاكات و يضمن الحماية القانونية والاجتماعية للطفولة وتفعيل دور الجمعيات والهيئات غير الحكومية سواء في مجال محو الأمية أو الرقابة على عمل الأطفال أو تنفيذ مشروعات الرعاية أو الضغط على الدولة للقيام بالتزاماتها تجاه أطفال الشوارع وغيرها من السياسات والاجراءات العامة والجزئية. وأخيرا كما **يقول الدكتور عماد صيام فقضية الدفاع عن الطفولة وحقوقها هي في نفس اللحظة قضية السعي لبناء وطن تسوده العدالة والمساواة والحرية** وهي القيم التي يأتي الاطفال في مقدمة من يتحمل نتائج غيابها ويدفعون ثمنه من براءتهم وحياتهم.



بين السيراميك.. والقاهر والظافر!

عميد ملاح نهرى : محمد عبد السميع مراد

منذ تغير مدير الشركة والمدير العام للمؤسسة معا فى نفس الوقت وعم **عبد الله** عامل البوفيه وساعى الشركة من ٣٥ سنة متغير المزاج ولا يعرف ما الذى حدث له.

خمسة وثلاثون عاما هى عمره وشبابه الناضج عملها خادما مطيعاً لكافة رؤساء الشركة.. ويعرفونه جيدا ويعرفهم ويعلم كل كبيرة وصغيرة فى الشركة منذ أن كانت مكتباً صغيراً به ثلاثة موظفين عام ١٩٥٨ وهو الرابع.. لم يكن تعلم القراءة والكتابة بعد.. وكانت هذه السنة هى سنة الوحدة بين مصر وسوريا.. لا يعرف عم **عبد الله** ما الذى حدث له.. لا يعرف ما الذى يريده هؤلاء الموظفون الجدد بالضبط!! إنه عالم آخر غير الذى تعود عليه.. صحيح أنهم الان فى المؤسسة حوالى ٢٠٠ موظف- مفروض كده- ولكن الحقيقة أن العاملين عددهم لا يتجاوز ٣٠ .. وذلك من خلال طلبات الشاى والقهوة والباقى يظهرون فقط عند صرف المرتبات والحوافز..(مش مهم) هذا شئ تعود عليه ولكن الجديد هو أسلوب العمل.. أنهم يعملون بنظام المشاريع.. والخبطات والصفقات.. ومن زيارة وزير إلى زيارة وزير آخر يعرضون الوهم ويعرضون الأحلام ويروجون لأفكار جديدة لا يفهمها.. وبعد فترة ليست بالكثيرة تنسى وتهمل هذه المشاريع والأوهام ويبدأ المشروع الجديد أو الصفقة الجديدة أو ترتيب لزيارة أخرى للوزير لعرض مشروع اخر.

سنوات العمر تمر بسرعة غير محسوبة عم **عبد الله** ينتظر الخروج على المعاش بعد أيام معدودة وسنين عمره وعمله تمر أمامه كشريط سينمائى سريع ولقطات سريعة ومواقف لا تنسى.. بعض المواقف تظل صورتها ثابتة لا تتغير.. يتذكرها ويتأملها ويقارن ما كان وما هو حاضر دون أن يدرى صورة موقف قبوله كموظف فى الدولة فى يناير ١٩٥٨ وفرحته الغامرة بالوظيفة .. وتتلاحق الصور الشهر الذى يليه اعلان الوحدة بين مصر وسوريا.. وفرحة غامرة وأيام لا تنسى فى حياته الشخصية وأغنية **صباح**(من الموسكى ل سوق الحامدية) .. وبعدها باشهر قصيرة تقديمه لطلب السفر إلى الإقليم الشمالى (سوريا) على أحد البواخر من الاسكندرية .. التذكرة بـ ١٠ جنيهات فقط.. أيام كان الجنيه المصرى يساوى كتير ويشترى كتير، وإن كان لا يوجد الكثير.

وينقطع شريط الذكريات بدخول الأستاذ« **تامر**».

-يا عبد الله أنت فين!! اذهب بسرعة إلى **المهندس ابراهيم** فى **شركة الأمل للأقمار الصناعية** واحضره معك لاصلاح الدش.. اليوم مباراة هامة بين انجلترا والمانيا وكل المديرين سيحضرون لمشاهدتها بمكتبنا.(نعم دش فى مصلحة حكومية.. خلاصة التكنولوجية العالمية فى مصلحة حكومية تعمل بمقاييس وادارة وأسلوب محمد على منذ تحويلها إلى قطاع استشارى لتغطية الخسائر المتلاحقة والمتراكمة وتعين مدير جديد شاب صغير.. أول شئ فعله بعد التحويل ادخال دش إلى المصلحة الحكومية».

ما زال صدى أغنية من الموسكى لـ **سوق الحامدية** يتردد فى أذنى عم **عبد الله** يترنم بها وهو ينزل من على السلم ليحضر مهندس الدش.. ويعود بعد ساعة ومعه **المهندس ابراهيم**.. ويصلح الدش.. ويعود عم **عبد الله** إلى البوفيه ليعد المشروبات للمشاهدين والزوار.. وينتهى من هذه المهمة ويجلس فى ركن من البوفيه ويضع يده على رأسه وينظر إلى الفضاء، ويتأمل سقف البوفيه .. وتقع عينه على صندوق كبير(كرتون) بالصندرة.. ويفكر بسرعة.. أنه يصلح لحمل المشتروات من الشاى والسكر واليانسون والكركديه.. ويحضر سلماً خشبياً متهالكاً ويصعد عليه وينزل الصندوق.. إنه ثقيل.. من مخلفات آخر مرة تم فيها دهان البوفيه.. وينظر إلى ما بداخله.. جرائد قديمة ومجلات أوراقها صفراء.. ينفض التراب من عليها.. ويلفت نظره عنوان كبير بالخط الأحمر بجريدة الأخبار.. كلمة واحدة (اضراب) العدد ١٢٨٦ بتاريخ الخميس ١٦ أغسطس ١٩٥٦ .. مصر ترد على الأكاذيب.. وصور لجمال عبد الناصر.

إنها جرائد موجودة بالبوفية من قبل تعيينه فى الشركة .. أخبار غريبة عن مشاكل بعيدة عن الحاضر وفى جريدة أخرى أخبار عن وصول علماء المان للقاهرة للمشاركة فى إنشاء أول صاروخ مصرى (القاهر والظافر) وعناوين أخرى فى جرائد الاخبار عن الكشف عن عبوات ناسفة فى طرود للخبراء الالمان!!

لم يكن عم عبد الله يقرأ ويكتب عندما تعين بالشركة.. ولكنه تعلم فيما بعد فى فصول محو الأمية. يلتقط عم عبد الله الجرائد ويعيد ترتيبها وينفض التراب بحرص من عليها ويضعها فى صندوق أصغر ويعيده إلى الصندرة.

الصندوق الكبير قاعدته متهالكة.. يقوم بفرش جريدة الأهرام عدد الأمس فى قاع الصندوق .. تنفتح صفحات الجريدة على صفحة العلوم والتكنولوجيا وصورة للمحطة الفضائية (مير) وأخرى لمركبة الفضاء التى ارتطمت به وتعليق على الخبر.. وعن الاضرار التى لحقت بالمحطة.

وفى آخر الصفحة اعلانات مبوبة.. (أقمار صناعية).. يتخيل من يقرأها أنها عن بيع أقمار صناعية مثلها مثل أى سلعة تباع.. ولكنها عن شركات تبيع أنواع مختلفة من الدش!!.

المهم الصندوق أصبح الان معداً لشراء الشاى والسكر.. ويتسلل عم عبد الله ومعه الصندوق فى غفلة من الموظفين المشغولين بمتابعة المباراة وينزل من باب المصلحة..وعند أول السلم تنزلق قدمه عدة مرات ويستقر جثة هامدة.. مات عم عبد الله.

رحم الله عم عبد الله رحمة واسعة.. ورحم الله تلك الأيام والسنين فى حياة الأمة العربية ومصر..

نظرة أخرى إلى الحاضر بعين متفائلة.. مصر بموقعها الجغرافى تعتبر من أنسب الأماكن لإنشاء صناعة الفضاء .. وأقصد صناعة قواعد إطلاق الاقمار الصناعية .. الكبيرة منها والصغيرة الاستراتيجية والتكتيكية .. قرب مصر من خط الاستواء يعطيها ميزة كبيرة فى هذا المجال .. ووجود علماء وخبراء مصريين على درجة رفيعة من العلم يزيد فى امكانيات انشاء هذا الصرح الضخم للحاضر والمستقبل والامكانيات البشرية والمادية متوافرة وبكثرة.. الجيل الحالى من الشباب طموح ولديه الرغبة فى اقتحام علوم الفضاء والمشاركة فيها.. إذا كان فاتهم خدمة بلادهم فى الحروب (١٩٧٣) فانهم يأملون فى المشاركة فى صنع مجد جديد يكتب لهم ولجيلهم ليفخروا به أمام الأجيال القادمة.

انه لشرف لاى شباب ان يعمل فى هذا الصرح عن ان يعمل فى شركة سيراميك.. أو حتى حديد تسليح مثلا.

همومم

د. أحمد محمد صالح

.. اغتيال العقول

كان انعقاد المؤتمر البرلماني الدولي في مصر من المتناقضات المثيرة ، فنحن نستقبل برلمانات العالم التي اختبرت من خلال ديمقراطية حقيقية، ويصدرون من القاهرة الإعلان العالمي للديمقراطية الذي يؤكد على ضرورة توفير ضمانات لاقامة انتخابات دورية حقيقية وحرة ونزيهة، مع الشفافية في جميع مراحلها، وضمان احترام وحماية حقوق الانسان وحرياته الأساسية المرتبطة بالانتخابات ولاسيما حرية الرأى والتعبير وتكوين التحالفات والأحزاب السياسية. والمضحك والمبكى هنا أن يصدر هذا الاعلان من **مصر التي تعاني من الديمقراطية الصورية الهشة المقيدة، والتي يسود فيها منذ فترة ظاهرة محاكم التفتيش في عقول وضمائر المفكرين والمبدعين وأصحاب الآراء بحثا عن أدلة اتهامهم بالكفر والإلحاد ،وذلك تحت مزاعم الحفاظ على الدين.**

وهذه الظاهرة تتميز بعدم الحسم والتكرار والدورية والموسمية، نفس القضايا تتكرر منذ أكثر من مائة عام، وهي في الأصل صراع على حرية الكلمة والتعبير. وفي الفترات التي تموت فيها حرية التعبير والكلمة، تصبح مصر في حالة شبيهة لحالة العصور ، التي كانت السلطة فيها هي المرجع الأخير في شئون الفكر والعلم ، فيختنق ويموت فيها الابداع بكل أنواعه، ويسيطر الأقزام ويختفي العمالقة فالتاريخ يبين لنا دائما أن خنق حريات التعبير والرأى دائما أسلحة الحكومات الضعيفة.

وحملت لنا الأنباء الأسابيع الماضية أن الأزهر يتحالف مع مباحث أمن الدولة لخدمة المتطرفين في مصادرة لكل صاحب رأى أو فكر أو اجتهاد ،وتنشر **روزاليوسف** ١-٩-١٩٩٧ انه في اجتماع داخل مجمع البحوث الاسلامية وضعت **خطة لاستتابة الكتاب الملحدين والشيوعيين والعلمانيين**،وكل من يسئ إلى الاسلام من وجهة نظرهم وفي نفس العدد يكتب **عبد الله كمال:** يقول إنه في السنوات القليلة الماضية لم نسمع عن أنباء مصادرة الكتب في العالم سوى مرتين الأولى خاصة **بسلمان رشدى** والثانية خاصة **بتسليمة نسرين البنغالية** صاحبة رواية العار، وفي نفس الوقت ظلت مصر هي المتصدرة في العالم لأنباء مصادرة الكتب ربما مرة أو مرتين كل عام، فالقائمة طويلة بدأت **بفرج فوده ونجيب محفوظ ويوسف شاهين ونصر أبو زيد وأحمد صبحى منصور وسعيد عشماوى** فكلهم صودرت أعمال لهم سواء كتباً أو روايات أو أفلاماً. وكتب **عادل حموده** روزاليوسف عدد- ٢٠-٨-١٩٩٧ يقول إن الأزهر يحرق ١٩٦ كاتبا منهم الأسماء السابقة ويزيد عليها **حسن حنفى وعلاء صادق وعادل حمودة وعبد الله كمال وغيرهم** كثير.

ورغم كل تلك القيود ظلت مصر طوال تاريخها تفتح قلبها وعقلها للحوار المطلق غير المتقيد بسلطة سياسية أو متخوف من تيار عنف ، الأمر الذي مكن **طه حسين وأحمد أمين ، وأمين الخولى، وشفيق غربال، وتوفيق الحكيم والعقاد، وعبد الرازق السنهورى ، ووحيد رأفت، وزكى نجيب محمود ، ولويس عوض ونجيب محفوظ ويوسف ادريس** وغيرهم كثيرون من إخراج روائع أدبية وابداعات في مناحي العلوم الاجتماعية كافة، وهم يمثلون رواد الحركة التنويرية، وهم المثقفون المبدعون (الانتلجنسيا) الذين تمتعوا بحركة واسعة من الحرية المقيدة بضمائرهم ومصالح الوطن.

إن المفكرين والمبدعين هم منتجو المعرفة، التي أصبحت اليوم من أهم عناصر الانتاج، فالمعرفة هي أساس القوة والاستقلال والاقتصاد والرفاهية. والمفكرون والمبدعون هم المخزون الأكبر للتراث الانساني والقومي، والمصدر الأول للأفكار الجديدة والحلول المبتكرة، وتخرج منهم النخبة المثقفة المسئولة عن تشكيل وإدراك وعى الأمة بذاتها وأهدافها، فالمفكرون والمبدعون هم بداية ونهاية العقلانية والحرية والتنوير.

وفي الدول المتقدمة يلعب المفكرون والمبدعون دورا كبيرا في النقد، وحل المشاكل المعقدة للمجتمع، وغالبا ما يكون لرأيهم الحاسم نتيجة الحرية الواسعة التي ينعمون بها، ويصبح نقدهم المستقل صحيا من أجل المجتمع. أما في دول العالم المتخلفة يفقد المفكرون والمبدعون استقلالهم، ويتحولون إلى موظفين في مصالح حكومية بيروقراطية تحت عناوين ثقافية، وتصبح مصالحهم مسيرة بأشكال متفاوتة من التحكم السياسي، ويصبحون رهينة انحسار واضح في ابداعاتهم، نتيجة منظومة التفاعلات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمجتمعات المتخلفة.

فالحرية في التعبير هي القيمة النهائية


د. نصر حامد أبو زيد


فرج فوده


نجيب محفوظ


حسن حنفى

لمنظومة واستمرارية الحريات من حرية التفكير، وحرية الاعتقاد، وحرية الضمير، وحرية إبداء الرأى وممارسته. وحرية التعبير لها معانى وتطبيقات مختلفة، وأخذت الكثير من المناظرات والمداولات والمجادلات فى العالم، وحتى الآن فى بعض الدول ليس هناك اتفاق على معانيها وتطبيقاتها، فالاختلافات والجدل حول حرية التعبير تتركز حول تطبيقات المبادئ التى تنادى بها، أكثر من كونه اختلافاً حول قضية قبولها أو رفضها للمبادئ نفسها، وتكون المجادلة دائما حول مدى احترام وقبول حدود هذه الحرية فالحكومات الديكتاتورية تحاول التحكم فى عمليات الفكر والابداع وبعض المجتمعات حتى الديمقراطية منها لا تسمح للمفكر ذا النظرة المعادية للديمقراطية، أو الشيوعى ،أو الفاشى بنشر أفكاره، بل تجرده من حقوقه الشرعية وأهليته، وبعض المجتمعات تكتفى بالمراقبة وتسمح بالتعبير عن الأفكار الراديكالية فى حدود عدم التطرف لدرجة التآمر ضد الحرية، وهذه المواقف تعكس الاختلاف فى هامش السماح بتلك الحرية فى المجتمعات المختلفة.

ورغم أهمية حرية التعبير وضرورتها لتنمية الابداع حتى لو كانت تختلف مع المعتقدات السائدة فى المجتمع، ورغم أنها تعتبر من أساسيات الديمقراطية، فهى حرية ليست مطلقة فهى لا تسمح بالقذف والتشهير أو الاساءة وتشويه سمعة الغير، وهى أيضا لها حدود يجب أن تحترمها مثل ديانات الآخرين وأهداف المجتمع ومعاييره، فهى أيضا ضرورية لحيوية النشاط الابداعى من فنون وآداب.

وتقدم حضارات الشعوب يقاس بمدى ما يتمتع به أفرادها من حرية فكرية، وحرية الاعتقاد والتى تعد ضمانه أساسية للمستقبل وللقدرة على الخلق والابداع . وقد استقرت المعايير الدولية لحقوق الانسان على أنه لا يجوز لأى قوة مهما كانت أن تتدخل لسلب تلك الحريات، والمادة ٤٦ من الدستور المصرى تنص على أن تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية، والمادة ٤٧ تقضى بأن حرية الرأى مكفولة، ولكل إنسان حرية التعبير عن رأيه ونشره ، بالقول ، أو الكتابة، أو التصوير أو غير ذلك من وسائل فى حدود القانون.

بقدر الحرية المتوفرة للفرد تكون مسئوليته وضميره فالحرية هى الأصل. وضمير المفكر أو المبدع كما يوضح الدكتور **زكى نجيب** هو جزء من الضمير العام للمجتمع، ألا أنه اختص برقابة العلماء فيما يطالبون به الناس فما يصيب الضمير العام يصيب أيضاً الضمير العلمى. وفى هذا العصر المضطربة أحكامه اختلط على الناس أين الحرية وحدودها وأين أضدادها، وقد تكون واضحة فى بعض الحالات كما فى السياسة بين الحاكم والمحكوم، ولكنها شديدة الغموض فى حالات أخرى مثل حرية العلم. فاذا خرجت نتائج علمية تتعارض مع عقائد الناس فالعلماء، يحرصون على ألا يتقيد العلم إلا بقيود نفسه من خلال مناهجه، ولكنهم أيضا مثلهم مثل سائر الناس حريصون على أن تسلم لهم عقيدتهم ويقع العلماء فى حيرة. وكل موقف بحثى له واقع وتفسير ذلك الواقع واستدلال نتائجه، وفى الجانب الأول(الواقع) لا مجال لحرية الباحث أو المفكر فالواقع واقع، وفى الجانب الثانى (تفسير الواقع) يكون للباحث أو المفكر كل الحرية فى استخدام قدراته ليفسر ذلك الواقع بما يراه تفسيرا مقبولا للعقل. والتفسير معناه رد الشئ إلى ما يمكن أن يكون مصدرا لحدوثه، كما يكون الباحث والمفكر حراً فى استدلال النتائج التى يرى أنها يمكن صدورها عن ذلك الواقع، إلا اذا تدخلت أى سلطة مهما كان نوعها وحالت بين العقل وبين أن يفسر أو أن يستدل، فالحرية ليست فقط حرية التصويت وانشاء الأحزاب واصدار الصحف إنما تشمل حرية التفكير والنقاش والبحث والحوار.

وحرية التعبير تنمو وتزدهر فى المجتمع الديمقراطى، فهى على علاقة تبادلية مع الديمقراطية، واذا كان المجتمع الديمقراطى يستلزم وجود مؤسسات قوية وأحزاب وانتخابات عامة وصحافة حرة وغيرها من منظومة القيم التى ترسخ المفاهيم التى تتطلبها الممارسة الديمقراطية، فالديمقراطية أيضا تستلزم ممارسة حرية التعبير وتوفير حرية الرأى والتعبير واحترام حقوق الانسان، فالحرية ترتبط وجودا وعدما بمنظومة الحريات

التى يقوم عليها المجتمع الديمقراطى.

منذ القرن الخامس عشر بدأت النزعة إلى تحرير البحث العلمى من قيود الدين والعقائد، وشفع لتلك الدعوة التقدم فى البحوث العلمية. والدعوة إلى حرية التعبير خلعت على العلم هالة من الأهمية لم يقدر لها أن تطلق فيضا من الكشوف العلمية فحسب، بل قدر لها كذلك ان تثير الاعتراف التدريجى بما يعتبر الحقوق الأساسية للانسان. وتعكس قضية **جاليليو** الأهمية القصوى لهذه الفترة من التاريخ البشرى. فمجرد إلقاء نظرة عابرة عاجلة على إعلان حقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ يتضح تقريبا، أن الحقوق المنصوص عليها قد استفادت بصورة مباشرة نظريا وتطبيقيا من مبادئ علمية تم اكتشافها فى القرون السابقة، أو من التطبيقات اللاحقة والتالية لهذا التاريخ.

ومن الحقوق التى صاغها الإعلان العالمى، ما زالت حرية الأمن الشخصى وحرية الدين وحرية التعبير أكثر الحريات قابلية للانتهاك. ورغم إنها تعتبر من أهم الحريات البشرية على الإطلاق لأنها تتأثر تماما بالأيديولوجيات السياسية القائمة، وإن الله وهب الانسان القدرة على التفكير والسعى وراء المعرفة. وقضية جاليليو تثبت أن محاولة منع الناس من استغلال هذه الملكات والقدرات أمر يناقض الطبيعة البشرية ويعارض أرقى مصالح الجنس البشرى.

ويقول **كامل زهيرى**: إنه اذا كان الدستور المصرى يعلن الحرية وخاصة حرية الفكر والتعبير، فان الدراسات المقارنة والدراسات التاريخية تكشف عن **انتماء المشرع المصرى إلى المدرسة الانتقائية والتلفيقية، الذى استهلم نصوص مقيدة للحريات وحرص على تعظيم سلطة الدولة على حساب بقية السلطات وحرية المواطن**، وانعكس ذلك تماما على الحريات العامة، ومنها حرية العقيدة والرأى والنشر والصحافة. ويظهر ذلك واضحا فى القيود القانونية الواردة فى قانون العقوبات على حرية الرأى والتعبير والنشر والصحافة. أو القيود الاجرائية فى قانون المطبوعات. وإن من يحلل تلك القوانين ولائحتها التنفيذية يلحظ تصلب ورسوخ نظرية المنح والمنع، كما يلاحظ تصاعد القيود الاجرائية. فهناك قيود دستورية لحرية الرأى، وقيود قانونية لحرية إعلان الرأى، وقانون المطبوعات، وهناك أيضا قيود اجرائية. إن المشرع المصرى يميل باستمرار إلى استحداث القيود القانونية على حرية الرأى والتعبير باستحداث جرائم جديدة أو تغليظ عقوبات قديمة أو اضافة عقوبة تكميلية، فعملية ممارسة تلك الحريات تخضع لمقاسات خاصة يحددها النظام الحاكم وتوجهاته السياسية والايديولوجية».

وعليه فالحريات السياسية والفكرية الممنوحة فى مصر الآن هى حريات مقننة ضمن هذا الاطار ولا يجوز لها أن تخرج عنه، وإلا تقع تحت طائلة العقاب المادى والمعنوى بصورهما المختلفة، تحت مزاعم الخروج عن الشرعية وتهديد الأمن القومى. **وحرية التعبير حرية أساسية، ولكنها ليست الحرية الوحيدة المعطلة فى مصر، ماذا عن حرية الاجتماع، والتظاهر والاضراب السلمى، ماذا عن حرية تكوين الأحزاب وإصدار الصحف** فكل الحريات معطلة بقانون الطوارئ، فالحرية مؤجلة فى الإبداع والاجتهاد والاعتقاد. وفى مثل هذا المناخ فان المفكرون والمبدعون أمامهم خيارات محدودة هى:

١- القبول بالأوضاع السياسية الحالية القائمة كما هى دون تحفظ أو نقد سواء عن قناعة أو انتهازية.

٢- ممالأة النظام الحاكم واستخدام النفاق السياسى تجنبا للعقاب.

٣- الرفض السلبى للأوضاع عن طريق الصمت.

٤- الرفض الايجابى للأوضاع ومعارضتها بكل السبل الممكنة مع تحمل نتائج هذه المعارضة.

وفى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينات، شهدت المنطقة العربية تراجعاً كبيرة فى هامش الحريات السياسية الفكرية خاصة مع **سيطرة ثقافة النفط، وإرهابا سياسيا وفكريا تحت عباءة إسلامية ضد كل من يختلف معه**، واستخدام أساليب متطرفة لفرض آرائه وأفكاره وإرهاب من يختلف معه، واختزلت جميع القضايا الحيوية للوطن إلى بعدين هما **الحلال والحرام**، وانعكست أجواء الارهاب الفكرى على المناخ الفكرى، وأصبح هاجس الاتهام بالكفر والالحاد مسلطاً على رقاب المفكرين، وانعكست هذه الاجواء فى المجال الابداعى بجملة من النتائج السلبية الواضحة، أخطرها انتشار دعوة أسلمة المعرفة، وهرولة بعض المفكرين إلى اضافة صفة الاسلامية لابداعاته، وهو غير مدرك أن النعت الاسلامى للمعرفة قائم على شهوة السلطة الكلية لدى أصحابه، الشهوة الكاملة والشاملة للسلطة على المعرفة وعلى المعارف انتاجا ومحتوى وتداولا ومؤسسات.

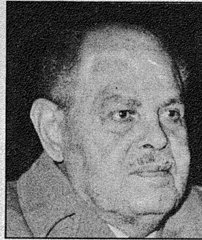
وإذا اتفقنا على أن المعرفة أصبحت الآن أهم عنصر من عناصر الانتاج والمفكرين والمبدعين هم المنتجون الحقيقيون للمعرفة، وبالتالى يجب أن ترتفع مكانتهم السياسية والاجتماعية بين قوى الانتاج فان المجتمع المصرى أحوج ما يكون إلى نوع من الوفاق الوطنى العام وميثاق شرف يلزم الدولة بأن تنظر للمفكرين والمبدعين على إنهم منتجو المعرفة، ويحتاجون إلى الحرص على حرية التعبير والكلمة لسببين غاية فى الأهمية: أولهما صعود تيارات التطرف الدينى التى تفرض الاتجاه الواحد على أنه الحقيقة الواحدة وتضغط بشتى الوسائل لفرض نظام مغلق فى المعرفة. وثانيهما ،دخول القطاع الخاص سوق الثقافة والفكر والتعليم بدافع الاستثمار والربح.

كل هذا الفساد يا وطن!

ركبت تاكسيا، وكان سائقه شاباً صغير السن، ويظهر أنه توهم فىّ الأهمية والمعرفة، ولا أعرف كيف؟! وسألنى ألا تعرف يا سيدى طريقة للهجرة إلى أى بلد، ونخرج من هذا المستنقع الطافح بالفساد؟ فبلدنا فاضت بالفساد والتسيب والبلطجة والبلادة؟.

ولم يعط لى الرجل فرصة للاجابة، واسترسل قائلا ما هى أخبار التميمة الخاصة بكأس العالم تحت ١٧ سنة؟ ثم أردف قائلا سرقوها منه(يقصد الشاب المصرى مبتكر التميمة) ولاد الكلب سرقوا مليون جنيه تقريبا منه، ولاد الكلب سرقوا كل حاجة فى البلد. وسألنى كيف أنام يا سيدى وأنا مطمئن؟ اذا كان وزير الداخلية المسئول الأول عن أمنى عليه القيل والقال؟ كيف أنام مع كل هذا الفساد فى الوطن! أننى أفكر فى اللجوء السياسى لأى بلد حتى لو كانت إسرائيل!!. والآن هل لدى النخبة الحاكمة أجابة عن أسئلة هذا الشاب المصرى.


أنور السادات


صدقى سليمان


جمال عبد الناصر

ذكريات شخصية عن قيادة نقابية متميزة

أحمد فهيم عبد المعطى

رئيس اتحاد عمال مصر ١٩٦٢- ١٩٦٩

محمد جمال إمام

عندما تخرجت من قسم اللغة الانجليزية بكلية الأداب جامعة الأسكندرية فى يونيه ١٩٦٣ ، لم يكن من بين أحلامى أن أعمل مدرسا للغة الانجليزية ولا كنت مؤهلا لذلك من الناحية الشخصية أو المزاجية أو التعليمية. غير أن سوق العمل فى ذلك الحين كان ضيقا أشد الضيق بالنظر إلى إعطاء أولوية التعيين فى غير ذلك من الوظائف بالحكومة والقطاع العام لما كان يسمى حينئذ «العائدين من اليمن». وتهربا من ضغوط والدى رحمه الله لكى التحق بالعمل الوحيد المتاح فى ذلك الحين، ألا وهو التدريس، كنت أقدم طلبا إلى أى جهة أخرى تعلن عن حاجتها إلى موظفين حديثى التخرج، فتقدمت بطلب للعمل مترجما بهيئة البريد، ثم بطلب إلى المسرح القومى الذى كان قد أعلن عن حاجته إلى عناصر جديدة فى كافة فروع النشاط المسرحى ،وحيث كنت قد شاركت فى «**إدارة المسرح**» ضمن فريق التمثيل بالكلية تحت إشراف المرحومين **عبد الرحيم الزرقانى ونور الدمرداش** فقد فكرت فى احتراف ذلك العمل، ثم أخيرا وقعت عينى على اعلان عن حاجة «**الاتحاد العام للعمال** إلى مترجمين، فأرسلت إليهم بطلب، على الرغم من وجود مقر الاتحاد فى القاهرة ووجود أسرتى فى الأسكندرية.

كنت قبل ذلك بفترة أحرص، لسبب لا أذكره، على قراءة «**ركن العمال**» الذى كان يحرره المرحوم **محمد الليثى** » فى صحيفة « **أخبار اليوم**» ومن ثم كانت لدى فكرة عامة عن نشاط اتحاد العمال، وكنت قد قرأت خبراً فيه عن عزم الاتحاد على إصدار صحيفة أسبوعية ، ولما كان حلمى الأكبر فى ذلك الوقت هو العمل بالصحافة ،فقد أعتقدت أن عملى فى اتحاد العمال قد يساعدنى على وضع قدمى على بداية ذلك الطريق من خلال المشاركة فى تحرير صحيفته المنتظرة.

وبعد فترة عقد الاتحاد امتحانا تحريريا للمتقدمين إلى هذه الوظيفة، ورغم أن معظم المصطلحات الواردة فى امتحانى الترجمة كانت بعيدة عن معرفتى فى ذلك الوقت، حيث كانت الامتحانات فى موضوعات نقابية واقتصادية، إلا أن مستوى اجاباتى كان مرضيا ، ومن ثم استدعيت لأداء الامتحان الشفوى الذى كان يجريه استاذنا «**أمين عز الدين**» أمد الله فى عمره، وكان امتحانا ودودا على غير العادة فى مثل تلك الامتحانات . وقد فوجئت فيما بعد بأن الاختيار قد وقع على لشغل وظيفة المترجم التى يحتاجها الاتحاد. وبعد وقت من اشتغالى بالاتحاد علمت أننى لم أكن أفضل المتسابقين ، ولكن أفضلهم كان قريبا **لعبد اللطيف بلطية** سكرتير الاتحاد فى ذلك الحين، ولم يكن محبوبا فى أوساط موظفى الاتحاد. فانتهزوا فرصة سفره إلى خارج البلاد بصحبة رئيس

الاتحاد «**أحمد فهيم**» لكي يتآمروا مع **أمين عز الدين** على عدم انجاح قريبه خوفا من أن يصبح عينا له عليهم، وعلى تفضيل ثاني أفضل المتسابقين والذي هو أنا.

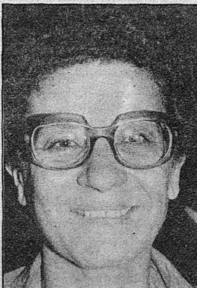
رؤيته للعمل النقابي

وبعد أيام قليلة **استدعيت لمقابلة رئيس الاتحاد تمهيدا لتعييني، وكانت مقابلة غيرت مسار حياتي بالمرة** ،فقد كان حديثه معي وديا إلى أقصى درجة ويفيض بالحماس عن دور الحركة النقابية في مرحلة التحول إلى الاشتراكية وبناء الوطن، وعن دورها السياسي على الصعيد الدولي.. **كان باختصار حديثا يستهوي شابا نشأ في ظل ثورة ٢٣ يولية وتشبع بخليط من الأفكار الناصرية والاشتراكية** . وهكذا قررت أن أقبل العمل في اتحاد العمال، وأن أصرف النظر عن المسرح القومي وهيئة البريد ، وأن أخوض تجربة الحياة لأول مرة بعيدا عن أسرتي متنقلا بين الفنادق الرخيصة وشقق العزوبية. ورغم أن الهيكل التنظيمي لاتحاد العمال كان يتضمن منصبا لسكرتير للعلاقات الخارجية من المفروض أن يكون مسئولا عن نشاط الاتحاد الخارجي، بما في ذلك الترجمة، إلا أن هذه المسئولية كان يحتكرها من الناحية العملية في ذلك الحين وحتى الآن تقريبا رئيس الاتحاد نظرا لأنها تشمل توزيع السفريات إلى الخارج. وهي أشبه بتوزيع الغنائم على المقربين والأنصار. وهكذا أصبح تعاملي المباشر منذ تعييني في الأتحاد في ١٩ أكتوبر ١٩٦٣ مع «**أحمد فهيم عبد المعطي**» رحمه الله، ولقد كان بحق شخصية نقابية نادرة.

ولم يكن حديث **أحمد فهيم** إلي في لقائه الأول معي حديثا وقتيا، بل كانت تلك أفكاره التي يقتنع بها اقتناعا تاما عن دور اتحاد العمال في هذه المرحلة من تاريخ الوطن، وأن هذا **الدور لا يقتصر على خدمة المصالح العمالية المباشرة وانما يمتد إلى خدمة مصالح الوطن بأكمله على الصعد الداخلية والعربية والافريقية والدولية**.وقد عبر عن هذه الرؤيا بصراحة كاملة في العديد من المناسبات ،ومنها على سبيل المثال لقاء عقده المجلس التنفيذي لاتحاد العمال مع المهندس **صدقي سليمان** رئيس الوزراء في نوفمبر ١٩٦٦ حيث قال «المجتمع مجتمعنا والدولة دولتنا، ونحن المستفيدين.. ودي الحقيقة التي يعرفها كل عامل مهما صغر في أي موقع من مواقع العمل. الحركة النقابية اذا كان لها عمل الآن فهو ٩٠ ٪ **سياسي و١٠٪ رعاية مصالح العمال**. ال ٩٠٪ مقسمة إلى جزئين.. جزء داخلي وجزء خارجي» ثم أضاف إلى ذلك قوله:«والحركة النقابية في المجتمع الاشتراكي أصعب بكثير من المجتمع الرأسمالي. في المجتمع الرأسمالي الواحد كان يذهب إلى المدير ويزعقلوا، وكان يبعتبر بطل . أما في المجتمع الاشتراكي فالعمل النقابي صعب للغاية».

النقابي الاحمر

كان **أحمد فهيم** من الرعيل الأول من القيادات النقابية الذين مارسوا النشاط النقابي في الاربعينيات عندما كان هذا النشاط ضربا من النضال غير مأمون العواقب من أجل مصالح العمال. (تقول الاستاذة **أمينة شفيق** في مقدمة حديث معه نشرته في صحيفة «**الأهرام**» في أغسطس ١٩٦٩ أنه «في الأصل عامل نسيج، تخرج من مدرسة الصنائع في عام ١٩٣٦ ليعمل في شركة المحلة الكبرى حيث كانت الاجور تتدرج من قرش إلى قرشين لثلاثة .. ثم انتقل عام ١٩٤٠ إلى شبرا الخيمة حيث بدأ حياة جديدة، أهم ما يميزها أنها مرسته على العمل النقابي وسط عمال الغزل والنسيج). **ورغم انه لم يكن ينتمي لأي من التنظيمات الشيوعية التي كانت نشطة في ذلك الحين في أوساط العمال، خاصة بين عمال الغزل والنسيج في شبرا الخيمة حيث كان مجال نشاطه، إلا أنه كان يطلق عليه «النقابي الأحمر»** بسبب إخلاصه للقضية العمالية ودفاعه عن مصالح العمال من منظور اشتراكي، وقيل أن السبب في ذلك أيضا أنه كان يحمل دائما في جولاته وسط عمال النسيج حقيبة أوراق حمراء! وقد نجح في توحيد صفوف النقابات العديدة العاملة وسط عمال النسيج في اتحاد لنقابات عمال النسيج تولى رئاسته. وعندما تشكل الاتحاد العام لعمال مصر في ٣٠ يناير ١٩٥٧ انتخب نائبا لرئيسه. وعندما عين رئيس الاتحاد «**أنور سلامة**» وزيرا للعمل في عام ١٩٦٢ ، ولم تكن بدعة الجمع بين هذه الوزارة ورئاسة اتحاد العمال قد استنت بعد، فان **أحمد فهيم** انتخب رئيسا للاتحاد خلفا له.



أمينة شفيق

نقابي وليس سياسيا

لم يكن **أحمد فهيم** شديد الذكاء أو الدهاء، ولم يكن يتمتع بصفات قيادية بارزة ، أعني لم تكن لديه هذه الشخصية الاسرة (الكاريزماتية) . ولكنه كان يتمتع بصفات شخصية نادرة في وسط العمل النقابي والسياسي ،حينئذ والآن. كان مخلصا وصادقا وأمينا ونزيها إلى أبعد الحدود ، بل وإلى درجة التزمت!.

عندما عرفته لأول مرة في عام ١٩٦٣، وكنا حينئذ في خضم ما كان يعرف بتجربة التحول إلى الاشتراكية ، لمست ايمانه العميق والصادق **بثورة ٢٣ يوليه** ، بمبادئها وقياداتها وانجازاتها واهدافها، ولم يكن في هذا الايمان شبهة نفاق أو رياء، فلم يكن يجيد التزلف أو التسلق إلى المناصب العليا. (يقول الاستاذ **عبد الله امام** في مقدمة حديث معه نشره في نوفمبر ١٩٦٩ في صحيفة «**العمال**» التي كان يتولى مهام مدير تحريرها، منذ أيام كنت أناقش أحد رجال السياسة وتطرق الحديث إلى ذكر اسم **أحمد فهيم** ،وقال لي الرجل: **أن أحمد فهيم رجل نقابي أصيل ، ولكنه ليس رجل سياسة ، وسيظل طوال حياته نقابيا فقط** . وسألته هل هناك تعارض بين السياسة والنقابية؟ ورد : ليس بالضبط .. هناك اختلاف في الأسلوب . أن تكون نقابيا فهذا يتطلب الصراحة والمواجهة أن تكون سياسيا فهو أمر مختلف») وبرهان ذلك أنه عندما جرى التفكير في اختيار أحد القيادات العمالية ليكون وكيلا لمجلس الأمة عن العمال، فقد تم تخطيه بالرغم من أسبقيته القيادية النقابية وعضويته للمجلس، واختير نائبه في رئاسة اتحاد العمال لهذا المنصب، مما سبب له أزمة نفسية حادة حينئذ، اذ لم يستطع أن يهضم كيف تتخطاه القيادة السياسية لهذا المنصب رغم تيقنها من حقيقة مواقفه السياسية ،خاصة وأن هذا التخطي هز من صورته أمام باقي القيادات النقابية وأعطاها مؤشرا على الشخصية التي تحظى بثقة القيادة السياسية ومن ثم بدأ الباحثون عن مصالحهم الشخصية في الجري في ركابها بلا مبالاة للقيادة النقابية الحقيقية. ورغم ذلك **فلم يهتز ايمانه بالثورة أو يضعف ولاؤه لها** . ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي تخطته فيها القيادة السياسية عند اختيار قيادات عمالية لتتولى مناصب سياسية أو تنفيذية، وانما تخطته مرة ثانية وثالثة عند تشكيل امانات الاتحاد الاشتراكي وعند تشكيل مجلس الوحدة مع العراق، وفي انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي التي جرت في اللجنة المركزية للاتحاد التي يتكون نصف اعضائها من ممثلي العمال والفلاحين والتي تجرى الانتخابات فيها من خلال «التوجيه» ، ورغم ذلك **ظلوفيا لايمانه بمبادئه السياسية حتى وفاته.**

وكان من المسائل التى تثير الضحك والسخرية بين القيادات النقابية الاكثر دهاء، وقدرة على سبر غور النفوس، ذلك الولاء العميق الذى كا ن يكنه **أحمد فهيم** ،بعد أن انتخب وكيلا لمجلس الأمة **لأنور السادات** الذى كان يرأس مجلس الأمة حينئذ. كان على قناعة تامة بصدق ثورية السادات وإخلاصه للقيادة السياسية، وأذكر أن هذا الموقف كان مثار تندر وتفكه بينه وبين **عبد اللطيف بلطية** خلال زيارة قمنا بها نحن الثلاثة إلى بريطانيا فى عام ١٩٦٨.

«ده موش كلامنا»!

وأذكر أنه مرض مرضا طويلا بسرطان الدم وعولج لفترة منه فى بريطانيا على نفقة الحكومة المصرية (كانت آثار المرض قد بدأت تظهر عليه قبيل زيارته الرسمية لبريطانيا فى عام ١٩٦٨ فطلب أن يستشير طبيبا بريطانيا على نفقته قبل انتهاء الزيارة، ورأى الطبيب أن المسألة تحتاج إلى فحوص دقيقة فطلب منه أن يبقى معه فى المستشفى يوما أو يومين أخرين، إلا أنه **رفض البقاء، حتى لا يظن المسئولون البريطانيون أنه يطمع فى العلاج على حساب حكومتهم) غير أنه لم يسترح لوجوده هناك فقطع علاجه وعاد إلى مصر، فقررت الحكومة ارساله إلى الاتحاد السوفيتى لمواصلة العلاج فى أوائل عام ١٩٦٩**. غير أنه عندما اقترب عيد العمال قطع علاجه وعاد إلى مصر أملا أن يلقى كلمة الاتحاد فى الاحتفال التقليدى الذى كان يقام بهذه المناسبة ويحضره الرئيس **جمال عبد الناصر** ، ولكن **بلطية** باعتباره الرجل الثانى فعليا فى الاتحاد رغم وجود نائبين لرئيس الاتحاد، كان قد أعد نفسه لالقاء هذا الخطاب فى اشارة واضحة للجميع أنه هو الذى سيتولى الرئاسة اذا ما حدث شئ **لأحمد فهيم**. واستدعى **بلطية** زميلا له ممن يشاركونه أفكاره وتوجهاته السياسية لكى يشارك فى كتابة الخطاب مع من كانوا يتولون هذا الأمر بصفة تقليدية فى الاتحاد (الاستاذ **عبد المغنى سعيد** المفكر العمالى المعروف ووكيل وزارة العمل الأسبق **وجاد رضوان** المستشار القانونى السابق للاتحاد رحمه الله وكاتب هذه السطور) حيث لم يكن على ثقة من أنهم سيكتبون له اللغة التى تتفق مع ميوله واتجاهاته. وعندما عاد **فهيم** فجأة قبل الاحتفال ووجد هذه الترتيبات، أبت عليه شهامته واخلاصه لصديقه أن يفسد عليه ترتيباته وقبل أن يترك له الفرصة. غير أنه لم يستسغ اللغة التى كتب بها الخطاب ولا الأفكار التى يحتويها، نظر إلى قائلا «**بس مش ده كلامنا يا جمال**» .وهززت كتفى ومططت شفتى تعبيرا عن قلة حيلتى فى هذا الشأن فلم أكن سوى موظف صغير السن لا يملك أن يفرض رأيه على صاحب الشأن.

وكان **أحمد فهيم** حريصا على ابقاء الصلة حية بينه وبين الجماهير التى يمثلها .ومن أجل ذلك **كان حريصا حتى النهاية على أن يتولى بنفسه فتح جميع الخطابات الواردة إلى الاتحاد وقراءتها خطابا بعد الآخر لكى يعرف كما يقول نبض العمال** ،حتى عندما أصدر الاتحاد صحيفته الأسبوعية فى منتصف عام ١٩٦٨، وكان يجيئه ما يسمى ببريد القراء كان هو الذى يتولى بنفسه أيضا فتح هذه الخطابات والاطلاع عليها قبل أن يرسلها إلى مدير تحرير الصحيفة.

النقابى الاحمر:

- **يؤمن بثورة يوليو**
- **يدافع عن الاستقلال النقابى**
- **حريص على أموال العمال**
- **يعيش فى شقة من غرفتين**

التعاون وليس التبعية

وكان حريصا كل الحرص على استقلالية اتحاد العمال ازاء أجهزة النظام الحاكم ، السياسية منها والتنفيذية، على الرغم من الضغوط المتواصلة التى كانت تمارسها هذه الاجهزة لاحكام قبضتها على الحركة النقابية، فقد كان يرى أن يكون التعاون بين هذه الهياكل واتحاد العمال صريحا ومباشرا وعبر القنوات الرسمية وليس عن طريق العملاء، والأذناب والمخبرين. كما كان أشد حرصا على عدم تسرب نفوذ أجهزة الأمن إلى الاتحاد . وقد حدث ذات مرة أن وصل إلى مقر الاتحاد مساء، حيث كان مقررا أن يعقد اجتماع للمجلس التنفيذى للاتحاد، **فلاحظ جلوس وجه غريب فى ردهته ولما سأل عنه وعرف أنه مخبر من مباحث أمن الدولة ، عاد إلى الردهة وطرد الرجل شر طرده لا عنا إياه ومن أرسله.**

وقد حاول بعد ذلك أن يقيم صلة تنظيمية ما بين الاتحاد بوصفه التنظيم النقابى وبين العمال من أعضاء مجلس الأمة بوصفهم ممثلى الطبقة العاملة على الصعيد التشريعى، غير أن السلطة تدخلت بعد أول اجتماع بين الجانبين لتجهض هذه المحاولة وتحول دون الالتحام ما بين الحركة النقابية وممثلى العمال فى مجلس الأمة!.

وجبة النسيج

لكان العمل النقابى هو كل ما يملأ حياة **أحمد فهيم** صباحا فى اتحاد العمال ومساء فى نقابة النسيج ، إلى أن أضطر إلى أن يقتطع بعض هذا الوقت لممارسة مهام منصبه **كوكيل لمجلس الأمة**،وكما تقول **أمينة شفيق** فى مقدمة الحديث المشار إليه آنفا،« **أحمد فهيم هو أحد النقابيين الذين حملوا على أكتافهم عبء النضال النقابى فى الأربعينات والخمسينيات، فهو آخر مناضلى ما قبل عام ١٩٥٢ فى الحركة النقابية العمالية المنتخبة** . وهو الوحيد الذى يمثل جيل ما قبل ١٩٥٢ فى الحركة النقابية فى مجلس تنفيذى اتحاد نقابات عمال **الجمهورية العربية المتحدة** ، أما بقية الأعضاء، فقد بدأوا ممارسة العمل النقابى فى سنوات ما بعد ١٩٥٢ ، أو ما بعد١٩٥٤ وحتى ما بعد ١٩٥٧. ويتميز جيل ما قبل ١٩٥٢ من النقابيين بحرصهم الشديد على أموال النقابات، فقد خبروا المشقة الشديدة التى كانوا يجمعون بها الاشتراكات النقابية الزهيدة من العمال بصورة مباشرة ،وكانوا يدركون مقدار التضحية التى يبذلها العامل عندما يقتطع قروشا من قوت أسرته ليدفعها إلى المندوب النقابى لتمويل النشاط النقابى، وكان معظمهم لا يزال يتذكر كيف كان يتنقل بالدرجة الثانية فى وسائل المواصلات العامة ليجمع تلك الاشتراكات، وكيف -كما يقول **فتحى كامل** فى مذكراته-كان العامل يفتح له محضر محاسبة عن نشاط النقابة قبل أن يعطيه اشتراكه الزهيد. وكان ذلك أوضح ما يكون **فى أحمد فهيم فقد عاش ومات فى شقة صغيرة من غرفتين بشبرا فى الوقت الذى كانت قيادات نقابية وسياسية أقل منه شأنا تحصل على شقق فاخرة من شركات تأمين ومن الحراسة على أموال شخصيات ما قبل ثورة يوليه**، وعندما انتخب وكيلا لمجلس الأمة وضعوا له فى منزله تليفونا حكوميا يستطيع من خلاله الاتصال بكافة أنحاء الجمهورية ، فخشى أن تستخدمه زوجته فى الاتصال بأقاربها فى محافظة الدقهلية فى غيابه ، فوضع عليه قفلاً حتى لا تفعل ذلك.

وكانت الحركة النقابية فى ذلك الحين تتندر دائما **ب«وجبة النسيج»** و **«وجبة البترول»**. كانت وجبة النسيج عبارة عن شطائر فول وطعمية، بينما وجبة البترول كباب وكفتة ، وأذكر أنه عندما قرر الاتحاد الاحتفال فى يناير ١٩٦٨ بمرور عشر سنوات على تأسيسه ، وكنت قد تحملت العبء الأكبر فى كتابة خطاب رئيس الاتحاد بهذه المناسبة ، أن طلب منى **أحمد فهيم** ألا أترك الاتحاد فى فترة الظهيرة السابقة على الاحتفال كى يراجع معى كعادته فى مثل هذه المناسبات الخطاب بصوت مرتفع بعد أن تخلو مكاتب الاتحاد من الموظفين والنقابيين. وعندما هممنا أن نشرع فى ذلك ، استدعى الساعى وأخرج من جيبه ربع جنيه وطلب منه أن يشترى لنا «خبزا وجبنة بيضا وفول أخضر(حراتى) .وكدت ألقى بنفسى من نافذة المكتب الذى كان يقع فى الدور التاسع بأحد مبانى شارع الجمهورية ، فقد كنت أعيش معظم أيام الأسبوع على مثل هذا الطعام الجاف، غير أننى



أحمد فهيم بالملابس العادية.. وإلى يمينه جمال إمام وعلى يساره مدير احد المصانع البريطانية وعبد اللطيف بلطيه

أدركت أن هذا طبعه الذى لن يغيره، **وأنه لن يسمح لنفسه أن يتناول طعاما على حساب الاتحاد فى غير مناسبة يستضيف فيها الاتحاد ضيوفا أجانب**.

وعندما قرر الاتحاد فى مايو ١٩٦٨ أن يحول مجلته الشهرية إلى جريدة أسبوعية، فوجئنا، المجموعة الصغيرة من أسرة تحرير الجريدة التى كانت تتابع طبعها فى مطابع مؤسسة الشعب بدير النحاس، **بأحمد فهيم** يدخل علينا قرابة الفجر وظل واقفا معنا حتى حصل على أول نسخة من الصحيفة، ثم دعانا لتناول الطعام على حسابه الخاص. كنا فى منتهى التعب والجوع، وبينما كان الزملاء الصحفيون يتوقعون أكلة كباب تعيد إليهم حيويتهم، كنت أتوقع كالعادة شطائر الفول والطعمية، إلا أن ظننا جميعا خاب فقد دعانا إلى تناول فطير بالسكر فى أحد مطاعم شارع التحرير!.

وفى مناسبة أخرى كان الاتحاد يستضيف فيها دورة تثقيف لقيادات أفريقية تعقد فى أحد معاهد مؤسسة الثقافة العمالية فى الدقى وكنت أتولى مسئوليتها المالية والادارية، **عنفنى تعنيفا شديدا وهو يراجع حسابات الدورة بنفسه كعادته قبل أن يوقع باعتمادها لأننى وقد حملت من الاتحاد مبلغ خمسمائة جنيه لمصاريف الدورة استخدمت تاكسيا للتوجه إلى مقر الدورة فى الدقى ولم استخدم وسائل المواصلات العامة**، ولم يقبل أى تبرير منى ومن الموظف المسئول عن الشئون المالية، وعندما سرق منى مبلغ كبير أثناء إقامتى بالمعهد فانه رفض رفضا باتا أن يتحمل الاتحاد هذا المبلغ وأصر على تقسيطه من مرتبى الصغير.

وعندما أشاهد السيارات الفاخرة التى تستخدمها القيادات النقابية فى تنقلاتها فى الوقت الحالى، أتذكر أن الاتحاد فى ذلك الحين كان يملك سيارة واحدة من طراز **«نصر ٢٣٠٠»** يستخدمها رئيس الاتحاد فى تنقلاته وعندما يستضيف الاتحاد وفدا أجنبيا يتركها لهم ويستخدم سيارة نقابة النسيج، حتى حصل الاتحاد بعد حرب يونيه ٦٧ على سيارتين من طراز سكودا هدية من اتحاد عمال تشيوسلوفاكيا وسيارتين من طراز فارتبورج هدية من اتحاد عمال المانيا الديمقراطية.

من القاع إلى القمة

فى عام **١٩٦٤** سمح تشريع عمالى جديد **بانشاء تنظيمات نقابية بين عمال الحكومة وعمال الزراعة** وكان تعيين القيادات النقابية فى العديد من المناصب التنفيذية والسياسية والتشريعية المرموقة قد جعل بعض المتطلعين إلى الوصول للقمة يتصارعون للوصول إلى المناصب القيادية فى الحركة النقابية كسلم للتصعيد إلى أعلى. وهكذا دخل إلى المجلس التنفيذى للاتحاد فى دورته التى بدأت فى عام **١٩٦٤** العديد من الأعضاء الذين لم يسبق لهم الخدمة فى الحركة النقابية ورأى **أحمد فهيم** أن هذا الأمر لن يساعد على نمو الحركة النقابية، فقرر أن ينظم لجميع أعضاء المجلس التنفيذى، قداماهم وجددهم، دورة تثقيفية اقامية فى أحد معاهد المؤسسة الثقافة العمالية، وكان هو نفسه من بين المشاركين فيها. وكان من رأيه أيضا أن هذه الدورة ستجعل الأعضاء القدامى والجدد يتعرفون على بعضهم بصورة أفضل تكفل تعاونا مثمرا فيما بينهم لصالح الحركة النقابية. ورغم أن صعود عناصر حديثة العهد بالعمل النقابى إلى الصفوف القيادية للحركة النقابية تكرر بعد ذلك عدة مرات، فان هؤلاء الأعضاء الجدد استكبروا أن يتلقوا تثقيفا حول أساسيات العمل النقابى، بل وعندما طرح عند تعديل قانون النقابات ذات مرة أن يكون بين شروط التصعيد من مستوى نقابى إلى مستوى أعلى أن يكون المرشح لذلك قد حصل على دورات تثقيفية معينة فى معاهد المؤسسة الثقافية، رفضت أغلبية القيادات النقابية فى ذلك الحين هذا الاقتراح وأجهضته.

وقد يكون أفضل ما نختم به هذه العجالة عن الشخصية النقابية النادرة أن ننقل ما قاله **جمال عبد الناصر** فى رثائه فى اجتماع للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى:

«والاخ أحمد فهيم توفى ونطلب من الله له الرحمة وأنا بالذات كنت أعرفه قوى. الحقيقة **الأخ أحمد فهيم كان رئيس الاتحاد العام للعمال ولكنه فى الفترة الطويلة اللى أنا اتعاملت معاه فيها كان مثال للرجولة ومثل للتضحية، وكان مثل لتقدير المصلحة العامة على المصلحة الشخصية**. ودى كلمة من الواجب أنى أقولها. وأنا اذكر أنه فى مرات عدة راح أخذ مواقف وتصدى فيها للعمال ومعاه يمكن بعض الاخوة من العمال الموجودين هنا، علما بانى اذكر أنه فى الاسكندرية مرة كانوا بيطالبوا بعلاوات وأخذ موقف، علما بأن هذه المواقف من الممكن أن تؤثر عليه وتستخدم ضده انتخابيا بالنسبة للعمال، ولكن الراجل الله يرحمه لم يتردد أبدا فى أنه يأخذ هذا الموقف بشهامة وبتضحية لأنه اقتنع أن هذه هى المصلحة ونرجو له الرحمة».



على هامش توجيه الدعوات

لعقد قمة قطر الاقتصادية


مادلين أولبرايت
فصل السياسة عن الاقتصاد

المقاطعة .. والتطبيع

فى ميزان العملية التفاوضية

مع بدء مفاوضات السلام بين إسرائيل والدول العربية، وما أسفرت عنه من اتفاقيات مجتزأة وغير كاملة، **خرجت علينا الادارة الأمريكية بنظرية جديدة، تدعو إلى فصل السياسة عن الاقتصاد**. وقد استخدمت هذه النظرية، المحببة جدا على المسئولين الأمريكيين، لحث الدول العربية على رفع قرارات المقاطعة ضد إسرائيل، **ومن أجل خلق شرق أوسط جديد**، قائم على التعاون الاقتصادى المفتوح، بمعزل عن المفاوضات السياسية وعما ستسفر عنه من نتائج، وبمعزل عن الأهداف والمبادئ التى انطلقت منها، وأساسها الأرض مقابل السلام وتنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولى **٢٤٢ و٣٣٨ و٤٢٥**.

ومن خلال التطبيق الفعلى لهذه السياسة اتضح ان المقصود بها، **هم العرب** فقط، وليس **إسرائيل، التى أعفت نفسها، من أى التزامات سياسية أو اقتصادية تجاه الشعب الفلسطينى، حتى تلك التى تفرضها الاتفاقات عليها**، وقامت بدمج الاقتصاد مع السياسة، باستخدامها أدوات الضغط مثل الحصار والمقاطعة والاغلاق والعقوبات الجماعية بهدف تمرير ابتزازها وفرض شروطها واملاءاتها السياسية على الشعب الفلسطينى.

وهكذا نشأت عملية ذات طبيعة مزدوجة ومتعارضة، تقوم على المبدأ القائل يجوز لاسرائيل ما لا يجوز لغيرها. فلا يجوز للعرب على سبيل المثال، استخدام سلاح المقاطعة الاقتصادى، لتحقيق أهداف سياسية أقرتها مبادئ عملية السلام نفسها، ولكن يجوز لاسرائيل استخدام هذا السلاح لابتزاز ما تريده من الشعب الفلسطينى، وبتعارض تام مع مبادئ العملية التفاوضية.

والآن، مع اقتراب موعد انعقاد **المؤتمر الاقتصادى الرابع فى قطر**، بعد مؤتمرات الدار البيضاء وعمان والقاهرة، تعود هذه «الازدواجية» إلى البروز على السطح مجددا، وخاصة على ضوء اتساع دائرة الأطراف العربية الرسمية وغير الرسمية، التى تطالب بمقاطعة هذه القمة، مقارنة مع القمم الاقتصادية السابقة. **وتعود وتظهر مجدداً أهمية التضامن والتنسيق العربى، فى مواجهة التحديات والضغوط الخارجية، التى تزداد شراسة وتتجاوز قدرة كل طرف عربى بمفرده.**

وتثار أيضا على نفس القدر من الأهمية، تساؤلات حول توقيت استئناف **المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية**، فقبيل فترة وجيزة من هذه القمة، وخاصة بعد التبريرات التى سبقت من جانب المتحمسين لانعقادها، وقولهم ان ما دام صاحب الشأن، قد توجه إلى طاولة المفاوضات، فهذا يعنى بأن الأمور، قد عادت إلى مجاريها، وأنها تسير فى الاتجاه الصحيح، وأن أسباب الدعوة للمقاطعة قد زالت!.

من الواضح ان من يرغب فى قراءة الواقع، بهذا الشكل المبسط، فلن يكون قادرا على رؤية كافة تفاصيله وتعقيداته، وقد يخرج باستنتاجات متسرعة إما فى هذا الاتجاه أو ذاك.

فمجرد استئناف المفاوضات الفلسطينية- الإسرائيلية، على الرغم من التحفظات العديدة على شروطها وتوقيت استئنافها، لا يمكن أن يقدم غطاء لأى خطوات لاحقة، فردية ام جماعية تساهم فى تنفيس الضغوط عن حكومة نتنياهو، وتفتح المجال أمامها، للتنصل من تنفيذ الاستحقاقات المترتبة عليها، بموجب الاتفاقات المعقودة، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تتابع الأحداث وتطورها، منذ أن توقفت المفاوضات، بسبب إصرار هذه الحكومة، على المضى فى سياسة التهويد والحصار العسكرى والاقتصادى والمالى والمصادرات والاستيطان وهدم البيوت وحملات الاعتقال، واستخدامها لمختلف الذرائع من أجل مواصلة فرض هذه السياسة.

لقد حدث تراجع معين فى موقف السلطة الفلسطينية، دفعها إلى إبداء مرونة ملحوظة فيما يتعلق بمطالبها حول ضرورة الوقف الفورى للاستيطان، وتعهد الحكومة الاسرائيلية بتنفيذ جميع استحقاقات المرحلة الانتقالية كشرط لاستئناف المفاوضات. وهناك من يعزو

رسالة القدس

حنا عميرة

هذا التراجع إلى طبيعة التطورات التى أعقبت فشل المبادرة المصرية فى إخراج هذه المفاوضات من أزمتها على أساس الاقتراح القاضى بوقف الاستيطان لمدة ٦ أشهر.

لقد راهن الجانب الفلسطينى على نجاح هذه المبادرة، لاسيما وأن حكومة **مناحم بيجن** السابقة كانت قد وافقت فى حينه على اقتراح مماثل أثناء مفاوضات **كامب ديفيد** مع مصر، لكن حكومة **نتنياهو** رفضت ما كانت قد قبلت به حكومة بيجن وتوقفت المبادرة المصرية.

وخلال الفترة الأخيرة ، ازدادت معاناة الشعب الفلسطينى، بشكل كبير وخاصة على الصعيدين الاقتصادى والمعيشى بسبب سياسة الاغلاق والحصار مما أدى إلى تراجع ملموس فى مستوى معيشته وزيادة ملحوظة فى معدل البطالة **وحسب أرقام الأمم المتحدة نفسها ، فقد بلغت الخسائر الفلسطينية خلال التسعة أشهر الأولى من هذا العام حوالى أضعاف المبلغ الذى قدمته الدول المانحة كمساعدات خلال نفس الفترة** .كما وصل عدد أيام الإغلاقات الشاملة على الضفة والقطاع فى عامى ٩٦ و٩٧ إلى ٧١ يوما ، وارتفع العجز فى ميزانية السلطة إلى ٤٠٠ مليون دولار رغم أن معدل العجز حسب الموازنة المقدمة للمجلس التشريعى قدرت ب ٥١٫٧ مليون دولار. وقد ازدادت هذه الحالة تدهورا مع تآكل قيمة الشيكل، بسبب الاجراءات الاقتصادية الاسرائيلية فى شهر تموز الماضى والشيكل، كما هو معروف، لا يزال العملة المتداولة فى مناطق السلطة.

ونتيجة لهذه الأوضاع، ازدادت المخاوف من ارتفاع حدة التوتر الاجتماعى الداخلى ،واتساع ظاهرة النضال المطلبى وابتدأت تبرز أكثر مسافة الفوارق الاجتماعية ولم تقدم أية حلول ناجعة وذلك بالرغم من الكشف عن ملف الهدر فى المال العام.

واكب هذه الحالة تصاعد كبير فى سياسة الاملاءات الاسرائيلية وتوسيع **حملات المصادرة والاستيطان وهدم البيوت** ، ثم جاءت التفجيرات الانتحارية ، وبعدها ارتفاع إضافى فى شروط اسرائيل الأمنية وسياسة العقوبات الجماعية التى وصلت ذروتها فى التهديد باقتحام مناطق السلطة وفى حجب المستحقات من أموال الضرائب والجمارك والتى تشكل حوالى ٦٠٪ من ميزانية السلطة.

لقد جرت عدة محاولات للرد على الاملاءات والضغوط الإسرائيلية التى تحولت إلى أمريكية بعد زيارة مادلين أولبرايت إلى المنطقة لكن هذا الرد لم يصل إلى مستوى الفعل الشعبى الواسع ، ولم تتبلور فى خطة سياسية متكاملة تحشد الجماهير حوله. فعلى الصعيد الداخلى بقى الحوار الوطنى الشامل الذى بادرت إليه السلطة محصوراً فى إطار الفصائل ولم يشمل المجتمع بمختلف فئاته وقواه. وعلى الصعيد الاقتصادى بقى قرار مقاطعة البضائع الاسرائيلية يصطدم بعقبات موضوعية تحول دون وضعه موضع التطبيع. وعلى الصعيد الخارجى لم تثمر جهود السلطة الوطنية في تجنيد أموال الدعم الكافية لمواجهة الحصار الاسرائيلى. وعلى الصعيد السياسى لم ينجح اجتماع وزراء الخارجية العرب، فى اتخاذ قرار جماعى بمقاطعة قمة قطر الاقتصادية أو حتى تأجيلها. كما **لم تتمخض الجهود التى بذلها الرئيس عرفات لعقد قمة عربية جديدة عن نتائج عملية ، بعد أن سمع فى العواصم العربية التى قام بزيارتها نفس الاجابة: لن يخرج شئ من هذه القمة.**



عرفات ونتنياهو .. زمان

فى هذا السياق أعلن وزير خارجية قطر عن توجيه الدعوات لحضور القمة الاقتصادية فى الدوحة فى منتصف تشرين ثانى، وجاء إعلانه بعد يوم واحد من الاتفاق على استئناف المفاوضات فى نيويورك ، وتعمد أن يستهل إعلانه المذكور بالتأكيد على أن المفاوضات الفلسطينية -الإسرائيلية قد استؤنفت.

هذا الأمر يعيدنا مجددا إلى نفس التساؤلات السابقة حول توقيت استئناف هذه المفاوضات، وخاصة قبيل انعقاد القمة الاقتصادية فى قطر ،**ولماذا يتوجب علينا التخلى عن شعار المقاطعة – وفصل السياسة عن الاقتصاد حسب التعبير الأمريكى– ما دام الطرف الآخر لا يواصل نهج المقاطعة والاغلاق والعقوبات ضد الشعب الفلسطينى** باعتبارها أدوات لتحقيق أهدافه السياسية وتحسين قدراته على فرض املاءاته وشروطه!!.

لقد كان على الجانب الفلسطينى أن يوازن توقيت العودة للمفاوضات مع مضمونها ومدى الاستعداد الإسرائيلى للتجاوب مع استحقاقاتها ، خاصة وان نتنياهو كان أحوج منا هذه المرة لاستئنافها فى هذا التوقيت.

ومع ذلك فقد أثبتت تجربة العودة للمفاوضات بأنها لم تحقق النتائج التى كان يأمل بها الجانب الفلسطينى، وأن الجانب الإسرائيلى يماطل ويحاول كسب الوقت ،وهذا ما أكده البيان الرسمى الصادر عن اجتماع مجلس وزراء السلطة الوطنية الذى صدر فى ١٠/١٨ ،وهذا يترك متسعا من الوقت للرد على مماطلة وضغوط نتنياهو بنفس الوسائل التى يمارسها، واغتنام الفرصة الزمنية المتبقية حتى انعقاد قمة قطر الاقتصادية من أجل اتخاذ الخطوات اللازمة التى تنزع الغطاء الفلسطينى عن انعقادها ،**ثم التوجه إلى الدول العربية بطلب محدد يقضى بربط خطوات التطبيع ومؤتمراته ومظاهره المختلفة بتقدم المفاوضات وتنفيذ إسرائيل للاتفاقيات، وبدون ذلك لن نستطيع استعادة التوازن المفقود أو تحقيق ما نصبوا إليه فى هذه المرحلة الدقيقة والصلبة.**



لم تشهد السلطة الإسرائيلية فى كل تاريخها رئيس حكومة ، يحارب على كل الجبهات، مثل **بنيامين نتنياهو** . فقد نجح خلال حكمه القصير - ١٦ شهرا - فى فتح عشرات المعارك والجبهات . ومع ذلك ، فهو يبدو صامداً أكثر من أى رئيس حكومة قبله . فما هو سر قوته ؟!

الجبهة القادمة ..فى حرب نتنياهو

نظير مجلى

رسالة حيفا

« سأبقى رئيس حكومة أيضا فى سنة ٢٠٠٠ »، هكذا قال **بنيامين نتنياهو** لنشطاء حزبه من الليكود اليمينى الحاكم فى الشهر الماضى . فانتزع عاصفة من التصفيق . وعلى إثر ذلك ، نشب نقاش فى وسائل الإعلام المحلية ، عن مصدر هذه الثقة . لكن أحداً لم يشكك فى احتمالات بقاء **نتنياهو** حتى العام ٢٠٠٠ وربما بعده أيضا . والسبب ، ليس فقط قانون الانتخاب الجديد ، الذى يصعب كثيرا امكانية إسقاطه بقانون نزع الثقة ، بل أيضا وبالأساس **لضعف المؤثرات الخارجية عليه ، فلا المعارضة الإسرائيلية قادرة على إسقاطه ولاخصومه فى الداخل ، ولايوجد هناك ضغط خارجى ، عالمى أو عربى ، كاف لتصدع قاعدته البرلمانية.**

وعليه ، فان **نتنياهو** يواصل منهجه نفسه . وينتقل من معركة إلى معركة . يفتح المزيد من الجبهات القتالية من حوله . كأنه الوحيد فى هذا العالم.

وفى هذا الشهر / نوفمبر (تشرين الثانى) ، عندما تعود الكنيست (البرلمان الإسرائيلى) من عطلة الأعياد اليهودية لممارسة عملها الاعتيادى ، ستواجه **نتنياهو** جبهة من نوع جديد ، ستكون معركته قاسية فيها.

فقد طرح حزب العمل المعارض فكرة على أحزاب اليمين هى : اقامة حكومة وحدة قومية بقيادة الليكود ولكن برئاسة شخصية أخرى غير بنيامين نتنياهو.

حزب العمل يعرف أن هنالك ثلاثة أحزاب فى الائتلاف معنية باقامة حكومة وحدة قومية ، تضم حزب العمل ، اضافة إلى الأحزاب الائتلافية الحالية . وهذه الأحزاب هى **" الطريق الثالث"** ، الذى يتزعمه وزير الأمن الداخلى ، **أفيغدور كهلانى** ، وهو صاحب المبادرة الأولى لادخال العمل إلى الحكومة ، وحزب **" اليهود الروس"** الذى ينافس حزب كهلانى على الظهور بمظهر حزب التوحيد الوطنى ، وحزب **" شاس"** لليهود الشرقيين المتدينين، الذى يستصعب التعايش مع الليكود فى سياسة يمينية متطرفة تعرقل عملية السلام . كذلك **هناك قوى فى الليكود نفسه معنية ومؤمنة بضرورة إقامة حكومة وحدة ، يقف على رأسها أرئيل شارون وزير البنى التحتية ، واهود أولمرت ، رئيس بلدية القدس وميخائيل ايتان وزير العلوم المسئول عن العلاقة بين الحكومة والكنيست.** وهم يرون أن حكومة كهذه قادرة على مواجهة الضغط العربى والعالمى لتحقيق سلام مبنى على بقاء القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل وعلى بقاء المستوطنات اليهودية فى الأراضى الفلسطينية . ويعتقدون أن اقامة حكومة كهذه ستضمن بقاء الليكود فى الحكم أيضا فى سنة ٢٠٠٠ باعتبار أن أى فشل فى العملية السلمية سيكون بمسئولية الطرفين ، الليكود والعمل.

فى الوقت نفسه ، **يعرف حزب العمل ، أن خصوم نتنياهو داخل أحزاب الائتلاف بما فيها الليكود ، لا يقلون عددا وعدة عن خصومه خارج الائتلاف .** وهناك الكثير من المتذمرين من سياسته ومن تعامله معهم.. أمثال وزير المالية السابق ، **دان مريدور** ، ووزير العلوم السابق ، **بينى بيغن** ، والذين استقالا من حكومة **نتنياهو** نتيجة الخلافات معه ، السياسية والشخصية وأمثال رئيس الحكومة السابق ، **اسحاق شامير** ، وغيره من قدامى قادة الليكود ، الذين جلبوا **نتنياهو** إلى القيادة وحاربوا به الكثير من المرشحين الآخرين .. لكنه اليوم يدير ظهره اليهم ويتخلى - حسب وجهة نظرهم - عن مبادئ الليكود وسياسته الأصلية.

حزب العمل يحاول اليوم ، استغلال هذين الأمرين (الرغبة فى حكومة وحدة والغضب من نتنياهو فى اليمين) ، لكى يسقط نتنياهو دون أن يشعر اليمين بأنه يفقد الحكم . وهذا اقتراح مغر للكثيرين فى اليمين . ومن عملية جس النبض الأولية التى أجراها المبادرون اليه فى حزب العمل (وهم **حايم رامون** ، وزير الداخلية السابق ، **وموشيه شاحاك** ، وزير الشرطة السابق ، **وبنيامين بن اليعزر** ، وزير الاسكان السابق ، **ورعنان كوهن** ، رئيس كتلة العمل البرلمانية اليوم ، اتضح أن هناك من يتحمس للاقتراح.

ويركز قادة حزب العمل المذكورون ضغطهم لتقدم الاقتراح ، على **دافيد ليفى** ، القائم بأعمال رئيس الحكومة ووزير الخارجية ، الذى يتزعم حزب" **غيشر**" (وتعنى " **جسر**") وله خمسة نواب فى الكنيست . ليفى متذمر من نتنياهو وغاضب عليه بشدة . الصراع بينهما تاريخى ، منذ العام ١٩٩٥ ، حين فرضه عليه **شامير** نائبا (كان ليفى آنذاك أيضت وزيراً للخارجية وعين نتنياهو نائبا له) . وقد تمرد **نتنياهو** على وزيرة

وأقام علاقة مباشرة مع رئيسه **شامير** وبدا ذلك واضحا حين سافر **شامير** ونتنياهو إلى مؤتمر مدريد للسلام سنة ١٩٩١، بينما بقى وزير الخارجية ليفى فى مكتبه فى القدس.

وبعد تخلى **شامير** عن السلطة (سنة ١٩٩٢)، توقع ليفى أن يحل محله فى قيادة الليكود. فهو نائبه فى كل شئ. ويظهر على الرأى العام باعتباره الرجل الثانى فى الليكود. لكن **شامير** قدم لحزبه **نتنياهو** وريثا وبديلا. وتفوق **نتنياهو** على **ليفى** داخل الليكود. **واضطر ليفى إلى ترك الليكود واقامة حزب جديد. وأراد خوض الانتخابات لرئاسة الحكومة فى منافسة نتنياهو وبيرس، ولو فعل لكان نتنياهو قد سقط لأن جمهور ليفى هو من اليمين.** إلا أن **ارئيل شارون** اقنع ليفى بالعودة إلى الليكود، مقابل توليه منصب الرجل الثانى ذا الصلاحيات مع ضمان خمس عدد نواب الليكود فى الكنيست ومع ضمان أخذ احترامه الكامل والتعامل معه كشريك أساسى فى قيادة الدولة، فى حالة انتصار اليمين.

وانتصر اليمين، لكن **نتنياهو** لم يف بوعده وواصل التعامل مع **ليفى** باستعلاء، وتجاهله فى القضايا الأساسية. وهدد ليفى بالاستقالة وبالانسحاب من الحكومة والائتلاف عدة مرات وأضرب عن العمل ذات مرة، لمدة أسبوع كامل، فلم يشارك فى جلسات الحكومة ولم يحضر إلى مكتبه. **والمرة الأخيرة التى شعر فيها ليفى بالإساءة، كانت على أثر العملية الارهابية التى نفذها "الموساد" الإسرائيلى فى عمان (محاولة اغتيال رئيس الدائرة السياسية فى حركة "حماس"، المقيم فى الأردن، خالد مشعل).** فقد تمت العملية عندما كان ليفى يصارع منتقدى إسرائيل فى الأمم المتحدة. ولم يخبروه عنها حتى عندما وصل إلى البلاد. وعلم بها فقط بواسطة أحد الصحفيين.

لذلك هاجم **ليفى** العملية وقال إنه لو كان فى البلاد وعلم بها مسبقا، لكان منع تنفيذها لأنها تلحق الضرر الهائل باسرائيل. وقال إن **نتنياهو انسان غير طبيعى ولم يعد ممكنا العمل معه." فهو يتعهد أمامك اليوم بشئ وينسى فى الغد ماتعهد به، أو يتناسى".** وعندما سئل إن كان ينوى الاستقالة والانسحاب، أجاب: "فيفتى. فيفتى" (نص على نص").

لذلك، توجه اليه قادة **حزب العمل**، بواسطة عدد من المقربين منه والمعروفين بتأييدهم للانسحاب من الائتلاف مثل شقيقه، **مكسيم ليفى** (وهو الأمين العام لحزب "غيشر") ورجل الأعمال المعروف بدعمه السخى لليمين، **دافيد أبيل**.

ويعتقد **حزب العمل أنه إذا انسحب دافيد ليفى وحزبه من الائتلاف ستصبح حكومة نتنياهو بأكثرية ٦١ نائبا (من مجموع ١٢٠)، أى أكثرية صوت واحد. ومثل هذه الحكومة لاتعيش،** لأنها غير ثابتة. فهناك عدد من النواب اليمينيين المستعدين الآن للتصويت ضد نتنياهو وفى هذه الحالة، سيضطر نتنياهو إلى توسيع ائتلافه فيركض نحو حزب العمل، وفى الوقت نفسه ستزداد الأصوات المنادية باسقاطه داخل الليكود. وعندها يتحقق هدف العمل.

لكن **نتنياهو**، كما أشرنا آنفا، لايستسلم بسهولة. ولذلك، حالما سمع باقتراح العمل، **توجه إلى دافيد ليفى وعقد** معه اجتماعا مغلقا لمدة ساعتين (الأحد ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) وصف بأنه للتشاور" حول أدق القضايا السياسية والأمنية حساسية".

بيد أن القضية ليست قضية "صلحة عشائرية" فهنالك عوامل أخرى وجبهات أخرى ستواجه نتنياهو فى هذه المعركة، أبرزها:

- **الصراع مع الأحزاب الدينية والتيار الليبرالى فى اليهودية حول قانون "من هو يهودى".** فالأحزاب الدينية الثلاثة الشريكة معه فى الائتلاف، ولها **٢٣ عضو** كنيست، تطالب بسن قانون يضمن سيطرة التيار الأرثوذكسى الأصولى المتزمت على طقوس التجبير لليهودية وطقوس الزواج. ونتنياهو تعهد فى حينه بتحقيق مطلبهم. لكن التيارين الليبراليين فى اليهودية (الاصلاحى والتقليدى)، اللذين يشكلان غالبية اليهود فى الولايات المتحدة وأوروبا ولهما نفوذ واسع فى إسرائيل، يرفضان هذا القانون ويعتبرانه مساساً فى مكانتهما وعدم اعتراف بيهوديتهما. ويبدو الصراع بينهما شديدا. الأحزاب الدينية تهدد باسقاط الحكومة واجراء انتخابات جديدة إذا لم يسن القانون فى أسرع وقت والتياران الليبراليان يهددان بأزمة بين يهود الولايات المتحدة وبين حكومة الليكود.

- **ميزانية الدولة:** من المفروض أن ينتهى اقرار ميزانية العام **١٩٩٨** حتى نهاية هذه السنة. **وهناك خلافات شديدة فى أحزاب الائتلاف حول الميزانية. لا يوجد وزير واحد راضيا بالميزانية التى تخصصها له وزارة المالية،** خصوصا فى وزارات الدفاع والتعليم والرفاه والخدمات الاجتماعية، فضلا عن مطالب الأحزاب الدينية بزيادة ميزانيات مؤسساتها ومطالب وزراء اليمين بزيادة ميزانيات الاستيطان ومطالب حزب **دافيد ليفى** بالامتناع عن أى مساس بميزانيات الضمانات الاجتماعية.

- **الصراعات الداخلية**: فى الليكود يزداد الشعور بأن نتنياهو يستفرد بالحكم. لقد عين موعدا لمؤتمر الحزب من دون الرجوع إلى اللجنة التحضيرية. وفى السنة القادمة ستجرى انتخابات المجالس البلدية والقروية، **وفى ظروف الخلافات فى الليكود من المتوقع أن تنفجر معارك بين المعسكرات المختلفة فى كل بلدة وقرية.**

- **عملية السلام:** الجمود فى هذه العملية ومايرافق ذلك من معارك عسكرية فى لبنان وعمليات انتحارية داخل إسرائيل وتوتر فى الأراضى الفلسطينية، كل هذا يدخل حكومة نتنياهو فى مواجهة مع الرأى العام الداخلى ومع العالم. وهذا الجانب من الصراع، نرى نتنياهو فيه متخبطا. وينتقل من معركة إلى معركة. ومن فضيحة إلى فضيحة. خلال فترة حكمه القصيرة (١٦ شهرا) كاد يدخل البلاد إلى عدة حروب: الصدامات الدموية مع الشرطة الفلسطينية فى أعقاب فتح النفق تحت أسوار القدس، الصدامات إثر عرقلة اتفاق الخليل، العمليات الانتحارية فى تل أبيب والقدس، سقوط المروحتين العسكريتين وهما فى طريقهما إلى الجنوب اللبنانى المحتل ومقتل ٧٧ جنديا، عملية الانزال الفاشلة فى الأنصارية قرب صيدا والتى أدت إلى مقتل ١٢ جنديا من الوحدات القتالية المختارة (على أثرها بدأت أمهات الجنود الذين يخدمون فى لبنان حملة من أجل الانسحاب من لبنان)، عملية الموساد الفاشلة فى عمان، الاستيطان فى جبل أبو غنيم فى القدس العربية المحتلة ثم فى رأس العمود.. وغيرها، وهذا فضلا عن المعارك الشخصية التى تورط بها نتنياهو مثل فضيحة المستشار القضائى للحكومة واضطراره لالغاء تعيين حوالى عشرة مساعدين ووزراء بسبب ورطات قضائية.

فى وضع ديمقراطى طبيعى، ماكان نتنياهو يصمد فى رئاسة الحكومة ولا فى زعامة الليكود. ومع ذلك، فهو يتصرف بثقة بالغة بالنفس. والسر: أنه لايرى حتى الآن خطرا جديا على موقعه. فالمعارضة، بالنسبة له، ليست معارضة جدية. وخارجيا، لايجد مايزعزع مكانته، لا من العالم العربى ولا من أوروبا ولا من واشنطن. هاهو يرسل وفدا إلى مؤتمر الدوحة ويسافر إلى البيت الأبيض ويستقبل باحترام. وكذلك فى أوروبا. والمفاوضات تسير حسب الوتيرة التى يحددها.

باختصار، سر قوته يكمن فى ضعف أنداده وخصومه وليس فيه أو فى حزبه.

نداء من أجل إطلاق سراح سهى بشارة

سهى بشارة.. أقدم امرأة معتقلة في الخيام

ولدت **سهى بشارة** عام ١٩٦٧ في قرية «دير ميماس» بجنوب لبنان من عائلة مسيحية متواضعة . التحقت بالمقاومة الوطنية ضد الاحتلال الاسرائيلي وقامت عام ١٩٨٨ بمحاولة اغتيال قائد الميليشيا التابعة لاسرائيل المسماة «جيش لبنان الجنوبي» كانت سهى في وضع يمكنها من زرع متفجرات في منزل «**انطون لحد**» إلا أنها اختارت أن تطلق عليه النار تجنبا لالحاق الأذى بزوجته وأطفاله، وبذلك ، عرضت نفسها للاعتقال على يد الجيش الاسرائيلي الذي سارع بعد استجوابها فسلمها إلى «انطوان لحد» كان ذلك في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٨٨.

وعلى إمتداد ما يقرب من سبع سنوات، بقيت **سهى** في عزلة تامة ، فلم تتمكن والدتها من زيارتها إلا في نهاية عام ١٩٩٥ ولمرات قليلة . وطوال هذه المدة ،عانت **سهى**من التعذيب الشديد حسبما يصف تقرير حديث للفرع الكندي لمنظمة «**امنستي» انترناسيونال**».

معتقل «الخيام» جهنم على الأرض»

أقيم هذا المعتقل عام ١٩٨٥ بمساعدة وإشراف قوات الاحتلال الاسرائيلي، وهو يضم حوالى **٢٠٠ معتقل** أغلبهم من اللبنانين المتهمين بنشاطات معادية للاحتلال أو لرفضهم التعاون مع المحتل. وهم جميعا بلا محاكمة، وعلى الرغم من محاولات «**جيش لبنان الجنوبي**» ابقاء المعتقل معزولا تماما عن العالم الخارجي ، فلا يسمح «للصليب الأحمر الدولي» بدخوله كما يمنع سائر الهيئات الانسانية والحقوقية من زيارته ، إلا أن أخبار التعذيب الشديد وبكل الوسائل ، قد وصلت إلى العالم ، فأصدرت منظمة «**امنستي انترناسيونال**» تقريرا عام ١٩٩٢ يصف الحياة في هذا المعتقل، كما جمعت « لجنة المتابعة لمساندة المعتقلين اللبنانيين في السجون الاسرائيلية» شهادات الذين أطلق سراحهم من هذا المعتقل واخرهم في تموز/ يوليو ١٩٩٥ ،أثناء مبادلة بين اسرائيل و«حزب الله». تقول التقارير والشهادات أن معتقل «الخيام» هو «**جهنم على الأرض**».

الجهود الدولية المبذولة

ندت منظمات عالمية بما يجري في «الخيام» نذكر منها علاوة على«امنستي انترناسيونال» ،«الاتحاد العالمي للمحامين الديمقراطيين»(A IJD) ، «الجمعية المسيحية لمناهضة التعذيب»(ACAT) و«التجمع العالمي لحقوق الانسان(FIDH).

كما تبنى البرلمان الأوروبي قرارا عام ١٩٨٩ (R82,2,216,89) يشير إلى عدم مشروعية اعتقال سهى بشارة وإلى المعاملة السيئة التي تتعرض لها ويطالب باطلاق سراحها الفوري.

وعام ١٩٨٩ ، تقدمت السلطات اللبنانية باحتجاج إلى«الأمم المتحدة»، وهناك العديد من المنظمات الانسانية والحقوقية اللبنانية التي تسعى إلى كشف همجية أوضاع هذا المعتقل ولا شرعيته التامة، تأتي في مقدمتها «لجنة المتابعة لمساندة المعتقلين اللبنانيين في السجون الاسرائيلية» التي تقوم بعمل دؤوب في هذا الاتجاه.

وهناك العديد من الشخصيات العالمية التي سعت إلى تنبيه الرأي العام لسوء أحوال المعتقلين في «الخيام».

لجنة سهى بشاره

تشكلت في باريس في حزيران/ يونيو ١٩٩٧ من أصدقاء لسهى وأساتذة ومعتقلين سابقين.. وهي تنسق عملها مع المنظمات العالمية لحقوق الانسان وتحظى بدعم شخصيات علمية وفكرية وقانونية وفنية معروفة، تشكل أول الموقعين على عريضة المطالبة باطلاق سراح سهى بشارة، وعلاوة على العريضة، ستسعى اللجنة إلى النشر في وسائل الاعلام إلى الاتصال بالهيئات العالمية والحكومات لحثها على القيام بخطوات عملية من أجل إطلاق سراح سهى بشاره وسائر رفاقها وإزالة هذا المخيم البشع من الوجود.

من أجل اطلاق سراح سهى بشاره

منذ حوالي تسع سنوات، تقبع إمرأة شابة في معسكر للاعتقال في جنوب لبنان، داخل الشريط الحدودي المحتل. كانت سهى بشاره في الواحدة والعشرين من عمرها حين تم توقيفها في ٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٨، وكانت طالبة في السنة الثالثة في كلية الهندسة بالجامعة اللبنانية.

حاولت **سهى بشاره** اغتيال «انطوان لحد» قائد الميليشيا التابعة لاسرائيل، المسماة «**جيش لبنان الجنوبي**» إنها معتقلة بلا محاكمة وكرهينة، لأنها شاركت بالمقاومة ضد احتلال أرضها وضد ارتكاب الجيش الإسرائيلي وتابعيه.

إن حالة سهى بشاره ورفاقها في معتقل «الخيام» لا تطاق وتخالف كل الاتفاقات الدولية الخاصة باحترام حقوق الإنسان وكرامته. لقد طالب البرلمان الأوروبي في قراره رقم(R82. 216,89) باطلاق سراحها. ونحن نريد أن يطبق هذا القرار أخيراً.

إننا نطالب باطلاق سراحها فورا، كما يجب أن يكون ذلك مقدمة لاطلاق سراح كافة المعتقلين وإزالة معتقل «الخيام» المخالف لأي شرعية.

الاسم	العنوان	المهنة	التوقيع

* وقع هذا النداء وأرسله إلى«**لجنة من أجل اطلاق سراح سهى بشارة» على العنوان التالي:**

Couite Souhla Bechara
B P 57-75965-Paris CedcX 20
France

العرب

* صلاح يوسف

* رســـالة عمان

الانتخابات النيابية الاردنية

قاطعت الاحـــزاب فملأت العشائر الفراغ

عندما أغلق باب الترشيح للانتخابات النيابية الأردنية فى العاشر من أكتوبر الماضى، كانت ذيول المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسى لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) **خالد مشعل** فى أحد أهم شوارع عمان، والتى حدثت فى الخامس والعشرين من سبتمبر الماضى ما زالت ماثلة تذكر بالمدى الذى يمكن أن يذهب اليه رئيس الوزراء الإسرائيلى،**بنيامين نتنياهو**، فى لامبالاته بالعملية السلمية، حتى مع بلد مثل الأردن ، والذى لم يتوقف نتنياهو عن امتداح نوع السلام الدافئ الذى تقيمه إسرائيل معه، وتقديمه كنموذج للسلام بين البلدان العربية واسرائيل ، وذلك فى مقابل سلام إسرائيل «البارد» مع مصر.

كانت محاولة الاغتيال الفاشلة وما تلاها من تداعيات مثل إطلاق سراح الزعيم الروحى لحركة حماس الشيخ **أحمد ياسين** من سجون إسرائيل بعد قضائه نحو ثمانى سنوات، ومبادلة بعض السجناء الفلسطينيين، وجميع الأسرى الاردنيين فى السجون الإسرائيلية بعميلى جهاز المخابرات الإسرائيليين اللذين قاما بالمحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسى لحماس، وكذلك ما تبع هذه الخطوات من ملابسات ،قد حدثت جميعها فى الأيام الأخيرة للحوار الذى كان قد بدأ بين الأحزاب المقاطعة للانتخابات وبين الحكومة.

لذا **فحين أقفل باب الترشيح كان الحوار قد انقطع ، أو انتهى دون أن يلتفت إليه أحد، فقد كانت أحداث أواخر شهر سبتمبر وبداية اكتوبر ما زالت تملأ المشهد السياسى**، بحيث لم ينتبه المراقبون والسياسيون إلى هذه الحقيقة إلا فى الساعات الأخيرة التى سبقت اقفال باب الترشيح للانتخابات.

كان قرار الحكومة الأردنية اغلاق الصحف الاسبوعية التى لم تمتثل لقرار الحكومة السابق بتصويب أوضاعها بما يتفق

اسحق الفرحان



عبد السلام المجالى



إميلى نقاع



وقانون المطبوعات الجديد، وأهم بنوده ضرورة زيادة رؤوس أموال هذه الصحف بحد أدنى مقداره ٣٠٠ ألف دينار، وهو مبلغ باهظ يشكل ما يشبه العقوبية بالنسبة لمالكي الصحف، قد نفذ **وأغلقت أبواب نحو ١٣ صحيفة أسبوعية كانت قد شكلت حالة متقدمة من الصحافة الجريئة**، بجرعة كبيرة من كشف الكثير من المستور في البلاد على مستويات مختلفة.

وقد أعطى تنفيذ هذا القرار، وبهذه القسوة للأحزاب السياسية المعارضة انطباعاً **بأن الحكومة جادة في تطبيق قانون المطبوعات الاشكالي وأنها بالتالي غير معنية بالنجاح حوارها مع الأحزاب والتنظيمات المقاطعة للانتخابات**، لأن هذه القوى كانت وضعت احتجاجها على صدور قانون المطبوعات الجديد سبباً رئيسيا لمقاطعتها الانتخابات النيابية.

غير أن محاولة اغتيال **خالد مشعل** وما تلاها جاءت لتغطي على الحوار الذي كان قد بدأ يتعثر بين الحكومة والاحزاب المقاطعة. فقد جاءت المحاولة لتثير مسألة وجود حماس في الأردن، خاصة وأن الأردن كان قد اعتقل الناطق الرسمي للحركة **ابراهيم غوشة** لمدة أسبوعين تقريبا على خلفية تصريحات كان أدلى بها حول العملية الانتحارية الأخيرة في القدس.

ثم جاءت عملية إطلاق سراح الشيخ **أحمد ياسين** ونقله إلى الأردن، من دون إشراك السلطة الوطنية الفلسطينية بذلك، لينفجر مجدداً مسألة العلاقة بين الأردن وفلسطين، وهي علاقة فريدة في حساسيتها نظرا للتاريخ الطويل من التنافس والتناحر، وكذلك التنسيق والتعاون من أجل حل القضية الفلسطينية وعليها.

وفي حالة إطلاق سراح **الشيخ أحمد ياسين** نظرت السلطة الفلسطينية إلى الأمر من زاوية استبعاد السلطة الفلسطينية من صفقة اطلاق سراح الشيخ **ياسين**، **وهو ما اعتبرته مؤشرا على عودة الأردن إلى منافسة منظمة التحرير والسلطة الوطنية على تمثيل الفلسطينيين**، وهو ما أغضب **ياسر عرفات** الذي قيل إنه هاجم اسرائيل والاردن في جلسة مغلقة للمجلس التشريعي الفلسطيني. وحين تسرب نبأ ذلك إلى الأردن أرسل **ياسر عرفات** إلى عمان السيد **أحمد قريع**، رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني ليؤكد « **رسوخ ومتانة وعمق الروابط الاردنية الفلسطينية** ».

وكان طبيعياً أن تطغى هذه التطورات الدرامية على موضوع الحوار الذي كان قد بدأ يدخل طريقاً مسدوداً، إذ لم تتمكن الحكومة ولا الأحزاب المقاطعة من الوصول إلى قوائم مشتركة، وبدأت أرضية الحوار بين الطرفين تتصدع، ولم يبق سوى حدوث كل هذه التطورات لينتهي الحوار ويبقى كل طرف على حاله.



الملك حسين

وهكذا جاء يوم العاشر من أكتوبر الماضي، والذي كان قد حدد لإغلاق باب الترشيح للانتخابات النيابية التي ستجرى في الرابع من شهر نوفمبر ١٩٩٧، والأحوال على ما هي عليه، أحزاب المقاطعة زادت عدداً بانضمام حزب الوحدة الشعبية الذي يعتبر امتدادا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وحزب الجبهة القومية، وحزب المستقبل. الاحزاب المشاركة بقيت على حالها، **وأحزاب المشاركة المشروطة قررت خوض الانتخابات**، وهي الحزب الشيوعي الأردني، وحزب الأرض العربية، وحزب البعث العربي الاشتراكي وحزب البعث التقدمي، ومعها بالطبع الحزب الديمقراطي الوحدوي الذي كان حدد موقفه بضرورة المشاركة في الانتخابات منذ البداية.

خارطة الانتخابات

وهكذا جاءت خارطة الانتخابات النيابية بالنسبة للاحزاب على النحو التالي **مضت الاحزاب المقاطعة في مقاطعتها**، وعلى رأسها بالطبع جبهة العمل الاسلامي، الواجهة السياسية للاخوان المسلمين.

وفي المقابل **مضت الأحزاب التي قررت المشاركة في إعداد قوائمها التي ستخوض بها الانتخابات، وعلى** رأسها الحزب الوطني الدستوري، الذي جاء نتيجة اندماج تسعة أحزاب وسطية مؤيدة للحكومة، وتبعته الاحزاب الأخرى المذكورة بقوائمها. لكن الأمور في الحالتين تمضي دون مفاجآت.

فعلى جبهة الأحزاب المقاطعة سادت البلبلة صفوف الاخوان المسلمين وجبهة العمل الاسلامي، حيث **خرج على قرار الجماعة بعض أبرز قادتها وتحدوا قرار المقاطعة معلنين أنهم سيخوضون الانتخابات على الرغم من قرار القيادة**، وهو قرار كان عارضه أربعة من أبرز قيادات جبهة العمل الإسلامي وعلى رأسهم **اسحق فرحان**، الأمين العام للجبهة، **وحمزه منصور**، الناطق الرسمي باسمها، **ومحمد عويضة** أمين سرها **وعبد الله العكايلة**، أحد أبرز قادتها ومفكريها.

وقدم هؤلاء استقالاتهم من الجبهة بمن فيهم الأمين العام **اسحق فرحان** غير أن قيادة الاخوان المسلمين رفضت الاستقالات فعاد هؤلاء عنها، وقرروا الالتزام بقرار المقاطعة، ما عدا الدكتور عبد الله العكايلة.

وحين فتح باب الترشيح للانتخابات كانت المفاجأة في أن عدداً كبيراً من أعضاء الجبهة، وبخاصة من النواب السابقين، بادروا إلى ترشيح أنفسهم متحدين قرار المقاطعة، غير أن ضغوطا شديدة مورست عليهم جعلتهم يعودون عن قرارهم ، ما عدا أربعة مرشحين أبرزهم الدكتور **عبد الله العكايلة** مرشح مدينة الطفيلة الجنوبية، والذي كان نجح في الانتخابات التي جرت في العام ١٩٨٩، ثم في ١٩٩٣.

والعكايلة واحد من ألمع قادة جبهة العمل الإسلامي وأكثرهم اعتدالاً، وقدرة على فتح قنوات الحوار مع الأحزاب والتنظيمات الأخرى.

أما الشخصية المهمة الثانية التي أصرت على تحدى قرار المقاطعة، فهو **محمد الأزايدة**، والذي كان نجح في انتخابات تكميلية جرت في مدينة مادبا الجنوبية في العام ١٩٩٢ عن جبهة العمل الإسلامي.

وقد اتخذت قيادة الاخوان المسلمين قرارات بفصل هذين القياديين في حين لم تتخذ مثل هذا القرار ضد عضوين آخرين من الجبهة قررا خوض الانتخابات.

أما الأحزاب القومية واليسارية المقاطعة فقد التزم اعضاؤها بقرار المقاطعة، ولم يسجل حادث خرق واحد للقرار، علماً بأن أغلب هذه الأحزاب يفتقد وجود مرشحين أقويا، في صفوفها.

ويذكر أن نحواً من ٨٠ شخصية وطنية بينها أثنان من رؤساء الوزارات السابقين هما طاهر

المصري ، وأحمد عبيدات اتخذوا قراراً في أعقاب اجتماع عقدوه بمقاطعة الانتخابات ، والتزموا به تماماً.

كما اتخذ مجلس النقابات المهنية قراراً بمنع أعضاء النقابات من ترشيح أنفسهم للانتخابات ،غير أن أعداداً كبيرة منهم بادرت إلى ترشيح نفسها ، ولم تحرك النقابات ساكناً ضدهم لعلمها أنها ستخوض مع هؤلاء معركة لا طائل من ورائها.

وفي الجهة المقابلة ،حيث الأحزاب المشاركة في الانتخابات، لم تكن الصورة أزهى كثيرا .فقد فوجئ المراقبون بأن **الحزب الوطني الدستوري** الذي طرح نفسه بقوة بوصفه «**حزب الحكومة**» ،يتعرض لاستقالات جماعية في أثناء عملية اختيار مرشحي الحزب للانتخابات ، أثرت على صورته السالفة الذكر. فقد اختلف كثيرون مع الحزب على أحقيتهم في الترشيح . وكان ابرز المستقيلين رئيس الحزب **عاكف الفايز** .

ويرغم أن الحزب أعلن أنه سيطرح قائمة مرشحيه حتى قبل فتح باب الترشيح ، فان طرح هذه القائمة تأجل أكثر من مرة، وحين نشرت القائمة بعد اغلاق باب الترشيح لوحظ أنها لا تضم سوى ١٢ اسماً ،في حين رشح نحو عشرة اخرين من أعضاء الحزب أنفسهم كمستقلين في عدد من الدوائر الانتخابية، وهو ما يعكس تداخل دور الحزب مع دور العشيرة والذي ميز هذه الانتخابات كما سنرى لاحقاً. فقد آثر أعضاء الحزب من المرشحين طرح أنفسهم ممثلين لعشائرهم وليس للحزب،**حيث الثقل العشائري لا يزال يلعب الدور الحاسم، وخاصة في المناطق الريفية والنائية.**

ومن الطريف أن نذكر أن الأمين العام للحزب الوطني الدستوري، المهندس **عبد الهادي المجالي** قد اعتمد في طرح نفسه كمرشح على **عشيرة المجالي** ذات النفوذ الكبير في منطقة الكرك الجنوبية ،ونشر إعلانا مدفوعاً في الصحف يفيد بأن عشائر المجالي اختارته مرشحا لها في الانتخابات النيابية غير أن شابا من العشيرة نفسها هو **أمجد المجالي** ،وهو ابن **هزاع المجالي** ، رئيس الوزراء الأردني الذي اغتيل عام ١٩٦٠ ، أعلن بطلان هذا الاعلان مؤكدا انه هو ،**أمجد المجالي** ،مرشح العشيرة ، وليس **عبد الهادي المجالي** مما أربك الحملة الانتخابية للأخير فنقل مقره إلى عمان، بدلاً من الكرك، حيث تنتشر العشيرة.

وإن كان **عبد الهادي المجالي** يتكئ في حملته على شقيقه الدكتور **عبد السلام المجالي** رئيس الوزراء، فإن **أمجد** يتكئ على إرث والده الذي كان من أقوى الشخصيات التي مرت على الأردن. وبذلك فان الأمين العام للحزب الوطني الدستوري يخوض معركة انتخابية محفوفة بالمخاطر . كما أن من شأن فشله في الانتخابات أن يوقف مسيرة الحزب الوطني الدستوري الذي ظل حتى عشية الانتخابات يطرح نفسه بوصفه حزب الحكومة.

الحزب والعشيرة

ويعد رجحان كفة العشيرة على الحزب أحد أبرز سمات الحملة الانتخابية في الأردن اليوم.**ولاشك أن إحجام أكبر حزب في البلاد، جبهة العمل الاسلامي ، والأحزاب القومية واليسارية المقاطعة ،عن خوض الانتخابات قد انعش آمال العشائر في السيطرة على البرلمان ، فبدأت** هذه العشائر تتكتل وتجرى بين أفرادها نوعاً من التصفيات لاختيار مرشحي الاجماع، أو الأغلبية المطلقة، وتقديم الفائزين في لوائح الترشيح لمجلس النواب.

ومع اشتداد حمى التنافس العشائري بادر بعض الحزبيين إلى دخول ساحة التصفيات العشائرية لكي يجمعوا المجد من أطرافه ، فهم مرشحو الحزب ومرشحو العشيرة في الوقت نفسه، وتعد حالة عبد الهادي المجالي سابقة الذكر حالة نموذجية في هذا المجال.

وحتى في بعض الأحزاب اليسارية والقومية التي تتمتع بجذور راسخة في تربة العمل السياسي الأردني، فانها قررت الاستفادة من العامل العشائري ، ولكن دون الإعلان صراحة عن أنهم مرشحون عن عشائرهم وليس احزابهم.

وقد لاحظ بعض السياسيين الاردنيين أن **حزب البعث العربي الاشتراكي مثلا** قرر خوض المعركة الانتخابية بأربعة مرشحين غير أنه لم يعلن عن نفسه كمرشح للحزب سوى واحد هو النائب السابق عن الحزب **خليل حدادين** . أما الثلاثة الآخرون فلم يشيروا إلى أنفسهم كمرشحين للحزب.

والأمر نفسه ينطبق على **الحزب الوحدوي الديمقراطي الأردني** الذي يخوض الانتخابات بأربعة مرشحين هم **موسى المعايطة** الذي يقدم نفسه بوصفه الأمين العام للحزب الوحدوي الديمقراطي، **أما عيسى مدانات** ،رئيس الحزب والذي رشح نفسه في الدائرة الثالثة من عمان عن المقعد المسيحي فيقدم نفسه بوصفه ممثلا للتيار الديمقراطي الأردني رغم أنه معروف كقائد تاريخي للحزب الشيوعي قبل ترأسه الحزب الوحدوي الديمقراطي.

أما مرشحا الحزب الآخران، النائبان السابقان الدكتور **مصطفى شنيكات وبسام حدادين** فانهما لا يشيران إلى نفسيهما كمرشحين للحزب.

والأمر نفسه ينطبق على المرشحة الوحيدة للحزب الشيوعي الاردني **إميلي نفاع** والتي رشحت نفسها عن المقعد المسيحي في الدائرة الثالثة بعمان، فلم تشر يافطاتها الانتخابية إلى كونها مرشحة عن الحزب ، رغم أنها من أبرز قيادات الحزب المعروفة.

نزع اليافطات

بقي أن نشير إلى ظاهرة تشهدها الانتخابات النيابية في الأردن لأول مرة، هي تلك المتعلقة بنزع يافطات انتخابية لمرشحين بدعاوى مختلفة. فقد نزع نحو **٢٠٠ يافطة لمرشح حزب البعث خليل حدادين من قبل أجهزة الأمن لأنها أشارت إلى أن صراعنا «مع العدو الصهيوني» صراع وجود لا حدود** ،حيث احتجت وزارة الداخلية على تعبير «**العدو الصهيوني**» توصف به إسرائيل"التي تربطها بالاردن معاهدة سلام!!.

وأزالت الجهة نفسها يافطات مشابهة لمرشحين آخرين. ويافطات للمرشح **حمادة فراعنة** المعروف بقربه من السلطة الوطنية الفلسطينية ، لأنها حملت عبارة «**المرشح الأردني من أصل فلسطيني**» بحجة أن هذه العبارة تحمل تهديداً للوحدة الوطنية في الأردن.

وقد دخل المرشحون الذين ازيلت لهم يافطات في نزاع مع وزارة الداخلية ، ورفع بعضهم دعاوى على وزير الداخلية مطالبين باعادة اليافطات المزالة.**فيما استمرت الحملة الانتخابية التي سيكون فيها الصوت العشائري هو الأقوى** ويضمحل فيه صوت الاحزاب ، وبخاصة المعارضة ، والتي تأثرت مرة بمقاطعة أكبر الاحزاب السياسية في البلاد ، ومرة أخرى بالتشدد الحكومي مع يافطات تشير إلى إسرائيل بالعدو قبل أن يمضي شهر واحد على محاولتها الآثمة لاغتيال قائد في حماس في واحد من أهم شوارع عمان.



الحسين وعرفات في زيارة الشيخ ياسين



حوار مع عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية السورية:

إسرائيل لا تريد السلام

لابد من تشكيل موقف عربى واحد

لـتوازن الادارة الأمريكية

*** فى مؤتمر القمة الذى عقد العام الماضى .. اتخذ القادة العرب قرارا بانذار حكومة نتنياهو بإعادة النظر فى برنامجها السياسى والعودة إلى الالتزام بالتسوية السياسية التى انطلقت من مدريد والا سيتخذ العرب إجراءات ضدها.. بوقف التطبيع وتعزيز التضامن العربى. وبعد مضى عام لم تغير حكومة نتنياهو شعرة واحدة من برنامجها السياسى والاستيطانى والذى ينسف تماما اتفاقية مدريد للسلام.. وأكثر من ذلك عملت حكومة نتنياهو على تعزيز وتأكيد برنامجها فى المجتمع الاسرائيلى!! الأمر الذى زاد من حدة التوتر وتصاعد الموقف.. وجعل الادارة الأمريكية تدلى بالتصريحات عن ضرورة إعادة السلام فى الشرق الأوسط.. وجاءت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية لزيارة دول المنطقة.. وكان أول تصريح لها عند بدء زيارتها عقب وصولها لمطار اللد الإسرائيلى .. أنها تحرص على التفوق العسكرى الاسرائيلى على العرب وكذلك الأمن الاسرائيلى!! مما يطرح السؤال إلى أين تمضى التسوية السياسية فى المنطقة؟!! خاصة أن مصر وسوريا هما البلدان العربيان اللذان تصديا لمحاربة إسرائيل.. وبمعاهدة كامب ديفيد تم التصالح بين مصر وإسرائيل .. والمعنى الآن بالتسوية السياسية هى سوريا التى ما زالت فى حالة المواجهة مع إسرائيل ..!! لكن الوزيرة الأمريكية التى أدلت بالتصريحات العديدة فى كل بلد زارته وأقامت المؤتمرات أينما ذهبت.. لوحظ عند زيارتها لسوريا أنها توجهت من مطار دمشق مباشرة إلى قصر الرئاسة. ثم عادت من قصر الرئاسة إلى المطار مباشرة بلا لقاء بالاعلام أو تصريح للصحافة!! واكتنف الموقف الغموض من كلا الجانبين .. فالصمت مخيم ولا أحد يتحدث عما قيل أو حدث!! مما يصعد التساؤل بالحاح شديد، حول مستقبل التسوية السياسية ؟!! وحقيقة الدور الأمريكى؟ وكيفية الخروج من المأزق العربى؟!.**

وحول هذه الأسئلة وغيرها كان هذا اللقاء مع عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية السورى.

التوازن الأمنى مع إسرائيل!

يقول عبد الحليم خدام..« الخلاف بيننا وبين معظم أشقائنا العرب حول قضية الصراع العربى الاسرائيلى. أن قراءتنا لاسرائيل تختلف عن قراءتهم لها.. بعضنا يرى أن اسرائيل دولة موجودة فى المنطقة يمكن التعاون والتعايش معها.. وبعضنا يرى أن إسرائيل شر يجب استئصاله ويتخبط الطريقان . ونحن نرى أن اسرائيل شر وعدو ودولة لا تريد السلام. ورفضها ليس لأسباب سياسية وإنما لأسباب عقائدية فالسلام يكون بين دول متكافئة. عندما أقول السلام بين فرنسا وألمانيا .. يعنى أن تكون الدولتان مستقلتين ويتكافئ لكل منهما مصالحه. لكن هل

دمشق من:
فاطمة عنان

العقيدة الصهيونية تقوم على هذا الأساس؟!! **هم يقولون إنهم شعب الله المختار فكيف** يمكن أن تقوم علاقات متكافئة متساوية ومتوازية بين شعب الله المختار وبين الشعوب الأخرى . التى يعتقدون أن الله خلقها لتخدمهم وتخدم مصالحهم؟!! يتحدثون عن التفوق العسكرى الاسرائيلى الدائم.. وليس التوازن الأمنى والعسكرى بين إسرائيل والدول العربية والجيران!!! إن هذه الأمور لا تأتى من الشعور بالخوف كما يحاول أن يقنعنا البعض فى هذه الدولة أو تلك!! هذه الأمور تأتى من معتقدات عقائدية- إن إسرائيل و التى يطمحون لتحقيقها هى إسرائيل المهيمنة على كل المنطقة وشعوبها التى تخدم إسرائيل!! ولعلنا نذكر خطاب **اسحاق شامير** .. عندما زار الرئيس **السادات** القدس.. كيف رحب به شامير مخاطبا أعضاء الكنيست قائلا.. بيننا رئيس مصر نرحب به بنبوءة النبى شعيا .. وخلاصة نبوءة النبى شعيا.. ويكبر جبل الرب.. لأن فى جبل الرب الله يعقوب وفى أورشليم الشريعة .. وتأتى شعوب كثيرة ستحول سيوفها إلى سكك فلاحه.. ورماحها إلى مناجل.. ولا ترفع سلاحها فى وجه إسرائيل ،وكان الاقتصاد فى ذاك الحين اقتصاد رعى وزراعة.. أى لن يكون غير قوة إسرائيل شريعة أورشليم الشريعة هى الدولة والنظام.. هى القانون.. هذه الشعوب لا ترفع السلاح فهى ترمى السلاح وبالتالى تخدم إسرائيل.. هكذا يرى الاسرائيليون اسرائيل

حوار مع عبد الحليم خدام



وهكذا فهمنا اسرائيل من خلال هذه المعتقدات.

تهجير الفلسطينيين إلى العراق!

ولا شك أن العرب يريدون السلام ، وقد بذلوا كل جهد ممكن للوصول إليه ، لكن أي اتفاق ممكن أن تقبل به إسرائيل.. ويفتح الطريق لأن تكون اسرائيل دولة عادية غير مهيمنة أو مسيطرة على المنطقة؟!.

إن إسرائيل لا تريد السلام بمفهومنا ومفهوم المجتمع الدولي. فنتنياهو يقول .. نحن نقبل بالقرار ٢٤٢ ولكن بمفهوم خاص للقرار ٢٤٢ . القرار ينص على الانسحاب الكامل من الأراضي العربية.. ولكنه يقول انسحابنا من معظم الأراضي العربية. وعندما يكون الأمر متعلقا بالاحتلال يرى العرب بالجملة.. وعندما يتعلق بالانسحاب والصراع والحقوق يرى بالمفرق!! وعندما يريد العرب تنمية طاقاتهم تصرخ إسرائيل هذا البلد وذاك البلد وتحاول تمزيق العرب.. وعندما يتعلق الأمر بمصالحها تأخذهم بالجملة .والسؤال الذي يطرح نفسه .. هل إسرائيل فعلا دولة تريد السلام؟!! في قرار القمة قال العرب السلام قرار استراتيجي.. ونحن في سوريا نرى أن السلام قرار استراتيجي. لكن ماذا يجري الآن؟!.

خطة إسرائيل الحقيقية هي تهجير الفلسطينيين من فلسطين، والهدف الأساسي من الضغوط والممارسات الإسرائيلية هي وضع المواطن الفلسطيني في حالة الضيق ،حيث لا يبقى أمامه إلا خيار الهجرة.

ونحن اذا عدنا إلى أدبيات الحركة الصهيونية .. عندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا. سئل هرتزل عن مصير العرب في فلسطين.. وكان الجواب.. ننقلهم إلى بلاد ما بين النهرين وفي عام ١٩٤٢ عقد مؤتمر الحركة الصهيونية في نيويورك واتخذ ثلاثة قرارات ، واحد هذه القرارات تهجير الفلسطينيين إلى العراق..**ولذلك لا يجوز أن ننظر إلى ما يجري حول العراق وعلى العراق بمعزل عما يجري بالمنطقة.. فان محاولة تقسيم العراق من أهدافه الأساسية هدف اسرائيلي.. بخلق حالة من الصراع المذهبي بالعراق من أجل تحقيق التوازن. وبنقل الفلسطينيين للعراق ليتم تنفيذ البرنامج الإسرائيلي.** ورغم ما هو قائم بيننا وبين العراق فقد تدخلنا لافشال مؤامرتين حقيقيتين في العراق. لأن وحدة التراب العراقي أساسية لنا كقوميين عرب. وأيضا لأننا في واجهة الصراع مع إسرائيل. فقد كان هناك صراع ومؤمرات على العراق وحوله.. وصراع بين المعارضة العراقية وبين الحكم في العراق. لكن في الفترة الأخيرة دخل خط خارجي على التآمر وأخذ بعدا عمليا. وقد وضعنا يدنا على بعض الحقائق والوقائع. وسارعنا بالفعل إلى خلق الظروف التي أدت إلى إفشال هاتين المؤامرتين ، لأن الأمر لا يتعلق بالنظام العراقي. وإنما تقسيم العراق إلى دويلات ثم اقامة إطار آخر في المنطقة ضمن هذه الدويلات.. ماذا حين تقسم العراق إلى دويلة كردية ودولتين عربيتين، إحداهما سنية والأخرى شيعية . **وهذا يعني تقسيم كل بلد عربي من موريتانيا إلى اليمن. فليس هناك بلد عربي ليس فيه موزاييك ! إما عرقي أو ديني** .. وإذا كنا على خلاف مع النظام العراقي ، فلسنا مختلفين مع الشعب العراقي فهو شعب عربي وبلد عربي.. وإذا ضاع العراق فان خطر ضياعه أضخم كثيرا من الاضرار التي لحقت بالعالم الثالث نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي . لأنه لن يقف عند حدود العراق كما قلت.

لبنان أنبوب اختبار

ويواصل عبد الحليم خدام حديثه قائلا:

لقد كان لبنان مهددا بالتقسيم ، ولأننا نؤكد أن لبنان كان أنبوب اختبار لنجاح التقسيمات الطائفية ، وأن نتائج ذلك ستنتقل إلى بلاد العالم العربي كله لذلك دخلنا لبنان- وعند الكثيرين لم تكن سياستنا مفهومه.. فالسوريون مع **سليمان فرنجية** الرئيس الماروني إلى جانب المسيحيين.. والسوريون مع الجانب الإسلامي ..كيف هذا؟! لأننا كنا **نحارب العقلية التقسيمية في لبنان** .في حين كا يسعى **ياسر عرفات** إلى تقسيم لبنان في نفس الوقت الذى كان يسعى فيه بيير الجميل إلى تقسيم لبنان لذلك ساعدنا **سليمان فرنجيه** الرئيس الماروني ضد **ياسر عرفات** وعندما انتهت الحرب اللبنانية وسقط اتفاق آيار «مايو» أدرك الجميع خلفيات السياسة السورية في لبنان ،فإن أي ضرر بالوحدة الوطنية لأي قطر يؤدي إلى اهتزاز الأقطار العربية كلها.

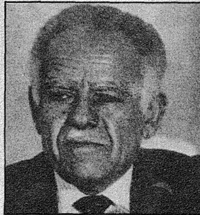
إذن فالمطلوب منا أن نعيد وحدة الموقف العربي ، وأن يكون الموقف العربي منطلقا من الأساسيات والرؤيا المستقبلية لمصالح الأمة العربية وللسلم في المنطقة لأننا بالفعل نريد السلم ،**لكن لا يمكن أن نقبل سلماً يعني الاستسلام يكون فيه القرار في المنطقة بيد إسرائيل. وتكون فيه الهيمنة للإسرائيليين** وتكون فيه حبة تراب من ترابنا الوطني أو جزء من المنطقة العربية تحت المظلة الإسرائيلية . ونحن نريد أن تكون أمريكا الشريك في عملية السلام، على أساس أن تمارس الضغوط على اسرائيل باعتبارها راعية للسلام. لكن عندما لا تستخدم أمريكا هذا الحجم من المساعدات والخدمات التي تقدمها لاسرائيل.. فكيف تستطيع أن تحقق المبادئ التي طرحتها ،وهي المبادرة السلمية التي تعمل في إطارها. والتي طرحها الرئيس بوش.. حيث عقد مؤتمر مدريد استنادا لهذه المبادرة الأمريكية لقد بدأ الرئيس بوش كشريك في عملية السلام .

حوار مع عبد الحليم خدام

وأرى أن الدور الأمريكى تراجع بعد اتفاق أوسلو وكذلك الغرب بشكل عام. إذ تحرر من الالتزام الاخلاقى تجاه الشعب الفلسطينى ،كما حرر بعض الدول العربية من القضية الفلسطينية **،ولو لم يوقع اتفاق أوسلو وبقيت المسارات التفاوضية العربية مترابطة لكان الضغط العربى أقوى وأفضل.. ولظل الرأى العام العالمى مستمرا. لذلك فان الجانب العربى يتحمل مسئولية .. إضعاف موقف أمريكا بعد أوسلو.**

الخطر القادم بعد سقوط الشيوعية!

لقد مضت خمس سنوات على أوسلو . فمن كسب؟ كانت اسرائيل محاصرة فى العالم.. أوسلو كسر الحصار وانتقلت اسرائيل من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم إلى المبادرة وأخذت المبادرة فى الحملة على الإسلام ،وفيما أسمته بالارهاب الاسلامى.. وقادت اسرائيل أمريكا لهذا الاتجاه. وأصبح الارهاب لا يستخدم لارهاب العرب، وليس لمكافحة الارهاب الحقيقى. **فعندما يقاوم اللبنانيون فى الجنوب.. هذا ارهاب.. ولكن عندما يقتل مائة لبنانى فى مذبحة قانا، فليس إرهابا ويعجز مجلس الأمن الدولى عن اتخاذ قرار ليس لادانة اسرائيل، وإنما لاستنكار الحادث وأن القصف كان يستهدف مركز الأمم المتحدة.** وعندما نشر **بطرس غالى** تقريره حول مذبحة قانا.. كان الثمن اخراجه من الأمانة العامة للأمم المتحدة . هذا هو الارهاب الحقيقى الذى يعانى منه العرب. وإذا كان الشعب المحتل أرضه لا يستطيع أن يقاوم الاحتلال.. فكيف يمكن أن يستعيد هذه الأرض؟!! وكلنا يذكر تصريحات بعض القادة الإسرائيليين. أن الخطر القادم بعد سقوط الشيوعية هو الإسلام. وبهذا **الاطار يحاولون أن يزرعوا فى رؤوس العرب أن لديهم عدوا خطيراً يهددهم هو إيران.**يطالبونا أن نتصالح مع إسرائيل، وأن نفرط بحقوقنا لمصلحة إسرائيل والإسرائيليون يطلبون منا أن نخلق عدوا جديدا آخر، وأن نتوجه باتجاه آخر لتفرغ الساحة أمام اسرائيل . ومع الأسف يضيع البعض منا فى هذه المتاهات !! **وتأتى أولبرايت إلى المنطقة وتتحدث عن تسليح إيران.. لكن هل يتكلم أحد عن السلاح النووى الذى تملكه إسرائيل وتصنعه كما تصنع الصاروخ والطائرة والدبابة وكل وسائل التدمير. ومع ذلك إذا اشترت سوريا دبابات من تشيكوسلوفاكيا ..تقوم الدنيا ولا تقعد.**



شامير
رفض السلام

من يستطيع أن يقنعنى أن الإسلام هو الخطر علينا؟!! لماذا الإسلام؟!! ..هناك تنظيمات ستعمل العنف فى بلادها وهى خارجة عن الإسلام نفسه. **لماذا كان الإسلاميون مجاهدين فى افغانستان وأصبحوا فيما بعد ارهابين؟!!** من خلق هذه المدارس ؟! من طور هذه المدارس؟! من اعطاها مليارات الدولارات؟!! من زودها بالأسلحة؟!! والهدف من هذه الحملة هو ارهابنا واخافتنا .. لكن ليس هناك ما يرهبنا ويخيفنا .. ورغم أنه لم يعد هناك توازن حيث كانت شعوب العالم الثالث تستند على الاتحاد السوفيتى فى مواجهة أمريكا . لكن اليوم هناك ما هو أهم من الاتحاد السوفيتى وأمريكا وأوروبا إنها إرادة الشعوب وشعورها أن من حقها أن تنمو وأن تعيش فى حرية واستقلال. وأستطيع أن أقول إننا متفائلون رغم ما يتعرض له الوطن العربى من ضغوطات مادية ومعنوية وغزو ثقافى لا يقل خطورة عن الغزوالعسكرى والاقتصادى الذى يتعرض له العالم العربى. وهنا تأتى مسئوليتنا جميعا ،خاصة الاعلام فى إعادة تأهيل المواطن وتحصينه.. فالتلفزيون والفيديو فى كل بيت وكذلك الاقمار الصناعية (الدش) وبالتالى نتلقى من الخارج ما يمكن أن يصدع نفوسنا وثقافتنا . ومهمتنا إعادة تأهيل المواطنين ليتمسكوا بثقافتهم وتراثهم وقوميتهم، لأنه خط دفاعى أساسى، فعندما تتحلل أجيالنا الصاعدة من قيمنا الاجتماعية والأخلاقية والقومية والدينية، ستتشكل الكارثة.. لذلك علينا حماية أبنائنا من خلال إعادة تأهيلهم وحمايتهم من الغزو الثقافى الأجنبى.

*** تراجع دور الادارة الامريكية بعد اتفاق أوسلو**

*** دخلنا لبنان لأننا ضد العقلية التقسيمية**

*** نتائج ضياع العراق اخطر كثيرا من انهيار الاتحاد السوفيتى**



عرفات
الخروج من المأزق

التزام أمريكا موقف سياسى!

*** وماذا عن زيارة مادلين أولبرايت للمنطقة لاقرار السلام؟**

يجيب نائب الرئيس السورى:

مادلين أولبرايت جاءت إلى هنا.. ومن الملاحظ أن تصريحاتها فى بدء زيارتها تختلف عن تصريحاتها فى نهاية زيارتها للمنطقة.. فى بدء وصولها وعند نزولها لمطار اللد أول كلمة قالتها.. إنها حريصة على تحقيق التفوق العسكرى الإسرائيلى على كل العرب والأمن الاسرائيلى-لكن بالتأكيد وبعد

حوار مع عبد الحليم خدام

اتصالات مع الدول العربية، رأت أن الحقائق غير ما تسمعه من **نتنياهو** وغير ما تمليه مشاعرها ، فكانت تصريحاتها أكثر توازنا، وتحدثت عن التزام أمريكا بشكل واضح لدينا. وأمريكا ملتزمة بالقرار٢٤٢، ٣٣٨ -الأرض مقابل السلام.. والحل الشامل.. لكن هذا الالتزام موقف سياسى**ما هو الموقف العملى لتنفيذ هذا الالتزام**.هنا يبرز الدور العربى الذى عليه أن يعمل لتمويل هذا الموقف السياسى إلى التزام عملى وجدى، ونحن مؤمنون أن العرب لا يمكن أن يحققوا نهضة حقيقية أو إنجازا أو يدفعوا عدوا أو ضررا خارج نطاق الهوية العربية والوحدة العربية. وإذا حققنا ما يجرى فى المنطقة العربية .منذ بدء الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا.. نجد أن الاستعمار والقوى الاجنبية ركزت على تفكيك العرب وتمزيقهم وعلى الحيلولة لمنع قيام علاقات عربية حقيقية مبنية على وحدة المصالح والمصير. لأن أى تفكيك للعلاقات العربية لا يضعف فقط، وإنما يخدم المصالح الاجنبية والمهيمنة على المنطقة.. لذلك جاء طرحنا لشعارين الوحدة حينما نستطيع،**والتضامن العربى** المبنى على المصالح العربية وضمان الأمن القومى العربى. لذلك سعت سوريا-للعمل من أجل الوصول لحالة التضامن العربى. واذا كنا غير قادرين على الانتقال إلى مرحلة التكامل، فلابد من ايقاف حالة التنازع ، وأن نهيئ المناخ لمرحلة أخرى.

من هنا طرحنا فكرة **السوق العربية المشتركة** . ففى العشرين عاما القادمة سيتحول العالم إلى سوق واحدة.. لن يكون فيها مكان للضعيف مهما حاولت سوريا أو مصر أو المغرب أو تونس أو السعودية أن تحصن نفسها. فسوف ينهار حصنها أمام القوى الاقتصادية العالمية التى تنمو وتتطاحن وتتنافس. ولن يتمكن العرب من الدفاع عن مواردهم وثرواتهم وحرية قرارهم، إلا من الانطلاق من بناء قاعدة اقتصادية مبنية على تكامل اقتصادى عربى. نستطيع أن ندخل السوق العالمية. ونحن مطمئنون إلى أن بعضنا يساند بعضنا.. ليس هناك من يقدر على أن يأكل هذا البلد أو ذاك.. وهناك مشروع يجرى إعداده مع مصر ليطرح للوصول إلى التكامل الاقتصادى العربى الذى يجب أن ينتهى إلى المرحلة الاقتصادية والوحدة العربية. لذلك نسعى ما نستطيع لتخفيف الاحتقانات العربية- والوصول إلى تضامن عربى يؤكد مصالح الأمة العربية وطموحاتها.

لماذا كان الاسلاميون مجاهدين فى افغانستان ثم أصبحوا ارهابيين؟!

الأوراق التى بيد عرفها!

هل فى اطار هذا التضامن العربى مطروح لقاء سورى مع عرفات وقادة منظمة التحرير الفلسطينية؟.

من الصعب على الانسان أن يمشى فى طريق ويحصل على نتائج تختلف عن مقدمات هذا الطريق .. عرفات ركب سيارة أوصلته لما هو عليه الآن. فعندما وقعت حادثة إنفجارات القدس ، توجه فورا واتهم مباشرة اللبنانيين. كيف هذا؟!

فالقضية الفلسطينية بالنسبة لسوريا قضية مركزية، ولا يمكن أن نتخلى عن مسئوليتنا تجاه الشعب الفلسطينى . لكن. اخواننا فى المنظمة أخذوا طريقهم.**أبو مازن فى اجتماعه بشارون شكره لانه اجتاح لبنان، وأدى لخروجهم من لبنان حتى يستريح من الضغط السورى .. مع أنه لو بقيت منظمة التحرير مترابطة مع سوريا ولبنان لما تراجع الفلسطينيون**أو على الأقل لبقيت الأمور عند خطهم الراهن، وأبقوا على مكاسبهم العالمية، وعلى وحدتهم الوطنية. ما هى الأوراق التى بيد المنظمة لتضغط بها على اسرائيل؟!! كان بيدها ورقة سوريا واسرائيل عندما تريد السلم فى المنطقة فهى تريده مع سوريا.. فتوازن القوى هو الذى يفرض نتائج المفاوضات فما هى الأوراق التى بيد المنظمة لتضغط بها على إسرائيل..؟! هناك بلدان فى العالم العربى حاربوها ، هما مصر وسوريا.. فاذا ما طوت اسرائيل ملف الحرب مع سوريا ، فلن تفتح ملف السلم أبدا. وعرفات وقع اتفاق أوسلو فازدادت مصاعب اسرائيل الأمنية.. وازدادت مصاعب عرفات الوطنية.. وهذا الطريق إلى أين سيوصل عرفات والمنظمة والتى كانت

الاطار الوطنى للشعب الفلسطينى؟!! إذهبوا اجتمعوا بالفلسطينيين فى الداخل.. إنهم يقولون كنا مع الممارسات الاسرائيلية ،والآن أصبحنا فى ممارسات ثلاثة عشر جهازا أمنيا عند أبو عمار!! إننا نريد لهم الخروج من هذا المأزق، وأن تنتهى معاناة الشعب الفلسطينى ، وأن يعود للنقطة التى يستطيع منها أن ينطلق لتحرير أرضه واستعادة حقوقه، وهذا لن يتم إلا بالوحدة الفلسطينية وإعادة البعد العربى للقضية الفلسطينية. وأنا متأكد أن الرئيس كلينتون يريد السلام ، لكن اسرائيل التى لا ترد على أمريكا هل سترد على عرفات!!.

• أمريكا لابد أن تتوازن

ويقول عبد الحليم خدام حول مؤتمر الدوحة الشرق أوسطى:

«قرار مؤتمر القمة العربى فى القاهرة سينفذ.. ومن خلال جولتى على جميع الأقطار العربية تقريبا سمعت كلاما واضحا، لا لبس فيه من رؤساء هذه الدول من أنهم **لن يشاركوا فى مؤتمر الدوحة** .. وليس لدينا ما يغير هذا الانطباع.. وإذا كان لم يصدر عن مجلس وزراء الخارجية مؤخرا قرار بذلك ، فان بعض الاشقاء لا يريد التسرع فى الاعلان. ولكنهم اتخذوا القرار. ومن الطبيعى ألا يشارك الاشقاء العرب فى ظل عدم حدوث تقدم على المسارات اللبنانية والسورية والفلسطينية. ونظرا لقناعتنا أنه لن يغير شيئا أو يقدم شيئا. فان قرار القمة العربى سينفذ.**لكن هل من الطبيعى أن يستمر بلد عربى فى الدعوة لمثل هذا المؤتمر ؟!! أمريكا تضغط على الدول العربية وتطالبها بالمشاركة فى مؤتمر الدوحة**.. والإدارة الأمريكية مضغوطة.. فكيف يكون التوازن بالادارة الامريكية إذا لم يكن هناك ضغط عربى، لماذا لا نضغط على الادارة الأمريكية؟!! فهى عندما تضغط على الجانب العربى الذى يستجيب لها!! فهل تستمر هذه الآلية فى العمل؟!! ونحن إذا كنا نريد أمريكا أن تقوم بدور إيجابى وبناء فى عملية السلام، فلابد أن يتشكل موقف عربى واحد وأن يتشكل ضغط عربى على أمريكا حتى تستطيع أن تتوازن. فالادارة الأمريكية بحاجة لهذا الضغط، لأنها اذا لم تواجه الضغط العربى وتقول للاسرائيليين لدى مصالح . وهذه المصالح تضغط عليهم من أجلها،فكيف تستطيع أن تتوازن. وأعتقد أن بعض العرب الذين يستجيبون لهذه الضغوط الأمريكية يدفعون أمريكا للغرق أكثر فأكثر فى القبول بالضغوط الاسرائيلية.

الأخت الثامنة تطالب بنصيب

نجلاء العمرى

رسالة باريس

عندما سألت **لوران فابيوس** -أحد قيادات الحزب الاشتراكي ورئيس الجمعية الوطنية -عن عقد **توتال / ايران**، كان رده حاسما :« **عندما يصوت الكونجرس الأمريكي على قانون ما، فهذا القانون لا ينطبق إلا على الولايات المتحدة فقط. ولا يمكن أن يطبق على الأخرين. قانون داماتو قانون أمريكي، لا شأن لنا به، ولا يمكن أن نقبل تطبيقه علينا** ».

وأضاف فابيوس بلهجة كانت أقل حدة بكثير: « توقيع العقد بين **توتال وايران** ، لا يعني مع ذلك ، فتح الباب على مصراعيه أمام سائر الشركات الأخرى ».

إجابة **فابيوس** عن سؤالي لم تخرج عما رددته كافة الأجهزة الفرنسية منذ إثارة الموضوع. فمنذ اللحظة الأولى، تميز الاداء العسكري والاعلامي الفرنسي باجماع تام، في تناقض مطلق مع ما تشهده الساحة السياسية من خلافات عميقة ليس بين اليسار الحاكم واليمين المعارض فحسب بل داخل اليسار ذاته، خلافات تطال كافة القضايا الداخلية والخارجية بدءا من قضية **تخفيض ساعات العمل** التى تعيد تركيب المجتمع الفرنسي في مرحلة يطلق عليها علماء الاجتماع « **المغالاة في الحداثة** » Surmodernistion- ولنا عودة بالتفصيل حول هذا الموضوع خاصة بعد ما شهدته روما من قرارات مماثلة ومن قبلها ألمانيا ، والمواجهة التى يتعرض لها وزير الداخلية **شوفمنان** من قبل المثقفين بشأن قوانين الهجرة ، ثم المواجهة الحادة- داخل فئات المجتمع الفرنسي ذاته، مع فتح ملف الجرائم ضد الانسانية ، بمحاكمة **موريس بابون** -أحد مسئولي الشرطة ايام حكم **فيشي** وما يتعرض له من مطاردة باتت اشبه بما اطلق عليه أحد مراسلي محطات الاذاعة « المسلسلات الأمريكية التى لا نهاية



لوران فابيوس
قانون«داماتو» امريكى لا شأن لنا به

الاستثمارات المباشرة الخارجية في الاقتصاد العالمي

-خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة، أصبح **الاستثمار المباشر خارج الحدود** أحد المعالم الرئيسة للاقتصاد العالمي. عام ١٩٩٦ ، تقول الارقام:

- الاستثمارات المباشرة العالمية خارج الحدود: ٣٥٠ مليار دولار مقابل ١٦٠ مليار عام ١٩٩١.
- مبيعات الشركات متعددة الجنسيات من خلال افرعها في الخارج: ٦٠٠٠ مليار دولار.
- إجمالي استثمارات افرع الشركات متعددة الجنسيات ١٤٠٠ مليار دولار.
- حجم عمليات البيع/ الشراء العابرة للحدود: ١٦٠ مليار دولار.

-موقع فرنسا بين مجمل الدول الأوروبية :
(الاستثمارات ما بين عامي ١٩٩١ و ١٩٩٦)

- فرنسا ١١٩ مليار دولار.
- بريطانيا ١٠٩ مليار دولار.
- بلجيكا ٦٣ مليار دولار.
- اسبانيا ٥٥ مليار دولار.
- هولندا ٤٧ مليار دولار.
- السويد ٣٦ مليار دولار.
- المانيا ٢٢ مليار دولار.
- ايطاليا ٢٢ مليار دولار.

لها ».

فالرجل وقد تخطى السبعين أفرجت عنه المحكمة مؤقتا نظرا لاصابته بالقلب، ولكنه «ظل أسير لحريته هذه فى انقلاب للأدوار مدهش، **فها هو «بابون الحائر/ التائه» المطارد من قبل اليهودى ، لم يعد تائها ولاحائرا ، فما أن يدخل إلى فندق ليقضى ليلته ، الا ويهاجم الفندق**، وتتحول حياة اصحابه والعاملين به إلى سلسلة متواصلة ليل نهار من المكالمات التلفيونية التى تهدد وتتوعد ، فيغادر الفندق لاخر، وتطارده نفس الجمعيات ونفس التهديدات حتى بات موضوع« أين يقضى بابون ليلته» فى صدر نشرات الاخبار والصحف.

ثم المواجهة التى تشهدها الطبقة الحاكمة أو السياسية مع **«حق الاعلام»** بصدور كتاب نشره صحفيان يتهمان وزير الدفاع السابق **فرانسو ليوتار** بتدبير اغتيال نائبة الجنوب بالجمعية الوطنية- بان بيان منذ ثلاث سنوات- **تبدو اذاً النغمة الموحدة والوحيدة التى عزفتها فرنسا فى مساعدة توتال مدعاة للتأمل.**

أما الجزئية الثانية من إجابة **فابيوس** فتوضح حدود هذا التحدى ، وحدود هذه المواجهة، فالمصلحة- **يراد بها مصلحة اقتصادية فحسب لا يجب اعتبارها تغييراً سياسياً فى الموقف** ولن تتطور، ولا تنوى القيادة السياسية ان تتركها لتتطور باكثر من ذلك . ومن هنا كان الغياب التام لاى اشارة **لايران** فى كل التصريحات ، ولاى إثارة لخلفية القانون الأمريكى أى ما اذا كانت ايران ارهابية أم لا؟.

وربما كان «هذا الغياب» والمسكوت عنه هو ما ساهم فى ايجاد منفذ ولو صغير للقيادة الأمريكية **.فالرئيس الأمريكى** اكتفى بالاعلان عن البدء فى التحقيق . ولكنه اضاف- فى كلمات ذات مغذى -على التحقيق أن يأخذ المدة اللازمة. واعتبرت فرنسا أن الملف- ملف صدام محتمل مع الولايات المتحدة قد اغلق بهذه العبارة.

الاخوات السبعة

الصفقة جاءت نتيجة لرحلة طويلة بدأت فعليا من عامين سابقين ، عام ١٩٩٥ ، عندما طرحت **ايران** ولأول مرة منذ الثورة الاسلامية أمام شركات البترول العالمية استغلال ابار **«سيرى»** فى الجنوب.. التصفية الأولى اسفرت عن فوز عروض ثلاث شركات : الشركتان الفرنسيتان الكبيرتان فى هذا المجال أى **شركة ألف وشركة توتال** ، ثم شركة أمريكية هى **كونوكو**Conoco.

وتراجعت كونوكو بضغط من الرئيس الأمريكى . وتراجعت **ألف** لأنها حسبت حسبتها ورأت أن عائد العملية لا يساوى ما قد تسببه من مشكلات **.ولم يبق الا توتال ، التى رأت فى العملية بالنسبة لها «فرصة العمر» لتغيير مكانتها على خريطة شركات البترول العالمية، وفى النفوذ مستقبلا** من هذا الباب الصغير «آبار سيرى» فى الجنوب إلى المناطق الشمالية . الأكثر ثراء ، المحيطة **ببحر قزوين** ، والتى هى فى الواقع «لب»الصراع القائم الآن.

فالخريطة السياسية للعالم قد تغيرت بفعل تفتت **الاتحاد السوفيتى .** وأصبحت مناطق تواجد البترول حول **بحر قزوين** موزعة بين عدة دول كانت سابقا جزءا من الاتحاد السوفيتى. والكل يحاول كسب الثقة وايجاد موضع قدم هنا بين هذه البلدان . حتى أن بعض المحللين يرى فى ذلك تفسيرا للمساندة الأمريكية للطالبان فى افغانستان **ثم هناك مصالح حيوية أخرى محتملة فالعملاق الذى يستقيظ أى الصين لم يعد انتاجها يلبى احتياجاتها الداخلية**، ولجأت إلى اتفاقية مؤخرا مع كازاخستان لبناء خط انابيب يمتد إلى ثلاثة الاف كيلو متر **.الكعكعة اذن تستحق ان يتسابق إليها الجميع.**

حتى الان، سيطرت على صناعة البترول عالميا سبع شركات انجلو/ساكسونية، يطلق عليها الخبراء الاخوات السبع هذه الشركات كلها

-موقع الاتحاد الأوروبى بين مناطق الجذب العالمية :(مليار دولار)

الاجمالى العالمى عام ١٩٩١ ١٥٥ و عام ١٩٩٦ -٣٤٩.
الاتحاد الأوروبى عام ١٩٩١ ٧٩ وعام ١٩٩٦- ١٠٥
امريكا الشمالية عام ١٩٩١ ٢٥و عام ١٩٩٦- ٩١.
آسيا عام ١٩٩١ و٢٣ عام ١٩٩٦ -٨٤
امريكا اللاتينية عام ١٩٩١ ١٥ وعام ١٩٩٦- ٣٨.

-موقع فرنسا بين الدول المصدرة للاستثمارات إلى الخارج عام ١٩٩٦ :(مليار دولار).

-الولايات المتحدة :٨٥
-بريطانيا ٥٣
-المانيا ٢٩
-هونج كونج ٢٧
-فرنسا ٢٥
-اليابان ٢٣
-هولندا ١٩
-سويسرا ١٠

امريكية:**ايكسون، موبيل، وبى بى**Bp،وشيفرون ،واموكو، وتكساكو وواحدة فقط انجليزية هولندية هى شل.

كان على الشركات الاخرى ان تكتفى بالفتات خاصة فى منطقة الشرق الأوسط. فحجم الاخوات السبع لم يكن يسمح بأية منافسة. ويكفى تدليلا على ذلك من أن **رأسمال كل من شل واكسون (إسو) المطروح فى البورصة مجتمعين يتجاوز ميزانية دولة متقدمة مثل فرنسا .** وشل لها وضع شبه احتكارى فى بعض الدول مثل سلطنة عمان. ويصل نفوذها إلى حد اعطائها تأشيرات الدخول إلى سلطنة بروناى.

لكن ، دخلت متغيرات جديدة قلبت موازين القوى. وجعلت الشركات الاقل تسعى إلى اقتحام عالم **«الاخوات السبع»** .فهناك أولا التطورات التكنولوجية فى مجال التنقيب . والبحث عن البترول. فاليوم ، أصبح بالامكان الوصول إلى الاعماق، وضخ حتى آخر نقطة بترول دون تكاليف ضخمة كما كان الحال سابقاً.

وهناك التغيرات على الساحة السياسية ، أو كما قال أحد مسئولى توتال: **«اليوم ، ثلث سكان الأرض يعانون لاسباب مختلفة من حظر امريكى ، كامل أو جزئى» ،وهو المدخل الذى تريد فرنسا الدخول منه ،** باستراتيجية بديلة «للعنجهية الأمريكية» أو كما قال نفس المسئول: «الأمريكان يتصرفون وكأنهم اسياد. أما نحن، فاستراتيجيتنا تقوم على تفادى أى مظهر من مظاهر العنجهية «**وعقد توتال/ ايران هو- بهذا الصدد- رسالة إلى قادة الدول فى المنطقة «فرنسا شريك مضمون لا يأخذ فى الاعتبار ، الا المصالح المتبادلة للطرفين».**

المحور الفرنسى/ الروسى

وتعود نشأة توتال إلى **١٩٢٤**. وكان الهدف من إنشائها هو الحصول على نسبة الـ ٢٥ ٪ من اسهم شركة البترول التركية والتى كان يملكها فى هذا الوقت البنك الألمانى كتعويض المانيا لفرنسا عن أضرار الحرب.

وطوال تاريخها ، تجنبت توتال**«الاخوات السبع»** ولم تدخل على الاطلاق أى معركة مع النفوذ الانجلو ساكسون فى مناطق البترول. وهو ما ادى بالجنرال **ديجول** ، عام ١٩٦٦، وبعد أن رفضت توتال تنفيذ أوامره فى الدخول فى منافسة مباشرة مع المصالح البترولية الانجلو ساكسونية فى



شيراك ويلتسين
تحالف فرنسي
روسي



جوسبان
المجموعة
الاوروبية
الاقتصادية
متضامنة معنا

افريقيا، ادى به إلى **انشاء شركة ألف** المنافس الأول لتوتال فى فرنسا.

تغيير قيادة الشركة فى مطلع التسعينات باحد المديرين السابقين لاحدى الاخوات السبعة بالاضافة إلى العوامل الاخرى التى ذكرناها، اعطى دفعة «طموح للشركة» وعندما اتت الفرصة، انتهزتها بعد أن اعتمدت فى مواجهتها على أساليب ثلاثة: فهى قد تخلصت اولا من نشاطاتها داخل الولايات المتحدة. ثم هى ثانيا، تأكدت من دعم الحكومة الفرنسية ودعم المجموعة الأوروبية لها. وهو ما اشار اليه **ليونيل جوسبان** -رئيس الوزراء- عندما قال« **إن مجمل المجموعة الاقتصادية الأوروبية متضامن مع الموقف الذى اتخذناه. فلا يمكن لاحد أن يقبل بأن تقوم الولايات المتحدة بتمرير قوانينها على المستوى العالمى».**

وأخيرا، اختارت سياسة التحالف. فالصفقة عقدت بمشاركة **شركة بتروناس ،والشركة الروسية غازبروم** -ولكل منهما ٣٠٪ من العقد. وما يعنينا هو التحالف الفرنسى / الروسى على وجه التحديد. فهو أولا، تحالف ما بين شركة بترول وشركة انتاج واستغلال غاز طبيعى- بكل ما فيه من احتمالات استراتيجية كطاقة اساسية فى المستقبل. ثم هو تحالف

مع«عملاق» فشركة **غاز بروم** -واحدة من كبريات الشركات فى العالم فى هذا المجال، ولكن ، وربما كان هذا الاهم، هى قوية داخل روسيا إلى الحد الذى وصفته بها وسائل الاعلام الفرنسية على أنها «**دولة داخل الدولة**» ،فهى تنتج ٩٤٪ من احتياجات السوق الروسى ذاته من الغاز ومديرها لاكثر من ثلاثين عاما ليس الا **فيكتور تشيرنوميردين** -رئيس الوزراء الحالى. ولا زالت الحكومة الروسية تحتفظ بـ٤٠٪ من رأسمالها . اذا ، لم يكن مستغربا ان تتم الصفقة مع توتال بعد يومين فقط من لقاء الرئيسين الفرنسى والروسى.

الدخول .. من الشباك

ومع ذلك ، إذا كانت الساحة البترولية العالمية اليوم تغير ملامحها بالتدريج. فالعقد الذى وضعته **توتال** يساوى مليارين من الدولارات وهو أكبر العقود التى توقعها ايران منذ عام ١٩٧٩ ، إلا أن **عولمة السيولة النقدية وظاهرة الاستثمارات الخارجية المباشرة الاخذة فى النمو بشكل مطرد- الارقام ملحقة بالمقال- تأتى من الشباك بالأموال الامريكية التى اخرجتها من الباب.**

فلا يجب أن نتجاهل ان الأموال الأمريكية لها انصبة هامة فى شركة ألف الفرنسية بل وفى توتال ذاتها. مما يجعل تحليل الموقف أعقد بكثير من مجرد قراءة تبسيطية لمواجهة امريكية / أوروبية وفرنسية على وجه التحديد مقبلة.

ولا ننسى أيضا أن **شل** تفاوض هى الأخرى ، على عقد **مع ايران** تفوق قيمته عقد **توتال** ٢ر٦ مليار دولار. وان كانت الصحافة الأمريكية قد وجدت «مبررا» للخروج من مأزق شل وانقاذ النفوذ الانجلوساكسونى بالقول انه من الناحية التقنية، فان بناء انابيب تمر من خلال الأراضى الايرانية. لا يعدو خرقا للقانون، حيث ان الغاز لن يفعل الا أن يمر بايران فقط» **ويتردد فى الصحافة الفرنسية ان وفود امريكية تصل إلى ايران للتفاوض استعدادا لاشارة البدء فى سباق السيطرة على بحر قزوين.**

واعود إلى مقابلتى مع **لوران فابيوس** . عندما سألته عما اذا كان العقد يعنى مواجهة فرنسية / أمريكية فى الشرق الأوسط قد تنعكس على **الصراع العربى الاسرائيلى**،كان رده أيضا حاسما:تقولون لنا عليكم أن تقوموا بدور فى المنطقة. وبالقطع ، علينا وعلى أوروبا ان تقوم بدور .ولكن **،فى النهاية ، نجد أن الاطراف المتنازعة لا تزال أكثر استجابة للدور الأمريكى فماذا تريدون منا أن نفعل أكثر من ذلك.؟**

-الشركات الفرنسية المصنفة ضمن الشركات متعددة الجنسيات المائة الأكثر امتدادا فى العالم:إحدى عشرة شركة أكبرها

-ألف (بترول).
-الكاتيل (اتصالات).
-رونو (سيارات).
-رون بولانك
-توتال(بترول).

-فرنسا هى ثالث دولة فى الترتيب العالمى من حيث عدد الشركات متعددة الجنسيات الأكثر امتداداً فى العالم:

-الولايات المتحدة ٣٠ شركة.
-اليابان ١٨ شركة.
-فرنسا ١١ شركة.
-بريطانيا ١١ شركة.
-المانيا ٩ شركات.
-سويسرا ٥ شركات.



فيديل كاسترو

الثورة الكوبية

ألقت ظلالها على جولة كلينتون اللاتينية

سمير كرم

رسالة واشنطن

عندما بدأ الرئيس الأمريكي **كلينتون** جولته في أمريكا اللاتينية في منتصف شهر أكتوبر الماضي استعادت الذاكرة الأمريكية أحداث جولة مماثلة بدأت ولم تتم .

كان ذلك في منتصف شهر مايو عام ١٩٥٨ ، وكانت الجولة **لريتشارد نيكسون** الذي كان آنذاك نائبا للرئيس الأمريكي **ايزنهاور**. بدأت جولة **نيكسون** في فنزويلا وهناك لم تستطع الحكومة الدكتاتورية الصديقة للولايات المتحدة أن تحميه من مظاهرات الجماهير الغاضبة التي شكلت أضخم استقبال لركبه.. لكنه كان استقبالا معاديا له ولسياسات واشنطن . ورفع المتظاهرون في وجهه مباشرة لافتات عليها عبارات مثل «**نيكسون الأفعى السامة**».

وغادر **نيكسون** كاراكاس عاصمة فنزويلا سريعا إلى المحطة التالية في جولته اللاتينية.. وكانت **ليما** عاصمة **بيرو** . هناك لم يختلف المشهد .مظاهرات جماهيرية عارمة ضد سياسات الهيمنة التي تنتهجها واشنطن وضد تأييدها للنظم الدكتاتورية الفاسدة وضد امتصاص دماء شعوب القارة باسم الاستثمار الحر . بل **كانت مظاهرات بيرو أعنف ، وكانت جماهير المتظاهرين أشد غضبا إلى حد أن سيارة نيكسون أمطرت بالحجارة والبيض وصيحات الاستنكار، وبلغ الاستنكار ذروته عندما بصق المتظاهرون مباشرة بوجه نائب الرئيس الأمريكي..**

وكان هذا فوق احتمال **نيكسون** وزوجته والفريق المرافق، فقد كان معناه أن تحريض الشيوعيين قد بلغ ذروته ونجح في اهانة الولايات المتحدة، هكذا قالت البيانات الرسمية الأمريكية، وهكذا قال الاعلام الأمريكي آنذاك. ولم يستمع المسئولون الأمريكيون إلى صوت الصحافة «المعتدلة» غير اليسارية وهي تؤكد حقيقية أن الشيوعيين ليسوا وحدهم الذين يستهجنون سياسات أمريكا ضد بلادهم.

وقطع نيكسون جولته.. عاد وكأنه رئيس اسقطه انقلاب عسكري فقرر الفرار.. عاد بسرعة الهارب إلى واشنطن.

**

بطبيعة احال لقد تدفقت مياه كثيرة تحت جسور أمريكا اللاتينية منذ ذلك الوقت. مع ذلك فان **كلينتون** هو أول رئيس أمريكي يقدم على القيام بجولة واسعة في أمريكا اللاتينية منذ ذلك الوقت .. أي منذ أربعين عاما.

انتهت مرحلة «تصدير الثورة» من كوبا..

وبدأت واشنطون مرحلة «تصدير الارهاب» إليها

ما حدث لجولة نيكسون حدث ولم تكن الثورة فى كوبا قد انتصرت .. انما كانت أنباء العمليات المسلحة للثوار بقيادة **كاسترو وجيفارا** تملأ أسماع جماهير أمريكا اللاتينية وتلهب حماسها وتملأها أملا فى المستقبل. وبعد افشال جولة **نيكسون** اللاتينية بسبعة أشهر فقط انتصرت الثورة الكوبية.دخلت القوات بقيادة **فيديل كاسترو** هافانا. وفر الدكتاتور الكوبى الجنرال **باتيستا** بطريقة شبيهة بفرار نيكسون.

لم يبلغ حجم المظاهرات التى قابلت **كلينتون** قدراً يمكن مقارنته بما واجه نيكسون قبل ٤٠ عاما. **لكن الرئيس الأمريكى لم يستقبل بمظاهرات تأييد أو فرح بمقدمه. فى معظم العواصم التى زارها، استقبلته مقاطعة جماهيرية غير منظمة.. على الرغم من المحاولات الاستعراضية الواضحة لكى يبدو قريبا من الجماهير. من فقراء أمريكا اللاتينية.**

صحيح ان كابوس تجربة **نيكسون** لم يكن على صدور المسئولين الامريكيين (والا لما قام **كلينتون** بهذه الجولة أصلا).. لكن المسئولين الامريكيين يعرفون جيدا ان «ظل كاسترو» على القارة الجنوبية الامريكية أطول من أن يكون بالامكان إخفاؤه . يعرفون أن جماهير بلدان امريكا اللاتينية تخرج لاستقبال **كاسترو** باعتباره رمزا عظيما للثورة.. على الرغم من كل ما جرى خلال الأعوام التى انقضت من عمر الثورة ومن عمر كاسترو ، على صعيد امريكا اللاتينية وعلى صعيد العالم الثالث وعلى الصعيد الدولى. **يبقى كاسترو زعيما تبتهج له قلوب الجماهير فى أمريكا اللاتينية طولا وعرضا .. وتستقبله كلما زار أيا من عواصمها استقبالا لا يحلم به أى رئيس أمريكى.**

يبقى كاسترو على الرغم من انقضاء حقبة تصدير الثورة(اذا استخدمنا التعبير الذى صكته المخابرات الامريكية لوصف دور كوبا فى دعم ثورات التحرر فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا) . لانه زعيم الثورة التى تقاوم الهيمنة الامريكية ولا تركع لشروط امريكا أبدا . ولا تتنازل عن الاشتراكية حتى بعد ان غابت الدولة الاشتراكية الكبرى التى ساندت الثورة الكوبية استراتيجيا وسياسيا واقتصاديا ، حتى بعد أن أصبح «الوحش الأمريكى» رابضا وحده على بعد أميال من «الجزيرة الاشتراكية المعزولة».

لم يعد باستطاعة كوبا أن ترسل قواتها لدعم الثورة خارج حدودها بل أصبحت كوبا تواجه أمريكا فى مرحلة جديدة من الصراع هى مرحلة«تصدير الارهاب» إلى داخل كوبا، فى عمليات تفجير للقنابل فى الفنادق والأماكن السياحية بهدف ضرب ما يمكن ان يعد المصدر الاهم للعملات الصعبة تحت ظل سياسة الحصار الشامل التى تفرضها الولايات المتحدة على كوبا. لكن يبقى باستطاعة كوبا أن تبقى ثورية،وأن تبقى اشتراكية ملهمة لشعوب أمريكا اللاتينية .. والالهام لا يحتاج إلى عبور الحدود.

والحقيقة أنه لم يعد بامكان أحد أن يكتب عن **كوبا** دون أن ينبثق بداخله دفق من «الرومانسية» قد يبدو معه أن التحليل السياسى يغيب أو على الأقل يتراجع ، وأن منطق الواقع يضحى به من أجل التمسك بمنطق التفاؤل ، حتى لو كان ممزوجا بالرومانسية والخيال، وهذا صحيح لسبب «منطقى» بسيط هو أن التحدى الكوبى لقوة أمريكا الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية -بالأخص بعد أن تولت مركز «الدولة الأعظم الوحيدة» فى العالم- لا يكاد يجد تفسيرا من منطق الواقع ومنطق الحياة العملية، منطق الحسابات الصماء. فهذا المنطق لا يقبل بقاء كوبا الثورية الاشتراكية فى عالم اليوم.. عالم«العولمة» لحساب الرأسمالية الامريكية الكبيرة التى لا تعرف حدودا لحركتها وآفاقها.

> **لم يستقبل كلينتون بالحجارة والمظاهرات المعادية التى استقبلت نيكسون عام ١٩٥٨ .. لكنه ما كان ليحلم باستقبال شعبى على غرار ما يستقبل به كاسترو فى أى من بلدان القارة**

من أجل دعم مصالح الرأسمالية الأمريكية الكبرى قام بيل كلينتون بجولته اللاتينية . لهذا كانت خريطة الجولة تشمل ثلاث بلدان لاتينية : **فنزويلا** المنتج الأكبر للبترول فى ا لقارة الأمريكية الجنوبية **،والبرازيل** صاحبة ثامن أكبر اقتصاد فى العالم اليوم**،والارجنتين** الدولة اللاتينية الوحيدة التى سارت وراء أمريكا بقواتها إلى حرب الخليج وإلى التدخل فى هاييتى ثم البوسنة ورواندا وموزمبيق وقبرص.

لهذا لم يكن مفاجئا لمن يعرف دور كلينتون وادارته فى الدفاع(بالأحرى الهجوم) لصالح المؤسسات الرأسمالية الأمريكية على كافة الجبهات أن الرئيس الأمريكى أصدر- قبل سفره إلى أمريكا اللاتينية بشهر واحد- قرار الغاء الحظر على تصدير الأسلحة الأمريكية إلى دول القارة.**لأنه حينما يشار إلى الرأسمالية الأمريكية الكبرى يكون المقصود قبل كل شئ المؤسسات الأمريكية التى تنتج الأسلحة ، الطائرات والصواريخ والدبابات والغواصات.. وكل الذخائر التى تستخدمها هذه الأسلحة.**

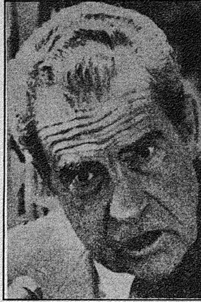
لقد تبين للادارة الأمريكية أن أيا من دول أمريكا اللاتينية لا تأتى بين الدول العشر الأولى على قائمة مستوردى الأسلحة، وربما كان هذا هو السبب الرئيسى فى جولة كلينتون اللاتينية :فالرجل يحدد خطواته(ان لم نقل يتلقى أوامره) بناء على ما تريده هذه المؤسسات.. ويصرف النظر تماما عن حاجة أمريكا اللاتينية إلى أسلحة . بل بصرف النظر عن أن **هذه الأسلحة إذا استخدمت فلا مجال لاستخدامها إلا بين هذه الدول بعضها** ضد بعض ، أى فى إطار أمريكا اللاتينية وليس خارجها.

لقد ألغى كلينتون قراراً كان قد اتخذه آخر رئيس ديمقراطى أمريكى قبل-جيمى

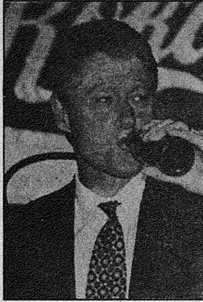
هدفان لجولة الرئيس الأمريكى:

* فرض صفقات الاسلحة على أمريكا اللاتينية

* تعزيز هيمنة واشنطون السياسية والاقتصادية



نيكسون
بصق المتظاهرون عليه



كلينتون
مقاطعة جماهيرية

كارتر- قبل عشرين عاما بحظر تصدير الأسلحة إلى بلدان أمريكا اللاتينية ، لكى يضمن العودة من زيارته لفنزويلا والبرازيل والارجنتين بصفقات تريدها شركات انتاج الأسلحة الأمريكية.. ولا يريدها أحد غيرها ، حتى الدول التى ستدفع ثمن هذه الأسلحة.

انتهى إذن «عصر» «تصدير الثورة من كوبا».. وبدأ عصر «تصدير الحرب من أمريكا».

هل فقط من أجل صفقات أسلحة تمت تلك الجولة ، بعد تردد خائف استمر أربعين عاما؟.

يجيب «مجلس شئون نصف الكرة الغربى».. وهو أحد أهم مراكز البحوث الأمريكية المعنية بشئون أمريكا اللاتينية خارج اطار النظرة الرسمية السائدة فى واشنطن.

« **الواقع ان الدافع الحقيقى المختفى خلف الاقنعة الخطابية الديمقراطية هو تعزيز الهيمنة الأمريكية فى جميع أنحاء المنطقة. والتأكد من أن أمريكا اللاتينية ستبقى مصدرا جاهزا للمواد الخام ،وخاصة للطاقة، والأيدى العاملة الرخيصة والأسواق للمؤسسات الأمريكية العملاقة.**

لهذا كان من المؤكد من البداية أن كلينتون لن يقول شيئا فى خطاب صريح أما شعوب المنطقة عن الفقر الوبائى فى أمريكا اللاتينية أو عن التفاوت الهائل فى توزيع الثروة، على الرغم من أنهما تاريخيا يشكلان أخطر العوائق أمام قيام ديمقراطية مستقرة من أى نوع قابل للحياة فى أمريكا اللاتينية» (بيان أصدره المجلس المذكور فى واشنطن يوم ١٤ أكتوبر الماضى).

وتعزيز الهيمنة الأمريكية علي أمريكا اللاتينية لايكاد يواجه عقبة سوى استمرار النظام الاشتراكى فى كوبا ،وما يمثله بالنسبة لفقراء «الدول الديمقراطية» فى القاره . ولهذا لا يشك أحد فى أن كوبا كانت على جدول أعمال **كلينتون** فى محادثاته مع رؤساء فنزويلا والارجنتينى والبرازيل. وعلى قائمة جولة حكومات أمريكا اللاتينية بالنسبة لكوبا. **فان واشنطن تريد أن تضمن استمرارالحصار الاقتصادى المفروض على كوبا منذ عام ١٩٦٣** ،وتريد أن تثنى الدول اللاتينية عن اثارة أية اعتراضات على هذه العقوبات تحت ضغط من جماهير هذه الدول، وتريد فى الوقت نفسه أن لا تثار أية اعتراضات على أية اجراءات تراها واشنطن مناسبة ضد «النظام غير الديمقراطى» الوحيد فى القارة الآن.. أى النظام الكوبى.

وليس خافيا أن امتناع كلينتون عن اثارة البعد الاجتماعى للمشكلات التى تعانى منها بلدان أمريكا اللاتينية ،حتى تلك التى فرض عليها العودة إلى شراء الأسلحة الأمريكية الثقيلة والمتقدمة- سببه كوبا. سببه النموذج الكوبى، الذى استطاع على الرغم من صعوبات وتحديات تفوق الوصف أن يجعل الجماهير الكوبية تدافع عنه بكل قوتها وبكل ايمانها:«الاشتراكية أو الموت».

ولعل الصدفة وحدها هى التى لعبت دورها فى توقيت جولة كلينتون اللاتينية مع حدثين على درجة كبرى من الأهمية شهدتهما كوبا فى أكتوبر.

أولهما: انعقاد المؤتمر الخامس للحزب الشيوعى الكوبى (الأول منذ عام ١٩٩١) فى مناسبة الذكرى الثلاثين لاغتيال الثائر الاشتراكى العظيم ورفيق، **كاستروارنستو تشى جيفارا.**

ثانيهما: احتفال كوبا المهيب بمراسم دفن رفات جيفارا فى الأرض الكوبية بعد أن تمت استعادتها قبل شهور قليلة من بوليفيا حيث كان قد اغتيل (بمساعدة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) ودفن فى مقبرة جماعية لم يستدل علي مكانها حتى شهور مضت.

ولقد كان هذان الحدثان شاهدين هائلين على حيوية الثورة الكوبية وقوة تفاعل الشعب الكوبى مع قيادتها وعمق ايمانه بالاشتراكية وتمسكه بها واستعداده للدفاع عنها. فقد جاء فى وقت أعقب حملة ارهابية- انكشف دور المخابرات الامريكية فيها بعد وقت قصير- لتفجير القنابل فى بعض الاماكن السياحية فى هافانا ومدن كوبية أخرى-كما جاء هذان الحدثان فى أعقاب تجدد الشائعات التى تنشرها المخابرات الأمريكية فى أنحاء أمريكا اللاتينية بين وقت وآخر عن وفاة كاسترو.. أو على الأقل سقوطه ضحية لمرض خطير.

وقد شارك **كاسترو** بفاعلية وحيوية فى أعمال مؤتمر الحزب الشيوعى إلى حد أرغم الصحافة الأمريكية على تغطيته.. وهى التى اعتادت تجاهل هذا النوع من الأحداث فى كوبا بوجه خاص .وعندما القى الزعيم الكوبى- الذى بلغ الحادية والسبعين فى أغسطس الماضى- خطابا سياسيا شاملا

استمر سبع ساعات أمام مؤتمر الحزب تحول هذا إلى خبر أفردت له الصحف الأمريكية مساحات كبيرة: كاسترو حي، ويؤكد من جديد التمسك بالاشتراكية. كاسترو يظهر قويا على الرغم من ضعف الاقتصاد الكوبي - رداً على الشائعات كاسترو يخطب لنحو ٧ ساعات.

وما كان يمكن أن تظهر هذه العناوين في الصحف الأمريكية دون أن تتناول ما قاله **كاسترو** في خطابه.. ودون أن تشير إلى ما قاله الدبلوماسيون من الدول الأجنبية الذين حضروا مؤتمر الحزب الشيوعي الكوبي واستمعوا إلى زعيم كوبا: «هذا هو فيديل الذي عرفناه قبل ثلاثين عاما.. القوة ذاتها، القدرة الفائقة على التركيز الذهني (كاسترويلقي خطبته دون نص مكتوب)او ثواني الصمت المحسوبة لكي يفكر من يستمعون إليه في جملة قالها. النظرة الثاقبة ذاتها. ولفتة الرأس يمينا ويسارا. الصوت الذي يعلو ويهبط تأكيدا لنقاط معينة يريد التنبيه إليها. كل سمات الخطيب السياسي القادر كانت هناك (نقلا عن رسالة كتبها لاي روهتر مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية في هافانا)!.

وعندما تحدث كاسترو عن رفيق ثورته الأول تشي جيفارا قال «جيفارا والثورة الكوبية شئ واحد. اني على يقين من أنه لو كان تشي حيا لكان فخور بالمجازات وفضائل الثورة ولشعر بالاعتزاز بشجاعة- وبطولة هذا الشعب، شعبه».

مراسل غربي آخر هو **باسكال فليتشر** كتب من هافانا لصحيفة **فايناتشيال تايمز** (أكبر صحف المال والأعمال في بريطانيا والعالم): «**لم يدع كاسترو بخطابه الرئيسي أمام الحزب أي مجال للشك بأن مبادئه ومعتقداته السياسية ستواصل توجيه كوبا.** لقد حرص أكثر مما حرص على أن يؤكد أن أشد ما يعتز به في نفسه وفي الآخرين هو المبدئية، ملكة الاتساق مع الأفكار والمبادئ التي يعتنقها المرء. وهذا هو بالتحديد ما نريده من أجيال المستقبل، ممن سيخلفوننا».

«اننا منفتحون على كل أنواع الإمكانات الاقتصادية، الا تلك التي تستنكر الاشتراكية أو تخلى عنها، وتلك التي تغرس و الثورة.. ان العدالة السائدة في كوبا أثر ديمقراطية بدرجة لا تقارن من النماذج التي تريد الولايات المتحدة ودول أخرى فرضها علينا».

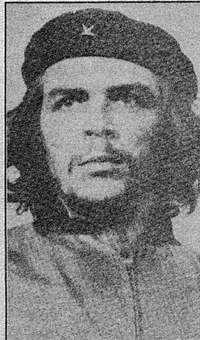
ويضيف المراسل ان **كاسترو** لم يتردد في أن يقول أمام مؤتمر حزبه وأمام الشعب الكوبي والعالم ان فتح كوبا الأبواب **أمام السياحة وأمام استثمارات أجنبية ولبعض التغيير الاقتصادي خلال السنوات الخمس الماضية كان «نتيجة ضرورة اقتصادية وليس خيارا»..** اننا لم نحب السياحة كثيرا، كما أننا لم نحب الاستثمارات الأجنبية كثيراً.

(سيكون المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي الكوبي موضوع رسالة واشنطن في عدد ديسمبر القادم.. انتظارا للحصول على وثائقه من مصادرها).

تجاهل كلينتون«الفقر الوبائي» والتفاوت الهائل في توزيع الثروة.. وتحدث كثيرا عن الديمقراطية!!

جيل جديد من «الكوبيين المنفيين» يعارض سياسة حصار كوبا.. ويريد أن يعرف المزيد عن كوبا الاشتراكية التي صمدت للحصار

بطبيعة الحال فان الصحافة الأمريكية- والغربية عموما- لم تكتف بانتقاء فقرات من خطاب **كاسترو** الرئيسي أمام مؤتمر الحزب- على الرغم من انشغالها بجولة **كلينتون** اللاتينية- وكانت تغطيتها للحدثين المهمين في كوبا: **مؤتمر الحزب ومراسم دفن جيفارا** أوسع مساحة في تعليقات غلب عليها طابع العداء لكوبا وللاشتراكية.. وغلب أكثر الدفاع عن سياسة خاسرة تواصل الولايات المتحدة تطبيقها ضد كوبا منذ ٣٥ عاما، وهي سياسة الحصار والمقاطعة إلى حد التجويع والخنق، ثم اعتبار المصاعب الاقتصادية التي تواجهها كوبا نتيجة للاشتراكية لا نتيجة لجرائم الحصارالأمريكية.



تشي جيفارا

غلب على ما قالته الصحافة الأمريكية عن أوضاع كوبا الاقتصادية والسياسية القول بأن كاسترو لم يقدم جديدا للكوبيين.. وغاب عنها أن الجديد الذي قدمه كلينتون لأمريكا اللاتينية هو صفقات أسلحة .. وصفقات اقتصادية وسياسية تدعم التفاوت الخطير بين الأغنياء ممثلي المصالح الأمريكية في بلدانهم والفقراء الذين يريد**كلينتون** أن تنساهم حكوماتهم.

ولعل الصدفة وحدها أيضا هي التي جعلت جولة كلينتون في أمريكا اللاتينية وحديثه المتكرر عن **كوبا** باعتبارها «البلد الوحيد غير الديمقراطي الباقي في القارة» تدفع إلى السلطح بالخلافات الحادة الدرامية حتى في أوساط «الكوبيين في المنفى»-أشد العناصر عداء لكاسترو والثورة الكوبية والاشتراكية- حول جدوى الاستمرار في سياسة محاصرة كوبا بعد أن أثبتت فشلها الذريع في تحقيق نتائجها المرجوة، أولها التخلص من كاسترو والاشتراكية .. وتحقيق شئ واحد مؤكد هو فرض مزيد من المعاناة على الشعب الكوبي.

الآن حديث «هافانا الصغيرة» -عاصمة الكوبيين في المنفى- الأمريكي في ميامي بولاية فلوريدا الأمريكية- هو عن صعود جيل

جديد من هؤلاء الكوبيين يرفض التسليم بسياسة فرض الحصار الأمريكي على كوبا بحجة أنه السبيل الوحيد لاسقاط **كاسترو** ..جيل يطالب بهدم كافة الجدران المقامة بينه وبين كوبا والثقافة الكوبية. جيل يريد أن يعرف كل ما حجبه الآباء، من أوائل الذين اختاروا الهجرة من كوبا إلى المنفى عن حقائق الحياة في كوبا كاسترو، بل يتحدثون عن مرض وهزال زعيم الكوبيين في المنفى- مرشحهم الأمريكي الكوبي لخلافة **كاسترو** -ونقله إلى المستشفى قبل خطاب كاسترو أمام مؤتمر الحزب الشيوعي بأيام معدودة. لقد سقط جورجي ماس كانوزا بين الثامنة والخمسين مريضا.. وبعدها شاهدوا على شاشات التلفزيون عدوهم الأول **فيديل كاسترو** ابن الحادية والسبعين يخطب لمدة ٦ ساعات و٤٣ دقيقة بلا انقطاع ، ليروا في النموذجين نوعا من الرمز السياسي إلى مرض سياسة استمرار الحصار ضد كوبا.. وعافية النظام المقاوم لهذه السياسة بزعامة كاسترو.

لا أحد يقول إن ابناء «الكوبيين في المنفى» أصابهم اعجاب مفاجئ بكاسترو والثورة الاشتراكية .. انما اصابهم ضجر أعقبه اعتراض على قادتهم الذين لا يزالون يصرون على انتهاج سياسة اثبتت فشلها ، بل اثبتت أن العالم يطالب بالتخلي عنها.. بل إن بعضهم يعتبر الآن أن سياسة الحصار مسئولة عن استمراركاسترو في الحكم(..).

***

نعم تدفقت مياه كثيرة في انهار نصف الكرة الغربي -في الشمال وفي الجنوب-وفي جميع أنحاء العالم حاملة تغيرات كثيرة خلال الأعوام الماضية بين جولة **نيكسون** التي لم تتم في أمريكااللاتينية ،وجولة **كلينتون** التي تمت بعدها بأربعين عاما، إلا أن **وهم واشنطن يبقى كما هو بالنسبة لشعوبأمريكا اللاتينية .. وجه الهيمنة والاستغلال وسياسة القوة وجه قاتلة جيفارا، ومعذبة الشعب الكوبي، وعرابة الفقر اللاتيني.**

ويبقى وجه هافانا المتعبة بمعاركها المستمرة ضد هذا كله- وجه **كاسترو** ، ووجه الراحل **جيفارا** -رمزا لكرامة التمسك بالسيادة القومية والعدالة التي تكفلها الاشتراكية حتى في ظل أدنى معدلات التنمية ،وجه الأمل بمستقبل أفضل لفقراء أمريكا اللاتينية والعالم الثالث.

«اليسار» تنفرد بهذا الخبر التاريخي

بالاجماع.. اتحاد العمال الأمريكي يحذف من دستوره كل النصوص المعادية للشيوعية

تقليديا عندما يمضي على وقوع حدث ما عدة أيام يصبح بلغة الصحافة الاخبارية «**خبرا ميتا**».. فاذا كان قد انقضى علي وقوعه عدة أسابيع يكون قد«احترق» تماما.

لكن إذا كان الحدث قد وقع وتجاهلته الصحافة «القومية» (والحديث هو عن الصحافة القومية الأمريكية) تماما كأن لم يكن.. فان أهميته تفرض على الصحافة البديلة أن تنشره. وأهميته ليست محل شك .كما أن سبب تجاهله أوضح من أن يحتاج إلى تفسير.الحدث- الخبر يتحدث عن نفسه ، ولا يخفى دلالته.

في المؤتمر الدستوري العام الحادي والعشرين **للاتحاد العام للعمال الأمريكيين** الذي بدأ في مدينة بيتسبرج الصناعية الأمريكية يوم ٢٢ سبتمبر الماضي **اتخذ الاتحاد وسط تصفيق فوق العادة من الالاف الحاضرين قرارا بأن يحذف من دستوره النص على تحريم منع عضوية الاتحاد للشيوعيين ،والنص على تحريم عضوية الاتحادات والنقابات التابعة للاتحاد على أي عضو في الحزب الشيوعي.**

سبب الحماس الجارف الذي استقبل به قرار الاتحاد العام للعمال الأمريكيين -كما عبر عنه ممثلوهم- أنه يتوج سنوات طويلة من نضال الاتحادات والنقابات الأعضاء، من أجل تخليص دستور الاتحاد من هذه الوصمة التي لحقت به منذ عهد **المكارثية** في النصف الأول من الخمسينات، وظلت باقية تحت قيادات يمينية وقاسدة فرضتها على الاتحاد المؤسسات الرأسمالية الكبرى ومؤسسات السلطة الأمريكية -حتى بعد أن انقضت- أو يفترض أن انقضت حقبة المكارثية.

والترجونسون رئيس المجلس العمالي المركزي في مدينة سان فرانسيسكو وصف التخلص من هذا النص المعادي للشيوعية والشيوعيين بأنه «خطا بالاتحاد العام للعمال بعيدا عن واحدة من أضعف حلقاته بحيث كانت الاحكام والتقديرات تصدر جاهزة دون معرفة حقيقية -بالأشخاص ومعتقداتهم.

وارين جولد رئيس المجلس العمالي المركزي في مدينة نيوهافين (عاصمة ولاية كونيتكت) قال ان توقيت هذا التعديل في دستور اتحاد العمال هو توقيت كامل التوفيق مع فتح الاتحاد ابوابه امام الجميع. لقد حان الوقت لكي تتألف كل النشاطات في نضال واحد من أجل الشعب العامل».

أما ممثلو الحزب الشيوعي الأمريكي فقد اعربوا عن اغتباط لا حدود له بهذا القرار.

قال**جورج مايرز** رئيس الشعبة العمالية في الحزب أن حقيقة ان هذا الاجراء جاء بناء على اقتراح من المجلس التنفيذي للاتحاد العام للعمال هي مسألة ذات دلالة هامة على نوعية القيادة الحالية للاتحاد.

(**ما يرز** كان في الأربعينيات رئيسا للمجلس العمالي المركزي لولاية ميرلاند وأجبر على الاستقالة في ظروف سيطرة الهيستيريا المعادية للشيوعية على الحياة السياسية الأمريكية عندما أراد التطوع في السلاح الجوي الأمريكي إبان الحرب العالمية الثانية).

وادراكا للأهمية القصوى لهذا القرار أصدر **الحزب الشيوعي الأمريكي** بيانا حيا فيه المؤتمر الدستوري لاتحاد العمال ورحب بالقرار مشيدا بحقيقة اتخاذه باجماع أعضاء المؤتمر، أي بلا اعتراض من صوت واحد.

وقال بيان الحزب ان اتحاد العمال ازال اثرا من اثار حقبة الحرب الباردة عندما حذف كل اشارة سلبية في دستوره إلى الحزب الشيوعي ، بما فيها النصوص التي كانت تقضي بحلف اليمين على مقاومة الشيوعية والتصدي لها قبل قبول أي عضو في الاتحاد. وأضاف«**ان ازالة النصوص المعادية للشيوعية هي علامة قوة وثقة بالنفس من جانب الاتحاد العام للعمال الأمريكيين.. ان الوحدة- لا العداء للشيوعية- هي التي ستساعد العمال على بناء حركات قوية للطبقة العاملة لتحقيق مزيد من المكاسب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لها**».

من يستطيع أن يقول بعد هذا أن القرار ليس تاريخيا بمعنى الكلمة؟ ثم من يستطيع أن يدعي أن الاشتراكية لفظت أنفسها الأخيرة بانهيار النظام السوفيتي؟

«الرئيس» .. بوريس يلتسين كلاكيت ثالث مرة!!

أحمد الخميسى

رسالة موسكو



يلتسين
لن يغادر الكرملين بمحض ارادته

تطوع الرئيس الروسى من تلقاء نفسه- دون أن توجه إليه الصحافة سؤالا بهذا الشأن- قائلا:**لقد قلت إنى لن أرشح نفسى للرئاسة مرة أخرى. ترى هل يجدر بنا أن نغير الدستور خصيصا لأجل الانتخابات؟ كلا . دعونا ننتظر عندما تنتهى مدتى رئيسا شابا وديمقراطيا مقاتلا»** . لماذا أدلى **يلتسين** بهذا التصريح فى ستراسبورج بفرنسا فى ٩ أكتوبر وليس فى إحدى المدن الروسية؟ ولماذا أجاب عن سؤال لم يوجه إليه كأنما قرر مسبقا الاعلان عن ذلك؟ . وربما يكون الدافع الأساسى **ويلتسين** فى طريقه لحضور اجتماعات المجلس الأوروبى المعنى بالحقوق والديمقراطيات هو اعلان **يلتسين** للمجلس أنه حريص على الدستور وعلى القيم الديمقراطية؟ . ثم أن **يلتسين** ربط مشاركته فى الانتخابات من عدمها فقط بتغيير الدستور أو عدم تغييره. هل يعنى هذا أنه سيدخل معركة الرئاسة- إذا لم يكن مضطرا لتبديل الدستور؟ أى إذا أفتت المحكمة الدستورية بأن ذلك من حقه؟.

وقد طرحت تلك القضية من قبل عندما صرح الناطق الرسمى باسم **يلتسين** فى ٧ أكتوبر لصحيفة بلجيكية بأن من حق **يلتسين** عام ألفين ترشيح نفسه لفترة ثالثة.**واعتبر الناطق أن يلتسين سيكون قد قضى فترة رئاسية واحدة فقط وليس فترتين** . نظرا لأنه عندما رشح نفسه أول مرة فى يونيه ١٩٩٢ كان ترشيحه على أساس دستور روسيا السوفيتية الذى لم يكن قد عدل بعد، وبهذا يعد ترشيحه لنفسه عام ١٩٩٦ هو الترشيح الأول وفقا للدستور الجديد، والفترة الأولى لاتحسب.

قبل تصريح **يلتسين** فى ستراسبورج كان قد صرح فى أول سبتمبر بأنه لن يرشح نفسه، ثم عاد فألمح إلى أن الرئاسة بالنسبة له موضوع ،مفتوح قابل للتفكير، ثم عاد فى ستراسبورج ونفى دخوله الانتخابات عام ألفين، **والواقع أن تضارب تصريحات الرئيس يعنى شيئا واحدا قريبا لطبيعة الرئيس يلتسين وهو أنه لن.يغادر الكرملين بمحض ارادتها. فقد قضى يلتسين حياته كلها فى صراع من أجل الحكم لم يرحم خلاله نفسه ولا الأخرين.**

وعامة فان التاريخ السوفيتى والروسى يشهد بأن أحدا لم يتخل عن الحكم طواعية، ظل الجميع يحكمون إلى أن اختطفهم الموت مثل **ستالين وبريجنيف وأندروبوف وتشيرننكو** ، أو إلى أن اختطفتهم الانقلابات التى أطاحت **بنيكيتا خروتشوف وميخائيل جورباتشوف** ،ومن الصعوبة بمكان أن يقبل يلتسين بانتخابات تحل قيصرا جديدا محله طالما أنه ما زال حيا.**وحتى عندما يتحدث يلتسين عن «رئيس جديد شاب» قاصدا بوريس نيمتسوف فانه يعنى أنه يبارك نيمتسوف ولكن بعد عمر طويل.**

وقد بدأت أجهزة الاعلام منذ فترة فى تلميع **نيمتسوف** عبر استطلاعات الرأى العام المدفوعة الثمن لبلورة رأى عام مع نيمتسوف. تشير تلك الأرقام إلى أن نيمتسوف- الذى لا تاريخ له- سيفوز بأكبر نسبة من الأصوات إذا تمت الانتخابات اليوم! وهى أرقام مدهشة تكذب أمام عينيك وبداها فى خصرها أمام عينيك!. فقد مزقت فضيحتان على الأقل سمعة **نيمتسوف** القصيرة الأمد فى مؤسسة الحكم الروسية.

الأولى **عندما اتضح أنه عرقل مرسوم الرئيس الروسى الخاص باقرار الذمة المالى ، لكى يرتب أوضاعه فى أبريل هذا العام .**

أما **الفضيحة الثانية** الأحدث فهى دفاع **نيمتسوف** الحار عن وضع كافة أسرار التسليح الروسى تحت أعين واشنطن عبر بنك يسمى«**الشركة الدولية المالية**» يترأسه **بوريس يوردان** الذى يحمل جنسية مزدوجة أمريكية وروسية.

وقد تكشفت الفضيحة عندما شطبت جهة روسية مجهولة على تأشيرة دخول يوردان المفتوحة إلى روسيا. نفت المخابرات الروسية أنها هى التى أمرت بذلك، ونفت الداخلية ،وغيرها من الأجهزة لكن **يوردان** فوجئ بتأشيرته ملغية .وتعرضت أوراق **يوردان** السرية للضوء وتساءل نواب بالبرلمان :**كيف يمكن لمواطن يحمل جنسية امريكية أن يترأس مصرفا ماليا روسيا تمر عبره كل عقود وصفقات وحسابات بيع الأسلحة الروسية للدول الأخرى؟.**

وأصر **فلاديمير جيرونوفسكى** زعيم الحزب الليبرالى على أن تلك الامكانية المتاحة عمليا لمواطن أمريكى تتناقض مع قانون «أسرار الدولة»

وأن روسيا تحكم من خلال المخابرات الأمريكية. بينما وجه النواب من كتلة **يابلوكو** استفسارا بذلك الشأن إلى المخابرات الروسية لعلها تستيقظ ان كانت تغط فى نومها. إذ تشمل صلاحيات البنك الذى يترأسه المواطن الأمريكى كل حسابات **مؤسسة روس فروجينيه لبيع السلاح الروسى،** وحسابات عدد من المؤسسات العسكرية الصناعية ، ووزارة المالية ، والجمارك ، وحسابات لجنة تسديد ديون روسيا الخارجية.

وعمليا فقد سمح لمواطن امريكى يوميا بهدوء شديد مع فنجان قهوة بالاطلاع على أدق الأسرار المالية وأسرار الصفقات العسكرية الروسية. وكان **بوريس نيمتسوف** أكثر المتحمسين لمنح السيد الأمريكى تاشيرته ثانية مع تقديم وافر الاعتذار لسوء الفهم الذى وقع. ومع ذلك فان وسائل الإعلام تحاول ايهام الجميع بأن **نيمتسوف** هو المرشح الأول لزعامة روسيا حكما باستطلاعات الرأى العام.

وبغض النظر عن المرشح الذى يتمسك **يلتسين** بتقديمه إلينا كخليفة له ، فان الأمر الهام- من وجهة نظر الدوائر الغربية -**أن نظام الحكم غير مهدد الآن بالرغم من الانقسامات فى صفوف الطبقة الحاكمة والتوتر الاجتماعى.** وتسود حالة من الانتظار بسبب عجز الأطراف السياسية عن الوصول بمفردها للحكم أو ازاحة بعضها البعض ، بينما تأخذ المعارك المنفصلة هنا وهناك بين الفرق السياسية شكل المناوشات السريعة التى يعقبها عودة كل طرف لموقعه دون أن تنجح تلك الفرق فى إنشاء ائتلاف يمثل خطرا على الحكومة . وقد بدا ذلك أوضح ما يكون عند مناقشة ميزانية العام القادم وتراجع الشيوعيين عن سحب الثقة من الحكومة مع تمسك فرق أخرى بإقالتها.

ونظرا لضعف المعارضة القائمة خارج أروقة السلطة، فان المرشح لحكم روسيا سيتقدم على الأغلب من بين صفوف السلطة نفسها ليدخل ويفوز فى معركة انتخابية مع ممثلى المعارضة المشتتة.

ويبرز فى ذلك الاطار التحالف الثنائى بين ما يسمونه الاصلاحيين الشباب أى **أناتولى تشوبايس- وبوريس نيمتسوف** ،وهو التحالف الذى قام بدور الوصاية على قرارات **يلتسين** خلال فترة مرضه الطويلة. ونظرا للكراهية التى تعزل **تشوبايس** عن البرلمان والمجتمع فان **نيمتسوف يظل وحده المرشح لذلك التحالف** الذى تقف وراءه مجموعات بنكية ومالية ضخمة اشتد التنافس بينها مؤخرا على نهب المؤسسات تحت شعار تخصيصها ، لكن حرب البنوك تلك لم تهدم جبهتها وراء الثنائى **تشوبايس- نيمتسوف**، ولم تهدم شعارها القائل باتحاد المال والسلطة.

ومن وجهة نظر الرئيس **يلتسين** (الذى يعد نفسه لفترة رئاسة ثالثة) فان وجود ذلك الثنائى **يكفل ليلتسين وجود كبش فداء يمكنه تحميله كل أخطاء الاصلاح إذا دعت الحاجة لذلك.** وما زال الكثيرون يذكرون ليلتسين قوله «لو لم يكن تشوبايس لفاز حزب الحكومة بتسعين بالمئة من أصوات الناخبين».

من ناحية أخرى فانه من غير المستبعد أن يلقى ذلك الثنائى مصيرا مشابها لمصير **يجور جايدار** -أول من قاد الاصلاح الاقتصادى فى يناير ١٩٩٢- عندما ضحى به **يلتسين** بصمت وحكمة فى سبتمبر ١٩٩٢ وتمت ازاحته من الحكومة على مرأى وبموافقة يلتسين . **وتوحى الفضائح المتوالية التى تتفجر من حول تشوبايس ونيمتسوف بأن ثمة ضوءاً أخضر من الكرملين بتلغيم الأرض أمامهما.**

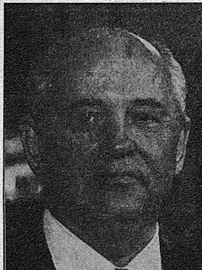
واذا كان **يلتسين** قد صرح هذا العام بانه «لن يرشح نفسه للرئاسة» ثم تراجع عن تصريحه ، فقد سبق له أيضا أن قال قبل الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٦: «إنى لا أريد أن أدخل الانتخابات الرئاسية.. لكن مصير روسيا عزيز على قلبى».وقد يتجدد ذلك الاعزاز لمصير روسيا مرة أخرى بعد ثلاثة أعوام.

ويتقدم من بين مرشحى السلطة رئيس الوزراء **فيكتور تشيرنوميردين** بتحالفه الصامت مع يسار الوسط والشيوعيين.

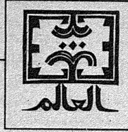
والواضح أن **تشيرنوميردين** يدرك تمام الادراك نوايا **يلتسين** فى الاستفراد بالحكم مجددا، ولهذا أعلن أكثر من مرة أنه لايعتزم ترشيح نفسه، وهو ما أعلنه أيضا مرشح آخر من السلطة هو عمدة موسكو **يورى لوجكوف. وفى نفس الوقت فان أحدا من مرشحى الكرملين لا يجرؤ على تدشين الحملة الانتخابية الآن فى مواجهة يلتسين ، لأن ذلك سيكلفه منصبه قبل أن يصل إلى الانتخابات بوقت طويل.**

أما المعارضة القائمة خارج السلطة فان الوقت يجعلها تتآكل وتفقد مواقعها وخاصة الشيوعيين الذين يتخلون عن الصدام مع **يلتسين** على أمل الحفاظ على البرلمان،بحيث أنه مع حلول الانتخابات الرئاسية لن تجد المعارضة من حولها سوى جدران الدوما بينما ستشق الأصوات طريقها لمرشح آخر الأغلب أنه **بوريس نيكولايفتش يلتسين** الذى سيواصل معاركه فى القرن القادم.!


جيرنوفسكى


جورباتشوف


ستالين



نتائج مؤتمر حزب« الاتحاد الديمقراطى المسيحى »:

تتويج المستشار كول والجديد ..

عقد الاتحاد الديمقراطى المسيحى Cdu مؤتمره فى مدينة لايبزج فى منتصف شهر أكتوبر معلنا أنه يريد فتح الأبواب للقرن القادم . ولكن لم يأت المؤتمر بشئ مبشر للقرن القادم واقتصر أساسا على دق طبول المعركة الانتخابية وتعبئة الحزب فى وقفة أخيرة حتى لاتأتى الانتخابات القادمة بنهاية حكم تحالف المحافظين والليبراليين الألمان الذى استمر لمدة خمسة عشر عاما.

والاتحاد الديمقراطى المسيحى هو حزب المستشار **كول** والقوة السياسية الرئيسية فى الائتلاف الوزارى الحاكم فى ألمانيا الذى يضم حزبين آخرين هما **الاتحاد الاجتماعى الديمقراطى csu** وهو حزب محلى فى بافاريا ويملك نفوذا سياسيا قويا ، **وحزب الأحرار الديمقراطى fdp** الذى فقد تمثيله فى برلمانات معظم المقاطعات ويخشى أن يفقد تمثيله فى البوندستاغ بسبب عزوف الناخبين عن التصويت له .

وجاء المؤتمر كحدث إعلامى واضح الغرض وهو **تحسين صورة الحزب فى المجتمع ووقف عمليات التصدع الداخلية فى التحالف الحاكم بعد اتضاح فشل سياساته الاقتصادية والاجتماعيةالنيوليبرالية** الذى تمثل فى بلوغ عدد المتعطلين أعلى رقم وصل إليه منذ الحرب العالمية الثانية ، وارتفاع مديونية الدولة والمحليات إلى مستوى يمثل عبئا ثقيلا على الأجيال القادمة ، وبعد الاحباط الشديد لدى فئات واسعة من الشعب خاصة فى شرق ألمانيا وبعد عجزه عن فرض "الاصلاح الضريبى" الذى أراد مواصلة نهج : **اعطوا المال للأغنياء لتنصلح أحوال الفقراء.**

صورة حكم المستشار **كول** التى بدت لسنوات عديدة وكأنها أعلى من كل السخط والاحتجاج تصدعت والسبب هو **عجز الحكم بوضوح عن وضع حلول للمشاكل ، وظهور التمزق والخلافات المزمنة فى صفوف حكومته على الملأ.**

الحزب الاجتماعى المسيحى يريد أن يتميز عن أخيه الأكبر حزب المستشار **كول** ويريد أن يدغدغ الروح القومية في منطقته فيختار موضوع العملة الأوروبية الموحدة (يورو) التى سيعمل بها فى بلدان الاتحاد الأوروبى ابتداء من عام ٢٠٠٠ ليقف فى صف أغلبية من الناس يقلقها التخلى عن المارك القوى

واعتماد عملة لايعرفونها ، خاصة وأن اقتصاد البلدان الأوروبية الأخرى سيؤثر على قيمتها . وهو بهذا يثير الشك فى واحد من أهم أهداف المستشار . وحزب الأحرار يريد أن يخلق لنفسه صورة متميزة عن كول حليفه وقائده لكى يكون عنده أمل فى أن يصوت له أحد . فيختار موضوع الضرائب ويعلن أنه **حزب تخفيض الضرائب** فى زمن تعانى فيه الدولة والمحليات من انخفاض حصيلة الضرائب بشكل هائل.

ومن ناحية أخرى يسود الخوف أوساطاً واسعة فى حزب المستشار كول من أن الجمود الذى أصاب الحزب قد يسبب لهم هزيمة من نوع ما حل بميجور والمحافظين البريطانيين صيف هذا العام . وتعقد وجوه الحزب المقارنات وتصرح لأول مرة علنا بأن الحزب يحتاج إلى تجديد وأن على المستشار أن يترك الفرصة لوجه جديد ليقود المعركة الانتخابية أو على الأقل أن يتنحى بعد الانتخابات مباشرة ليفسح الطريق لفريق من الشباب.

مؤتمر بلا حزب

هذا العنوان اختارته صحيفة فرانكفورتر روندشاو لتعليقها على مؤتمر الاتحاد المسيحى الديمقراطى . وتبين تعليقات الصحف على

رسالة ألمانيا

نبيل يعقوب

وقائع المؤتمر أن الاهتمام تركز على أداء المتحدثين أكثر مما اهتم بما قالوه . وليس هذا غريبا فلا جديد. وكتبت الصحيفة كان من **الأشرف أن تعلن نهاية المؤتمر بعد خطابى رئيس الحزب (كول) ورئيس الكتلة البرلمانية (شويبله)** . وقضية الترشيح (لمن يكون المستشار القادم) حلها **كول** بنفسه .. بأن عين نفسه وهذا ماحدث بالفعل إذ فى ختام خطابه أعلن المستشار بأسلوب " ساداتى" أنه عازم على مواصلة تحمل المسئولية ! وكان للاعلان مفعوله السحرى اذ هب المؤتمر واقفا عن بكرة أبيه ليصفق تصفيقا عاصفا وكان مع المصفقين ممثلو كبار المجددين فى الحزب وقادته المحنكين الذين يدركون خطورة هذا القرار.

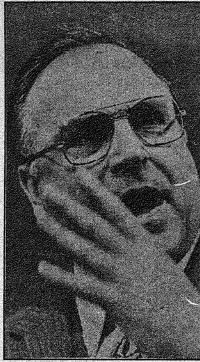
وقال أحد ممثلى المعارضة أن المستشار لم يكتف بهذا بل عين أيضا خليفة له عندما أعلن رغبته أن يكون **فولفجانج شويبله** رئيس الكتلة البرلمانية للاتحاد المسيحى والعقل الاستراتيجى للحزب الديمقراطى المسيحى مستشارا بعده.

وجدير بالذكر هنا أن معظم دول الغرب خاصة بعد انهيار المنافس الرئيسى الاتحاد السوفيتى لم تشهد فحسب تغيرات فى معالم الحياة الاجتماعية ، بل تشهد أيضا ترديا واضحا فى معالم الحياة السياسية .

ساسة الغرب الذين تميزوا عن قادة الشرق بأنهم كانوا قادرين على قيادة البلاد مع هذا القدر أو ذاك من التعددية والعلنية وحرية التعبير فى العمل السياسى ، السمات التى لاتقوم بدونها **حياة برلمانية حقيقية،** ومع تقاليد الحياة السياسية المفتوحة لأحزابهم بما فيها حرية النقد العلنى فى مؤتمراتهم واجتماعاتهم الحزبية .. الآن يلجئون لأشكال من العمل السياسى تتسم بالشكلية التى تريد الايحاء بالاجماع والتماسك.

فولفجانج تريتين المتحدث باسم حزب الخضر وصف مؤتمر الاتحاد الديمقراطى المسيحى بأنه يذكره بعبادة الفرد فى كوريا الشمالية بالنسبة للزعيم كيم ايل سونج.

وصحيفة **نويس دويتشلاند** عنونت افتتاحيتها عن المؤتمر «البطريرك فى الخريف» فتستدعى فى الذاكرة رواية جابرييل جارسيا ماركيز" **خريف البطريرك** " وكتبت اليومية اليسارية أن التصفيق لخطاب المستشار كان مكرسا لخطاب توجيهى ليس فيه جديد ولاشئ بناء .. ولكن المثير للحيرة هو أنه لايوجد من يشك فى أن نهاية مرحلة كول قد حلت .



هلموت كول

محاولة جديدة لخداع الناخبين

المستشار كول ألقى مسئولية المشاكل الاقتصادية والاجتماعية على المعارضة وبشكل خاص على الديمقراطيين الاجتماعيين رغم أنه هو الذى يحكم منذ ١٥ سنة وحجته أنهم أغلقوا الطريق أمام الاصلاحات التى يرتئيها . وكما جرت العادة فى الحملات الانتخابية أن ترتدى الأحزاب " زى المعركة" وتموه مظهرها بأقنعة تعجب الناخبين أعطى المستشار خطابه نبرة اجتماعية مؤكدا أنه يرفض الطريق البريطانى لنظام الرعاية الصحية الذى يقدم للمتقاعدين مستوى منخفضا من الرعاية الصحية ، ووجه النقد لأصحاب الأعمال لانهم بعد أن صدق كلامهم وعدل القوانين ليخف العبء الضريبى عنهم لم ينفذوا وعدهم بتوفير فرص عمل جديدة . وأعلن المستشار " **لسنا حزب اقتصاديات السوق بل أننا حزب اقتصاديات السوق الاجتماعية**" رغم أن حكومته لم تتراجع عن خطة دفن الدولة الاجتماعية.

فى الشرق أسباب جديدة للمزيد من الاحباط

لابد أن يكون أهل ألمانيا الشرقية قد تذكروا العهد الاشتراكى الغابر وهم يشاهدون الصور التلفزيونية عن المؤتمر حيث يقف المندوبون ليصفقوا وحيث لاخلاف ولانقاش ولايحزنون / كتبت صحيفة فرانكفورتر الجيمانية كبرى الصحف المحافظة فى ألمانيا " المؤتمر لم يناقش المشاكل بل تفاداها .. وبخاصة مشاكل الوحدة . وسيكون عند أهل الشرق أسباب أكثر تثير السخط الحقيقى .

فرغم حرص الاتحاد الديمقراطى المسيحى على تقوية مواقعه فى الشرق خاصة وأن الكثيرين يقولون أن أصوات الناخبين فى الشرق سترجح الكفة فى الانتخابات القادمة أحالت لجنة صياغة القرارات فى المؤتمر مشاريع قرارات إلى الكتلة البرلمانية تطالب باعادة الأراضى والملكيات الأخرى التى أممها الحكم العسكرى السوفيتى بعد الحرب مباشرة(١٩٤٥ -١٩٤٩) لأصحابها السابقين . وهذه التأميمات جرت تنفيذا **لمعاهدة بوتسدام** (أمريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى) التى طالبت باجتثاث أسس العسكرتارية والنازية الألمانية وتدمير قاعدتهما الاقتصادية . واتجهت التأميمات ضد الأمراء الاقطاعيين وكبار الملاك ومجرمى الحرب . المؤتمر تفادى الحديث عن مشاريع القرارات التى قدمها لوبى الاقطاع فى الحزب . ماكتبته الصحيفة المحافظة عن " الشقوق التى ظهرت فى أسس الحزب الذى صنع الوحدة الألمانية) قاصدة تنظيمات حزب **المستشار كول** فى الشرق يمكن أن يفهم كتحذير للحزب الذى ساندته هذه الصحيفة بثبات.

معركة مفتوحة

يعطى تحجر موقف المحافظين فى مجال السياسات الاجتماعية فرصة كبيرة للحزب الديمقراطى الاجتماعى فى الانتخابات القادمة. ولكن ليس من الضرورى أن يخسر الانتخابات الحزب الذى أوقع بشعبه الاضرار . وصمود المحافظين فى الحكم فى بريطانيا منذ ١٩٧٩ حتى ١٩٩٦ وفى ألمانيا من ١٩٨٢ حتى الآن دليل على ذلك . افتقاد مايراه الناخبون كبديل واضح للسياسات ، والذى تحمله رموز مقبولة جماهيريا أمر بينته المعركة الانتخابية الأخيرة خاصة فى فرنسا.

المستشار كول يلعب على هذا الوتر عندما يذكر الناخبين بأن الحزب الاجتماعى الديمقراطى «لايعرف إلى أين ولا مع من » قاصدا أن الديمقراطى الاجتماعى لم يحدد حتى الآن تصورا واضحا عما يريد أن يصنع فى الحكم كما أنه محجم حتى الآن عن اعلان مع من سيتحالف وهناك اتجاه قوى فى قواعد الحزب الديمقراطى الاجتماعى للتحالف مع الخضر ولكن فى قممه هناك من تداعبه فكرة التحالف مع الحزب الديمقراطى المسيحى . المعركة فى ألمانيا مفتوحة والسؤال الأهم من الأحزاب والأشخاص هو هل **سيستمر النهج النيوليبرالى ، هل سيستمر النزوع نحو مكانة الدولة العظمى ، أم يوجد أفق واقعى ديمقراطى واجتماعى وداعم للسلام العالمى.**

فكر

من المجتمع المدنى..
إلى مفهوم الاجتماعى

مارك نيوكليس

ترجمة: يسرى مصطفى

يسعى هذا المقال إلى تحدى بعض الافتراضات المثارة حول مفهوم المجتمع المدنى كما ورد فى أعمال **هيجل وماركس** من خلال إثارة تساؤلات بشأن كيفية التفكير فى الطبقة ، الرأسمالية المواطنة فى علاقتها بالمجتمع المدنى. ويقدم هذا المقال البراهين على أن التمييز القائم على «الدولة -المجتمع المدنى» قد ظل قائما فى أعمال **ماركس** ولكن فى حالة مراوحة مع نموذج« القاعدة- البنية الفوقية.» ومن ثم يهدف المقال إلى إيضاح كيف أن جزءا من نقد **ماركس** للمجتمع المدنى قد ارتكز على مفهوم الاجتماع، وكذلك إبراز الفرق بين هذا المفهوم وفكرة الاجتماعى كما جاءت فى الفكر السوسيولوجى.

يتمثل هدف هذا المقال فى **إيضاح بعض التوترات المصاحبة لفكرة المجتمع المدنى ومفهوم الاجتماعى**. وسوف يتم ذلك جزئيا ، من خلال الاشتباك مع بعض النقاط التى أثارها كل من **كريشان كومار** Krishan Kumar **وكريستوفر بريانت** Christopher Bryant **فى** حواراتها بشأن المجتمع المدنى(Kumar 1993,1994, Bryant 1993, 1994)

ولا أريد، من ناحيتى ، الانشغال باختلافهم الجوهرى ، ولكن توظيف ما أقدمه من نقد ليكون نقطة انطلاق لبعض الملاحظات المتعلقة **بهيجل وماركس** . وآمل فى هذا الصدد أن أساهم فى توسيع رقعة النقاش الدائر حول المجتمع المدنى الآن، وبشكل أكثر طموحاً ، المساهمة فى تقديم قراءة مغايرة لمفهوم الاجتماعى كما ورد فى أعمال **ماركس**.

المجتمع المدنى
المواطنة، الدولة

على الرغم من الجدل الدائر حول ما إذا كان **هيجل** هو الذى أحدث تحولاً فعليا فى مقولة المجتمع المدنى قد وصل مداه ، إلا أنه من المفيد أن نأخذ بعين الاعتبار بعضاً من الأوجه الأساسية للمجتمع المدنى كما ظهر فى أعماله، الأوجه التى ورثها عنه **ماركس** وجذرها. ذلك أنه قد صاحب تفجر الاهتمام بفكرة المجتمع المدنى فى الجدل الراهن بشأن **«الحركات الاجتماعية الجديدة» أو «المجتمع المدنى مقابل الدولة»** فى كل من الشرق والغرب فقدان عدد من الخصائص الأساسية المميزة للمجتمع المدنى، أو على الأقل، خفضها إلى الحد الذى يسهل معه تجاهلها بشكل لائق.

وما يعتبر ، بداية ، ملاحظة أساسية على مساهمة **هيجل** هى أن مفهومه عن المجتمع المدنى يعتبر مفهوماً «**حديثا**» بالأساس، نشأ كاستجابة للثورة الفرنسية والثورة الصناعية وبروز حيز للصراع الاجتماعى . وتمثل الثورة الفرنسية ، التى هى بالنسبة **لهيجل** حدث ذا مغزى فى تاريخ العالم، المسألة الرئيسية فى العصور الحديثة- **التحقق السياسى للحرية** -فضلاً عن أنها تشتمل على بعد اجتماعى واضح.**لقد أدخلت الثورة الصناعية نمطا حديثا للانتاج صاحبه إفراط فى الفقر والثراء وظهور طبقة لجأت من فرط فقرها إلى الاعتماد على عملها**. أدرك **هيجل** أن التقاء الأفراد داخل مجال خاص ليس بالعائلة ولا الدولة سوف يسفر عن تضارب وتعارض الرغبات والتوتر . وقد أحدث **هيجل** فى مواجهة هذه المشكلة المفاهيمية إزاحة نظرية هامة بوضع المجتمع المدنى كبعد ثالث بين العائلة والدولة.**فأدرك هيجل المجتمع المدنى بوصفه سمة مميزة للعالم الحديث**. وسعى **هيجل** إلى الإمساك بالخاصيتين المميزتين لمجال من العلاقات الاجتماعية هذا من خلال مفهوم Burgerliche Gesellschaf والتى تعنى فى الألمانية المجتمع المدنى والبرجوازى ، وهما:

أولا: أنها علاقات اجتماعية واقتصادية بقدر ما هى معارضة للعلاقات السياسية. وهو ما يعنى تجريد السياسى ورفعه فى حيز آخر.

ثانيا: أن المجال الجديد للمجتمع المدنى هو برجوازى بالأساس- فهو مجال لأفراد أنانيين (Hegel 1991)(١).

يناقش **كومار** هذا التفسير «المادى» **الهيجلى**(Kumar . ولكن فى الحقيقة **أن السبب وراء امكانية وضرورة**(1993:378) **قراءة هيجل على هذا النحو يكمن فى إقراره بالطبيعة الرأسمالية الأساسية للمجتمع المدنى**، والأمر الأكثر منطقية هو أن **ماركس** تبعه فى تطوير التمايز المفاهيمى . بكلمات أخرى، لقد أقر **هيجل** بما هو مركزى

فى فكرة المجتمع المدنى، وهى النقطة التى سنعود إليها. وما ينتج منطقيا عن هذا هو وفرة من النظرات الثاقبة حول جوهر المجتمع المدنى. **فثمة فجوة واسعة ، فى رأى هيجل بين الثراء والفقر** ،مع إمكانية دائمة لتدهور مستوى معيشة قطاع واسع من الناس فضلا عن الافتقاد إلى الشعور بالحق والكرامة. وتكون المحصلة أن يتحول الناس إلى رعاع، وهكذا يعتبر الفقر بمثابة النتيجة الشاملة للمجتمع المدنى بكل ما يسفر عنه هذا بالضرورة. يمكن للسلطة العامة أن تخفف من حدة هذه المشاكل ، ولكن ليس فى مقدورها التغلب عليها. وفى نهاية الأمر يمكن **لهيجل** أن يشير يائسا إلى« **أن السؤال الهام حول كيفية معالجة الفقر هو أحد التساؤلات التى تقلق المجتمعات المعاصرة**».(Hegel 244 1991:para).يرث **ماركس** هذه النظرة وبجذرها ، مشيراً إلى أن الخاصية الأساسية للأجر-العمل هى الفقر المطلق(Marx 1973,1974 a). والآن ، فبينما لا يطمح المرء إلى صياغة مفهوم للمجتمع المدنى وفق هذه الطريقة، ينبغى عليه ، على الأقل أن يكون مدركاً للمحتوى الحقيقى للمفهوم كما استخدمه أصحابه فى الماضى. **إن أحد الأوجه الأساسية التى ارتكز عليها تفسير كل من هيجل وماركس للمجتمع المدنى هو جوهره الرأسمالى بكل ما يتضمنه هذا الجوهر**. ومن الجدير بالذكر نظراً لدلالته هو محاولة المناقشات الراهنة بشأن المجتمع لأن تكون اشتراكية بدون أن تكون ضد الرأسمالية ، الأمر الذى أسفر عن تنحية الجوهر الرأسمالى للمجتمع المدنى جانباً(Meiksins Wood 1990).

وما يصح بالضرورة ، من خلال فهم المجتمع المدنى عند كل من **هيجل وماركس** هو عدم قدرة المرء على صياغة مفهوم للمجتمع المدنى بمعزل عن الدولة ،حيث تقوم الدولة بتنظيم المجتمع بشكل فعال ونشط . ويعتبر هيجل الدولة والمجتمع المدنى بمثابة كيانين متكاملين بنيوياً من خلال سلسلة من الاليات المتشابكة، فبينما يجرى فصل الدولة ، عن المجتمع المدنى على المستوى المفاهيمى، فانهما مشدودان إلى بعضهما البعض ، فى آن واحد، من خلال آلية مزدوجة يعمل كل عنصر فيها فى اتجاه مقابل للآخر: تخترق الدولة المجتمع المدنى من خلال البوليس والاتحادات (أدوات تنظيم ذات طابع اقتصادى وتعاونى ،تعمل على تنظيم الأفراد ذوى المصالح المشتركة:المترجم) **بينما يخترق المجتمع المدنى الدولة من خلال البرلمان**. وكذلك ليس فى مقدور نسق الحاجات أن يتواجد داخل فراغ متحرر من «تدخل» السلطة العامة، هذا هو التفسير المستمد من فهم**هيجل** للدولة والمجتمع المدنى . فطبيعة المجتمع المدنى الرأسمالية تعنى ضرورة حكمه وتنظيمه من خلال سلطة عامة. **لقد أقر هيجل قاعدة اليد الخفية لسميث بطريقة غير مباشرة حتى وإن كان فى مقدور حالة التناقض بين المنتجين والمستهلكين إعادة إنتاج ذاتها بشكل آلى، فان ذلك يتطلب وجود هيئة عليا تسمو على الطرفين وتنظم هذه العملية بشكل واع**. لقد وجد البوليس لهذه الغاية، ليس لتنفيذ القانون وفقط ، وإنما إنارة الشوارع، بناء الجسور، تسعير الاحتياجات المعيشية، الصحة العامة، التعليم، الرفاه، السكن. بكلمات أخرى، تحتاج المشاكل التى يخلقها نسق الحاجات الرأسمالى داخل المجتمع المدنى إلى تنظيم إدارى من قبل الدولة(Hegel 1991: Paras. 189,236,239-48).

على الرغم من أن **ماركس** تبع **هيجل** فى محاولة البرهنة على أن الجوهر الرأسمالى لنسق الحاجات فى burgerliche Gesellschaft (المجتمع المدنى والبرجوازى) يجعل من السلطة ضرورة، إلا أن هذه الضرورة تكمن بالنسبة **لماركس** فى حقيقة أن المجتمع المدنى يقع دائما.

وعلى الرغم من افتراضات **كومار** بأن المجتمع المدنى عند **هيجل** يحتوى على طبقات ، فإن عمل **هيجل** حول الدولة معروف بغياب أى شئ يقارب التحليل الطبقى. فثمة سمتان تبرزان فى تقسيم هيجل الثلاثى للفئات المراتبية Estates فى المجتمع المدنى(زراعية ، صناعية ، بيروقراطية):

أولا: ليس ثمة مكان للطبقة العاملة داخل هذا التمييز(دعنا نقول طبقة العاملين بأجر).

ثانيا: لم يستخدم هيجل مقولة«طبقة»class للإشارة إلى هذه الفئات Estaers وإنما يحتفظ بها للإشارة إلى المأجورين على وجه التحديد، لقد افترض أن مجال الحاجات ونمط الانتاج فى المجتمعات الحديثة يحدث تقسيما للعمل ، وبالتالى إيجاد طبقة مقيدة بالعمل. وبالاشارة إلى هؤلاء الشغيلة فقط استخدم هيجل إصطلاح طبقةKlass، بدلا منStandالذى استخدمه عندما كان يناقش «الطبقات الاجتماعية» بطريقة أخرى(AVINERI 1972).

وبافتراض أن الفئات المراتبيةEstate بالنسبة لهيجل بمثابة «طبقات»المجتمع المدنى الاجتماعية والاقتصادية على وجه التحديد، فان هذا يعنى أن الطبقة العاملة ليست ضمن المجتمع المدنى. وبما أن كل فئة مراتبية estate هى مجال حاجة مختلف ، فعندما لا تكون الطبقة العاملة ضمن هذا التراتب يعنى أنها خارج مجال الحاجات المعروف. وعندما لا يكون الشخص عضواً فى فئة مراتبية يعنى عدم وجود هذا الشخص . وعندما نقول إن الإنسان يجب أن يكون شخصا ما، فاننا نعنى بذلك ضرورة انتمائه إلى فئة مراتبية معينة، وهو ما يعنى بدوره ضرورة امتلاكه لوجود حقيقى، وعدا ذلك فهو مجرد شخص منعزل وليس لديه كلية حقيقية. فلنفس السبب تستبعد الطبقة العاملة من المجتمع المدنى ومن المشاركة فى الحياة الاخلاقية . علاوة على ذلك، ففى حين يمكن أن تبدو الطبقة العاملة كجزء من المجتمع المدنى على أساس عضويتها فى مرتبة الصناعIndustreial Estate، فان الأمر ليس كذلك حيث يميز **هيجل** بينGewerbsmann، والتى يمكن أن تترجم إلى عضو اتحاد تعاونى (Knox) أو صاحب حرفة(Nisbet) ، وعمال المياومة تمييزاً يعززه وصف **هيجل** للفئة الأولى ك «صناع حرة» ، ولكنه بالكاد يصف الطبقة العاملة كعمال مياومة.(Hegel 1991: Paras 207, 238,238,252, gullen 1979).

وعلى الرغم من نقده اللاذع **لهيجل** ، ومركزية مقولة الطبقة الكلية المرتبطة بهذا النقد، **فقد ورث ماركس عن هيجل ، بشكل غير نقدى، الاعتقاد بأن الطبقة العاملة هى طبقة ولكنها ليست ضمن المجتمع المدنى**. وقد افترض **ماركس** فى مقدمته لنقد فلسفة الحق عند **هيجل** أن إمكانية الانعتاق تكمن فى تكوين طبقة ذات توجهات راديكالية، طبقة فى المجتمع المدنى ، ولكنها ليست ضمنه(٢). ويكتب فى«**الايديولوجيا الالمانية**» عن الطبقة التى تحمل أعباء المجتمع بدون مقابل، وبسبب ذلك فهى «خارج المجتمع» (Marx 1975 b:256, 1970:94) . وهكذا ، فعلى الرغم من المسافة التى تفصل**ماركس** عن **هيجل** إلا أن **ماركس** تقبل فكرة وجود طبقة خارج المجتمع المدنى(٣) . فقد عجز شأنه فى ذلك شأن **هيجل** عن تصور اندماج الطبقة العاملة كطبقة فى المجتمع المدنى والدولة، ويعكس هذا العجز، جزئيا، أحد موروثات الفكر السياسى ،كما يعتبر انعكاسا للظروف التاريخية. فقد وقفت الطبقة العاملة فى هذه الفترة التاريخية موقفا متناقضا داخل كل من المجتمع المدنى والدولة،

جزئيا خارجها وجزئيا خارجها (Adorno 1989) . ولكن هذا أيضا يعتبر منتجاً لسياسات ماركس الثورية، فاجمالا **بالنسبة لماركس لم يكن ثمة مجال للطبقة العاملة داخل المجتمع المدنى/ البرجوازى** burgerliche Gesellschaft.

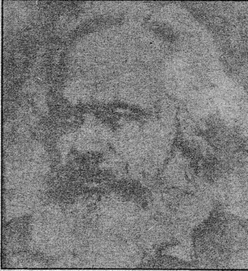
يزعم **كومار** أن مصطلح burgerliche Gesellschaft يلغى التمايز بين مجال البرجوازى ومجال المواطن . ولكن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك فى الواقع. فعلى الرغم من أن **كلمة مواطن الألمانية تعنى برجوازى** Burger وأن أصول المواطنة ارتبطت بظهور البرجوازية Bur-gertum، وبذلك أخذت كلمة برجوازى Burger بعدا دلاليا يتضمن أعضاء المجتمع المنعزلين مثلما هم مواطنون فى الدولة ، **إلا أن هيجل** عندما يبدأ فى تطوير التمايز بين الدولة والمجتمع المدنى فى محاضراته عن القانون الطبيعى يلجأ إلى مصطلح مواطن Citoyen **وبرجوازى** Bourgeois **بالفرنسية . لقد أتاح له ذلك** الافتراض بأن كلمة Burger **فى** المجتمع المدنى تعنى البرجوازى وليس المواطن (Van Hom melton 1991, Turner 1993). هذه إجابة جزئية عن لماذا أشار **ماركس** إلى الجوهر البرجوازى المنعزل للوجود الإنسانى فى المجتمع المدنى، وكذلك عن لماذا تم تصعيد المواطنة إلى الحيز السياسى (Marx 1975 c) . وهكذا فان **التأكيد على الارادة الثورية يأتى كمحاولة لاسترداد هذه المواطنة المفقودة**. ومن ثم فان كومار محق فى طرح سؤال حول افتراض بريانت بأن المجتمع المدنى يعنى، واقعيا ، مجتمع مواطنين، إن الهدف الواضح لمثل هذه الافتراضات هو إضفاء أهمية الشواغل المتعلقة بـ « **الحركات الاجتماعية الجديدة** » على فكرة استخدام «**المجتمع المدنى فى مقابل الدولة**». ولكن ليس واضحا على الإطلاق أن مثل هذا **الافتراض يصدق على كل من «هيجل» و«ماركس» ، فبالنسبة لماركس يتمثل مطلبه على وجه التحديد فى الاعتراف بالطبقة العاملة، أى أن تصبح كاملة المواطنة ، وتستعيد وحدة الحياة الاجتماعية والسياسية وهو مطلب ثورى، فسوف تكون المطالبة بمواطنة كاملة نهاية المجتمع البرجوازى وتأسيس مجتمع اشتراكى جديد** . لذا يرتكز فهم **ماركس** على مفهوم الاجتماعى.

فكرة الاجتماعى

لقد تجاوز **ماركس** هيجل من خلال تطوير مقولة الاجتماعى، والتى أتاحت له تخطى كل من **هيجل وفيورباخ** فى آن واحد. ويجب ذلك أيضا ، الادعاء بأن مخطط ماركس المفاهيمى« لا يسمح بحقل متميز ومستقل للاجتماعى» (kumar 1993: 379-80, keane 1988) . هذا الادعاء معروف ولكنه يرتكز على فهم خاطئ لطبيعة المجتمع المدنى والاجتماعى عند ماركس .

اولا: يفترض هذا الادعاء أن أعمال ماركس ترتكز فقط على نموذج «القاعدة- البنية الفوقية »عوضاً عن الدولة -المجتمع المدنى»، حيث تقرأ القاعدة كمرادف «للاقتصاد » ،ومن ثم تسمح للاتهام بالاختزالية الاقتصادية.

ثانيا: إن مقولة الاجتماعى عند ماركس هى مقولة للنقد وليس تحديداً لحيز اجتماعى ،وهذا ما يميز ماركس عن السوسيولوجيا كفرع معرفى.


كارل ماركس

يلاحظ ماركس فى لحظة هامة من تطوره النظرى حول الدولة عقب نقده لهيجل، أن بعض الهيئات الوسيطة فى فكر هيجل فى حقيقة الأمر هيئات ممثلة للدولة وليس المجتمع المدنى.« **ليس البوليس، والتشريع والادارة هيئات ممثلة للمجتمع المدنى والذى يدير مصالحه الكلية فيهم ومن خلالهم ، فهى هيئات ممثلة للدولة ومهمتها ادارة الدولة فى مواجهة المجتمع المدنى**(arx 1975:111).

تعتبر هذه واحدة من أهم رؤى **ماركس** الأساسية مع أنه لم يطورها ، ذلك على الرغم من وجودها فى أعماله الأخيرة. وبالنسبة لهذه الرؤية فانها تفهم من خلال .اقرار **ماركس** بالمجتمع المدنى ، أو بالأحرى النضالات داخله، كقوة محركة للتاريخ . فعندما يعلن ماركس عن أن تاريخ المجتمعات هو تاريخ صراعات الطبقات ، يكون المجتمع المدنى حقل هذه الصراعات. وتوفر المقدمات المنطقية للمنهج المادى، أى علاقات المجتمع المدنى الاجتماعية والاقتصادية ، الأسس اللازمة لفهم «العلاقات القانونية والاشكال السياسية».

ترى معظم الملاحظات ، سواء الماركسية أو غير الماركسية ، الموجهة إلى **ماركس** أن نموذج «الدولة»- المجتمع المدنى» قد تم اقصاؤه لصالح نموذج «القاعدة البنية الفوقية» . ويجد ذلك جذوره ، لحد ما، فى انشغالات **ماركس** فى عمله الأخير، وتعليقاته على هذا العمل، وليس مقدمة١٨٥٩ الشهيرة على الاطلاق ،حيث وصف تحوله عن المجتمع المدنى نحو تشريح الاقتصاد السياسى(٤) **لقد أسفر التركيز على نموذج «القاعدة -البنية الفوقية» والذى بدا أن ماركس قد تحول إليه عن فقدان الكثير ،حيث مثلت الاقتصادوية الفجة ، التى كثيرا ما عبر عنها هذا النموذج ، فبدأ على النظرية الماركسية دون أن تكون عوناً وهوقيد يجد** جذوره ، جزئيا ، فى الانشغال بتطوير نقد الاقتصاد السياسى. فانطلاقا من الافتراض بأن مفتاح تحليل المجتمع المدنى يكمن فى الاقتصاد السياسى أمكن التنبؤ بأن بؤرة التحليل لن تكون المجتمع المدنى ذاته ولا العلاقة بينه وبين الدولة ، ولكن الاقتصاد السياسى. ومن المألوف أن نقول الآن، أن هذا هو سبب عدم تطوير **ماركس** لتحليله الخاص للمجتمع المدنى ككل. **يصف الفن جولدن** Alvin Couldner **المجتمع المدنى بانه أصبح مفهوماً متبقياً من الماضى بمجرد أن بدأ ماركس فى تطوير نقد**

الاقتصاد السياسى، والنتيجة هى استيعاب مفهوم نمط الانتاج لأى تحليل خاص بالبنى الاجتماعية (1980-363) .

ولكن عوضاً عن التخلى عن مفهوم المجتمع المدنى فقد قام ماركس فعليا بازاحة بؤرته النظرية بطريقة يبدو فيها أن نموذج الدولة -المجتمع المدنى يلعب دوراً ثانوياً. ولذا فقد **ظلت الدولة، إلى حد كبير، غير منظرة فى عمل ماركس الأخير**، شأنها شأن العلاقة بين الدولة والمجتمع المدنى. وبالتالى فقد سهلت ازاحة **ماركس** لبؤرته النظرية نحو الاقتصاد السياسى، وافتراضه بأن الاقتصاد السياسى هو مفتاح تحليل المجتمع المدنى، على الآخرين قراءته وكأنه يفهم المجتمع المدنى كنظام اقتصادى،حيث يصير المجتمع المدنى مساويا للاقتصاد الرأسمالى بدلاً من المجتمع البرجوازى.

وفى حقيقة الأمر،فان **كومار** يرتكب فى حق ماركس ذات الجرم الذى يتهم به أفينيرى بأنه قد ارتكبه فى حق هيجل.**فمثلما يخطئ أفينيرى عندما يقرأ المجتمع المدنى عند هيجل كآلية سوق وفقط، يخطئ كومار أيضا عندما يفترض أن ماركس يختزل المجتمع المدنى فى القاعدة الاقتصادية وبالمثل يخطئ كينىeane عندما يزعم أن ماركس يدمج المجتمع المدنى فى«نمط الانتاج» وينتقص من قدر المؤسسات الأخرى كالمصحات والكنائس والأسر المعيشية(kumar 1993-9, kene 1998:321-58)** فيستعبد كل من **كومار وكينى** هنا النقد الكلاسيكى الموجه للماركسية بأنها اختزلت كل شئ فى«الاقتصاد» ولكن هذا النقد يتأسس على تجاهل استمرار نموذج الدولة- المجتمع المدنى فى أعمال **ماركس** .وفى الواقع باءت بالفشل محاولة كل من **كومار وكينى** للبحث عن حقل«**مستقل**» للاجتماعى. فضلا عن ذلك فعلى الرغم من نقد **كينى** لـ«اختزالية» **ماركس** ، فانه يؤسس حجته بخصوص مجتمع مدنى اشتراكى على أساس مجتمع مدنى«ليس محكوما بواسطة انتاج السلع والتبادل إلى حد كبير»(**1988:63,CF. Meiksins Wood 1990**).

لقد ظل نموذج الدولة- المجتمع المدنى قائما خلال أعمال **ماركس** ، ولكنه شكل توترا بداخلها، ومع ذلك فانه بحاجة إلى أن يظل قائما بجانب نموذج القاعدة -البنية الفوقية، يضاف إلى ذلك أنه من خلال استبقاء ثنائية الدولة- المجتمع المدنى يستطيع المرء أن يتجنب التبسيط المفرط لفكرة القاعدة- البنية الفوقية فى الماركسية . يقسم **هانت Hunt** مراحل تطور مفهوم المجتمع المدنى عند **ماركس** إلى ثلاث مراحل (**Hunt 1990**) ، فيفترض أن المرحلة المبكرة ذات بعد محورى فى تحليله المعارض للدولة وجزء من نقده **لهيجل** ، ثم بدأ **ماركس** فى مرحلة التحول بالابتعاد عن هذا المفهوم والميل نحو«**العلاقات الاجتماعية**» بوجه عام، ولكنه لم يطور مقولات تسمح برفض المفهوم تماما، وفى المرحلة الأخيرة منذ أواخر ١٨٥٠ يختفى مفهوم «**المجتمع المدنى**» من أعماله فى ذات الوقت الذى ميز فيه بين العمل وقوة العمل. وقيل إن هذه الازاحة الأخيرة يمكن أن نجدها فى مقدمه ١٨٥٩ حيث افترض **ماركس** أن مفتاح تحليل المجتمع المدنى يكمن فى الاقتصاد السياسى.

تتمثل مشكلة هذه الصيغة فى وجود متصل ماركسى يطيل من بقاء المفهوم على الأقل. ويلفت هانت النظر إلى اختلاف المخطوطة النهائية لـ«**الحرب الأهلية فى فرنسا**» عن تلك السابقة لها على أساس أن تعبير «مجتمع» حل محل «المجتمع المدنى». والمشكلة هنا ذات طابع مزدوج، فمن ناحية يفترض هذا أن **ماركس** لم يتخل تماما عن«**المجتمع الدنى**»بعد أواخر ١٨٥٠ وظل يستخدمه فى١٨٧١ ولو فى المخطوطة الأولى، فقد كان عليه أن يعلن رفضه للمفهوم وبشدة. ومن ناحية ثانية ، يجب أن ينظر إلى إحلال«المجتمع(٥) محل«المجتمع المدنى» لا كرفض للثانى لصالح الأول بل كوسيلة تعبير للإمساك بالتمايز القائم بين الدولة وما «عداها» **ويعنى كل أن هذه التغيرات هى جزء من التوتر المحيط بنموذج الدولة- المجتمع المدنى عن ماركس عوضاً عن أنها تعبير عن رفض مفهوم «المجتمع المدنى».**

وعلاوة على ذلك ، فثمة مشكلة نجمت عن استخدام «**المجتمع البرجوازى**» فى ترجمات عدد من النصوص مثل«**رأس المال**»، فيلفت **هانت** النظر إلى ترجمة **burgerliche Gesellschaft** إلى« مجتمع مدنى» فى أحد الترجمات وإلى« مجتمع برجوازى» فى ترجمة أخرى، وينطبق نفس الشئ على«الجروندريسه» ، بل وثمة تفاوت داخل ذات النص(٦) استخدم **ماركس burgerliche Gesellschaft** لنفس الغرض ،مثلما فعل« **هيجل**» -لأنه يعنى كلاً من «المجتمع البرجوازى والمجتمع المدنى» . وقد استخدمه **ماركس** فى أعماله الأخيرة بمعنى «المجتمع المدنى» عندما كان يناقش «المجتمع البرجوازى». وإذا ما ترجم المرء **burgerliche Gesellschaft** كمجتمع مدنى بدلاً من برجوازى كما اقترح البعض(**Arthur 1970:5**) تصبح أعمال ماركس الأخيرة عامرة بالمفهوم.

أخيراً، فقد كان استخدام ماركس لمفهوم المجتمع المدنى بين علامتى تنصيص، كما هو الحال فى الجروندريسه محفوفاً بمخاطر التأويل المفرط. فلم يترجم مصطلح «المجتمع المدنى» فى الصفحة الأولى من الجروندريسه إلى«المجتمع البرجوازى» ،كما ذكرنا بشأن بعض الترجمات ، ولكن قصد من علامات التنصيص تنبيهنا إلى الطبيعة الاشكالية للمفهوم. يشير ذلك ، كما افترض **هانت** ، إلى التحول عن الاستخدام غير النقدى إلى استخدام نقدى يدرك حدود المفهوم. ويفترض ذلك أيضا عدم استغناء **ماركس** عن المفهوم.

عمل التركيز على **نموذج القاعدة- البنية الفوقية** على صرف النظر بعيداً عن مقولة **ماركس** الأخرى: أى الاجتماعى يزعم **كومار** أن **ميل ماركس** إلى التقسيم الثنائى لم يسمح بمكان لحقل ومميز للاجتماعى ، ويهدف بذلك تقديم فهم سوسيولوجى **لماركس** بشأن الاجتماعى ، والذى إن نجح فسوف يكون فاصلا لنقد **ماركس** .**ولكن بالتمييز بين الدولة والمجتمع المدنى تبرز إمكانية أفرع معرفية يمكن معها دراسة كل من العلاقات السياسية والعلاقات الاجتماعية بشكل منفصل.** فقد تطور كل من السوسيوجيا العلوم السياسية كأفرع معرفية مستقلة ، واختصت السوسولوجيا بالمجال الاجتماعى. وكما كتب **جوران ثوربورن** :«برزت السوسولوجيا كجزء أساسى من تزايد الاكتشاف الفكرى للمجتمع المدنى/ البرجوازى **burgerliche Gesellschaft** (**Thorobon 1980 : 210**) تصبح المسألة ، إذن كيف تتداخل هذه المجالات (السياسية والاجتماعية) فى علاقة مع بعضها ، هل ثمة تكامل بين العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية؟ وفى ذات الوقت يصبح المجال الاقتصادى منفصلا كعنصر ثالث فيتحول التمييز ، الدولة- المجتمع المدنى، إلى مشكلة المجالات وكيفية تفاعلها.

والآن،يعتبر المجال الاجتماعى أساسياً فى أعمال **ماركس**،ليس فقط بسبب من أن **ماركس** ورثه عن**هيجل (كما يجب أن يذكر** سان سيمون) ، ولكن بسبب استخدام ماركس لمفهوم الاجتماعى (الانسان حيوان

اجتماعي) لاحداث بعض الانعطافات النظرية الاساسية التى ميزته. **فعلى سبيل المثال تجاوز ماركس الفلسفة المثالية ليس من خلال إزاحة جدلية نحو الفلسفة المادية ، ولكن من خلال التركيز على الجوهر الاجتماعي للوجود الانساني**. وبدلا من استبدال المثالية بالمادية على نمط **فيورباخ** ،نقد **ماركس** كل من المثالية والمادية من خلال تطويرمفهوم لد «النشاط الانساني الملموس ،أي الممارسة» «المجتمع الإنساني أو الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي، أي الفكرة المادية عن الطبيعة الاجتماعية للوجود الانساني والتى خلقت تمايزاً عن«المادية القديمة» ، «وجهة نظر حول المجتمع المدنى»(**Marx 1975 d,e,Clarke 1991-8**).

لقد ميز مفهوم الاجتماعي ماركس عن السوسيولوجيا أيضا. لقد كان **فيبر** محقاً جداً فى إشارته إلى أن الاجتماعي» ، الذى استخدم بالتبادل مع«المجتمع» والذى تم تفسيره ، إلى حد كبير، بأنه طرح ليتضمن كل الحقيقة، يحجب تعقد الفعل الثقافي والاقتصادي والسياسي(**Weber 1949**). ويمكن ملاحظة ذلك فى أعمال السوسيولوجيين حيث يستخدم الاجتماعي شأنه شأن «المجتمع» كمقولة يمكن استثارة شئ ما آخر ضدها(٧) .ومع ذلك تخطى الماركسية بمفاهيم معينة للإمساك بعناصر معطاة من المجتمع- الدولة- والمجتمع المدنى (٨) **الأمر الأهم هو استخدام مقولة الاجتماعي فى أعمال ماركس كمقولة أساسية لنقد المجتمع البرجوازي**. وبهذا المعنى لا تعمل مقولة «الاجتماعي» فى أعمال **ماركس** كمقولة وصفية، ولكن كمقولة نقدية أساسية تستهدف طبيعة الاستلاب فى العلاقات الإنسانية داخل المجتمع البرجوازي. فعلى الرغم من تماثل وتداخل المقولات إلا أن **السوسيولوجيا والماركسية سوف يظلان منفصلين ،حيث ميزت الماركسية نفسها عن الفكر السوسيولوجي مقولة الاجتماعي كمقولة نقدية مركزية(٩)**.

تدل هذه الاختلافات بين **ماركس** وكل من الفلسفة المادية والسوسيولوجيا إلى أهمية إزاحة **ماركس المفاهيمية**، الأمر الواضح فى بقية أعماله. فعلى سبيل المثال يترك نقد **ماركس** المتعلق بـ «الانعتاق السياسي» على مطلب تصعيد الفصل بين الانسان فى المنعزل فى المجتمع المدنى والحياة السياسية نحو كلية ناحية «اجتماعية» جديدة.

«فقط عندما يدرك الانسان وينظم قواه الخاصة كقوة اجماعية فسوف تنفصل القوة الاجتماعية فى شكل قوة سياسية، وهنا فقط يكتمل الانعتاق الإنساني»(Marx 1975 c: 235).

ولهذا السبب وقف ماركس بجانب كميونة باريس لأنها تعيد السلطة السياسية للمجتمع. فقد أظهرت الكميونة من خلال تحطيم سلطة الدولة استطاعة الطبقة العاملة تطوير أشكال وجودها السياسي ، الأمر الذى يعادل شكلاً جديداً للوجود الاجتماعي يضطلع فيه أعضاء المجتمع أنفسهم بوظائف الدولة« المعتادة» . ويعنى هذا بتعبيرات نظرية«إعادة امتصاص سلطة الدولة خلال المجتمع بقواه الحية عوضاً عن قوى السيطرة والاخضاع، وتأسيس نمط جديد للتنظيم الاجتماعي»(Marx 1974 b-1974 c:250-206-10).

تكمن قوة **نقد ماركس للاقتصاد السياسي فى مفهوم الاجتماعي هذا**. وينتج عن **فتيشية**Fetishismالعلاقات البرجوازية ،حيث تكون القيمة التبادلية بمثابة الرابطة الاجتماعية وحيث يبدو النشاط الاجتماعي كشئ ما مغترب وموضوعي، علاقات اجتماعية تبرز «الشكل الوهمي للعلاقة بين الأشياء». وبجانب هذا تأتى الرؤية عن مجتمع مستقبلي «للأفراد ذوى الطبيعة الكلية» ،حيث تخضع علاقاتهم الاجتماعية والجماعية لسيطرة كميونتهم . ويدعونا ماركس فى كتاب «**رأس المال**» ،بعدما وصف الميل التاريخي للتراكم الرأسمالي كمحول للملكية الرأسمالية الخاصة إلى ملكية اجتماعية ، لأن «نتصور ، من أجل التغيير ، مؤسسة مكونة من رجال أحرار يعملون بأدوات انتاج مشاعية ، ويحولون الأشكال المختلفة لقوة العمل إلى وعى ذاتى كامل كقوة عمل موحدة. **إن مربط الفرس هو ضرورة أن تتضمن الشيوعية إعادة إنتاج الأفراد كأفراد اجتماعيين حيث تكون الثروة هى« تعميم مطالب وقدرات ورغبات الفرد وقواه الانتاجية»**. إن عدم كمال الاجتماعي هو مفتاح فهم العمل المغترب ، كما أنه مفتاح فهم اغتراب المجتمع ، أى غياب الاكتمال الاجتماعي» (-Marx 1973: 137,162,488,832,1976: 163 7,939-30).

ومن أوجه عدة يكون مفهوم الاجتماعي عوضا عن البروليتاري هو الذى يعطى للكلية ملامحها فى أعمال **ماركس** . لقد ورث ماركس عن هيجل مفهوم الطبقة الكلية ، ولكنه استبدل البيروقراطية بطبقة راديكالية تعبر عن الانعتاق الانساني. ولكن قراءة أكثر تدقيقا لمناقشة ماركس بشأن الطبقة الكلية تكشف، أيضا، عن الوجود الضمنى لمفهوم الاجتماعي بين تضاعيف الكلية. وإذ ينتقد **ماركس** اضفاء **هيجل** الصفة الكلية على البيروقراطية، لأنه يرى أنه فى مقدور أي فرد، مثلا أن يصير موظفاً حكومياً.

«إن الأمر الحاسم فى الدولة الواقعية يتمثل فى حقيقة قدرة كل مواطن على أخذ فرصة تكريس نفسه للمصلحة العامة فى هيئة طبقة معينة ، ولكن القدرة الحقيقية للطبقة الكلية هى أن تكون كلية بمعنى أن تكون طبقة كل المواطنين. ولكن هيجل يفترض طبقة كلية وهمية، كلية مثبتة فى طبقة معينة»(1975 a: 112).

يبدو**ماركس** هنا وكأنه يمد مفهوم الطبقة الكلية ليشمل كل مواطن ، على سبيل الاحتمال على الأقل ،وكل الجسد الاجتماعي. ويتضمن هذا بالطبع توسيعاً، وتحويلا جذريا لفكرة المواطنة . فمن خلال تنظيم كل الظروف المحيطة بالوجود الإنساني ، فسوف تقوم الطبقة بتحرير كافة لمجالات الاجتماعية الأخرى، وذلك هو الهدف(1975:254-65) .**وهكذا تكون الطبقة العاملة بمفردها هى الطبقة الثورية فعلاومن ثم فهى المناط بها تحقيق الانعتاق الكلى، حيث أن هذا الانعتاق ، حال تحققه ، يقوم به افراد داخل مجال** تقسيم العمل والطبقة ذاتها.

ويبدو هنا عمق ما اكتسبه ماركس من هيجل ،حيث يعادل ثالوث ماركس المفاهيمي : الاجتماعي، المجتمع المدنى، الطبقة الكلية، ثالوث هيجل: الدولة ، الدولة السياسية ،البيروقراطية. وتعتبر البيروقراطية عند هيجل طبقة محددة، ولكنها ذات أهداف كلية لتطابقها مع أهداف الدولة.

أما بالنسبة **لماركس** فان **البروليتاريا** هى طبقة محددة، ولكنها ذات أهداف كلية لتطابقها مع أهداف المجتمع. ومع ذلك فبينما تأتى طبقة **هيجل** الكلية التى تتوسط الدولة والمجتمع المدنى لحماية المجتمع المدنى من طاقاته الثورية عن طريق تحويل الصراعات الاجتماعية إلى آليات ادارية، فان طبقة **ماركس الكلية** يراد منها تجاوز هذه الثنائية من أجل تحقيق الطاقة الثورية وتأسيس نظام اجتماعي جديد يتم فيه تسييس الاجتماعي وإضفاء الطابع الاجتماعي على السياسة. **وهكذا يمكن تفسير مشروع ماركس بأنه تحويل الكلى إلى اجتماعي وتحويل الاجتماعي إلى**

كلى من أجل «حرية اجتماعية»(١٠).

لقد كان الهدف من تتبع فكرة الاجتماعى لفت الانتباه إلى حقيقةأن **ماركس قد اهتم ايضا ، شأنه شأن أولئك الذى سعوا إلى استخدام المجتمع المدنى كجزء من سياسات ديمقراطية راديكالية ، بتغيير ذلك الانقسام بين الدولة والمجتمع المدنى.** ومع ذلك وبسبب من ارتكازه على مفهوم الاجتماعى فقد كان فى خصام أساسى مع الكثير مما ساد فى الفكر الاجتماعى والسياسى المعاصر الأمر التى ترتب عليه انقسام خطير فى المشاريع على مستوى النظرية والممارسة . وتقع عملية صياغة مفهوم للمجتمع المدنى على حافة هذاالانقسام. وبالنسبة **لماركس تكمن المشكلة فى «الجوهر الفعلى » للمجتمع المدنى، مضمونه»، بقدر ما هو محتواه أى المجتمع البرجوازى** Burgerliche Gesell schaft**، فليس** الهدف ، إذن، بغير المحتوى ، بمعنى «مجتمع مدنى إشتراكى ولكن تحويل هذا الشكل ومن أجل هذا الهدف تم توظيف مقولة الاجتماعى النقدية فى أعماله.

هوامش

* عنوان المقال

From Civil Society Social نشر فى (**British Journal of Sociologg Vol. No. 46 (3), September.**

(١) أعتمد على ترجمة حديثة لنيسبت (hegle 1991) N.B Nisbet، ولكن سأحيل عند الضرورة إلى ترجمة **نوكس**.T. M (Hegel)Knox.

(٢) يستخدم ماركس هنا مقولةStand بدلاً منKlasse.

(٣) انظر على سبيل المثال إشارات **كانت** Kant حول ضرورة أن تكون المواطنة للسيد (وكذلك البالغ ، الذكر) ،وهى ضرورة تستبعد أولئك الذين يعملون لدى الغير(Kant 1991:78). انظر أيضا مناقشة جون لوك فى **كفرسون**(1962:227:246) وفيما يتعلق باخفاق **ماركس** فى اتباع **هيجل** انظر **كوهين** Cohen (1982:61) وراندال -Run dell(1987:90-1).

(٤) شهيرة لأنها تعتبر الآن مألوفة جداً فى تقديم هذا العمل بوصفه وصف قياسى للمنهج المادى إلى حد انه يتم تجاهل «لاماركسية» المقدمة : فهى على سبيل المثال لم تأت على ذكر الطبقات ولا صراعاتها.

(٥) توجد الأجزاء ذات الصلة عند **ماركس**(، 208 : 1974 b 210, 1974 c : 246-7).

(٦) يمكن أن نجد الأمثلة المحددة عند مضاهاة **ماركس** (1954:133,141)**بماركس**231,240, 1976: حيث يجد المرء فى الحالة الأخيرة كلاً من«**المجتمع المدنى» ثم «المجتمع البرجوازى»** على التوالى. ومضاهاة **ماركس** 83 :19733)بماركس(1975 f:48) فيما يتعلق بالجروندريسه . ولم يعط هانت مثالا آخر. أنظر أيضا مقدمة ١٨٥٩.

(٧) مثال آخر نجده فى عمل **بريان تيريز «الجسد والمجتمع»** (١٩٨٤)حيث يظهر مفهوم المجتمع بشكل متبادل مع« الاجتماعى» ، يوظف كوسيط عام يلبى بطريقة ما المطالب التى تبدوpre-Social. وعندما وضعت هذه القضية أمام تيرنر فى أحد المقابلات فبدا وكأنه متردد فيقترح ، على غرار بودريارد، أن فكرة «المجتمع» قد تصبح زائدة عن الحاجة (Turner 1992:229-60).

أيضا يدرك سوسيولوجيون آخرون هذه المشكلة الخاصة بـ«المجتمع» ويسعون لتجاوزها بطرق متعددة . فيسعى جيدنGiddens،على سبيل المثال، إلى استخدام مقولات-Time-space, "interocietal Sys tem", nation-State,(1982:21, 172,1986:103-69,244,1990:17) وبالمثل يفترض **بومان** Baumann أن النظرية السوسيولوجية لما بعد الحداثة توجب استبدال «المجتمع» بـ« الفعالية الاجتماعية (١٩٩٢-٩٠) وأخيراً يهدف فالرشتاينWallerstein إلى استبدال المجتمع بـ« النظام التاريخى» (1987:309-24). ومن ناحيتى لست على ثقة بأن أيا من ذلك ينجح فى التعامل مع الاجتماعى كمفهوم نقدى. فيسلم فالرشتاين، مثلا بأن استبدال «المجتمع» بـ« النظام التاريخى» هو مجرد استبدال دلالى فحسب، ولكنه بذلك «يرفع عن كاهلنا» مسئولية ربط «المجتمع» بـ«الدولة»(P.317). وبالمثل ترتكز محاولة **جيدن** لاستخدام مفهوم «الدولة -الأمة) على افتراض مشوش إلى حد ما مفاده عزو المجتمع المدنى إلى الريف، وأنه مع صعود الدولة الأمة الحديثة يختفى المجتمع المدنى (1958:21).

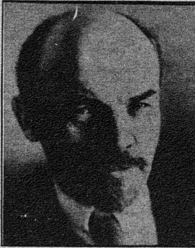
(٨) بينما قد يكون من الصحيح القول بأن السوسيولوجيا تدرس المجتمع المدنى الذى اتهمت الماركسية بتجاهله (Gouldner 1980:370, Kumar 1993:380)فان هذا غالبا ما يسفر عن توسع واستخدام لامبالى لكل من المجتمع والاجتماعى ،كما نوقش من قبل أو وضع الماركسية والسوسيولوجيا فى مواجهة بعضهما. فعلى سبيل المثال يقترح **تيرنر** أنه فى ظل غياب نظرية للعلاقات الاجتماعية فى ذاتها ينبغى دراسة المجتمع المدنى كسوسيولوجيا داخل الماركسية(Turner 1993:16.

(٩) على سبيل المثال، يفضى رفض **فوكو**Foucault التمييز بين الدولة -المجتمع المدنى إلى توسيع مقولة الاجتماعى (أو الجسد الاجتماعى) لتتضمن كافة العلاقات. وبالمثل يعمل مفهوم كل من **لاكلاو**Laclou وموفىMouffe للسياسى ،منظوراً إليه كابداع فى الممارسة وانتاج وتحويل العلاقات الاجتماعية، ببساطة على تفكيك السياسى إلى اجتماعى.

(١٠) أخذت مقولة «الحرية ذات الطبيعة الاجتماعية»من **ارنست بلوخ** (Ernest bloch 1971:49). وقد ناقش بن حبيب - ben habib مسألة تحويل الكلى إلى اجتماعى وتحويل الاجتماعى إلى كلى(1986:39). وفيما يتعلق باضفاء الطابع الاجتماعى على السياسى وتسيس الاجتماعى انظر p. osborne (1991).

تجديد المشروع الاشتراكي

ماهر الشريف


لينين

ينبغي على الاعتراف، بداية، بأن إعداد هذه الورقة قد أرهقني كثيرا، وذلك لسبب بسيط يعود إلى التشوش الذي أصاب تفكيري عن الاشتراكية ،وهو تشوش زاده، بدلاً من أن يخفف منه، اطلاعي على عدد كبير من المساهمات والدراسات التي نشرت في السنوات الأخيرة عن الاشتراكية ومستقبلها في بلدان أوروبا الغربية وفي بلداننا العربية. صحيح أن **هذه الدراسات والمساهمات تجعل المرء مطمئنا إلى أن النضال من أجل فكرة الاشتراكية لن ينتفي ما دام هناك أشخاص وجماعات يتمسكون بهذه الفكرة وما تحمله من قيم انسانية نبيلة**، إلا أن الخطاب عن الاشتراكية ، الجديد في اشكالياته ومفاهيمه، الذي يتوالد عن هذه الدراسات والمساهمات يزعزع اليقين النظري الذي يملكه نصير الاشتراكية في وقت مضى-عندما كانت الاشتراكية «الواقعية» كما كانوا يسمونها مجسدة في نموذج حي-ويدفعه إلى التساؤل عن مدى قدرة أنصار الاشتراكية اليوم على وضع فكرتهم هذه موضع التطبيق.

***

إن النقاش الدائر **حول اشتراكية المستقبل** قد انتقل ،كما يبدو لي، بتأثير تجربة الماضي وعبرها، إلى ارضية غير تلك التي كان يدور عليها قبل وقوع الانهيارات. **فالنقاش الذي يجرى حاليا يضع في موضع التشكيك مفاهيم احتلت مكانة مركزية في الخطاب الاشتراكي الذي عهدناه مثل مفهوم البروليتاريا ومفهوم الصراع الطبقي ومفهوم التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية**، أو يعيد النظر، بصورة كلية، بمفاهيم أخرى مثل مفهوم الانتقال إلى الاشتراكية. كما أنه- أي هذا النقاش- صار يدرج الاشتراكية في إطار اشكاليات أوسع ،كاشكالية الحداثة واشكالية العلاقة بين الانسان والطبيعة، أو يجعلها تتوافق مع تيارات فكرية أخرى كالليبرالية السياسية. وإذا كان النقاش قد اغتنى كثيرا بفضل هذه المراجعة النقدية المفهومية وبفضل توسيع دائرة اشكاليات الاشتراكية، إلا أنه قد خلق ، في المقابل، مشكلات نظرية كبيرة لا يبدو ان تجاوزها سيكون سهلاً.

لننظر مثلا إلى **دعوة المزاوجة بين الاشتراكية والايكولوجيا** . فهذه الدعوة تبدو مشروعة في ضوء تزايد الشعور الانساني بمخاطر الكارثة البيئية ،كما تبدو طبيعية ليس فقط لأن النزعة الانتاجوية التي حكمت سياسات التصنيع في بلدان «الاشتراكية الواقعية» -والتي لم تختلف عن النزعة الانتاجوية السائدة في البلدان الرأسمالية -قد ألحقت بالطبيعة دماراً هائلا، وإنما أيضا لأن **ماركس** نفسه قد قصر في دراسة هذا الجانب عندما ركز على العلاقات بين البشر على حساب تركيزه على علاقات الانسان بالطبيعة.**وقد لا تكون هناك مشكلة لو توقفت دعوة المزاوجة بين الاشتراكية والايكولوجيا عند حدود إصلاح قصور معين عانى منه الفكر الماركسي وتجربة البناء الاشتراكي، لكن هذه الدعوة تتجاوز في الواقع هذه الحدود**، فتفرض مبدأ أولوية القوى المنتجة وتضع في موضع الشك مفهوم التقدم الذي جعله ماركس مماثلا لتطور القوى المنتجة الذي يقود بالضرورة إلى الاشتراكية. فما هذه الاشتراكية التي لن تقوم علي أساس السعي من أجل تطوير القوى المنتجة باضطراد بما يخلق وفره هائلة في المنتجات تكفى لاشباع حاجات الناس وتوفر للمنتجين فرصة التمتع بأكبر قدر ممكن من وقت الراحة؟.

وإذا نظرنا ، من جهة أخرى،إلى **مفهوم الصراع الطبقي** ، الذي يشكل أحد أهم المفاهيم النظرية الماركسية ، نجد أن النقاش الدائر اليوم حول هذا المفهوم قد تجاوز نقد الازدواجية التي تعامل بها **ماركس** معه عندما اختزل بنية المجتمع الرأسمالي إلى قطبين رئيسيين يدور بينهما الصراع هما: البروليتاريا من جهة والبرجوازية من جهة ثانية، كما تجاوز الاجتهادات الماركسية التي قدمت لتوسيع ميدان هذا الصراع وعدم ابقائه مقصورا على الحيز الاقتصادي الاجتماعي وحده،**لينتقل-أي نقاش اليوم-إلى مستوى التشكيك في المفهوم نفسه، واعتبار أن هناك في عالمنا المعاصر أشكالا عديدة للسيطرة لا ترجع إلى التناقض بين العمل ورأس المال ولا تنبع من الاستغلال والتمايز الطبقيين**، وهي أشكال قائمة بذاتها وتؤدى في ظروف معينة إلي توليد صراعات تكتسي أهمية أكبر من أهمية الصراع الطبقي ففي إطار تحليل ظاهرة الاضطهاد والتمييز التي تتعرض لها المرأة، تبرز أفكار تتعامل مع النظام الأبوي بوصفه بنية اقتصادية قائمة بذاتها، وتلجأ إلى مفاهيم مثل مفهوم **نمط الانتاج المنزلي** الذي يشكل قاعدة اقتصادية للنظام الابوي ويتمفصل مع نمط الانتاج الرأسمالي.

ويطال التشكيك **مفهوم البروليتاريا** كذلك، والتي كانت تعتبر في الخطاب الاشتراكي السابق للانهيار بوصفها الحامل الاجتماعي للاشتراكية ،حيث يرى البعض ، في إطار النقاش الدائر اليوم، أن البروليتاريا لم تعد القوة الاساسية من قوى التحويل الاجتماعي، في حين يرى البعض الآخر، مستنداً إلي المشكلات الناجمة عن هجرات

اليد العاملة خصوصاً من الجنوب إلى الشمال ، أن البروليتاريا في الدول الرأسمالية المتقدمة قد خانت نفسها وأحلت وعيها القومي، كوعي سياسي، محل وعيها الطبقي. **وتبرز تساؤلات عن جدوى الاستخدام الوظيفي لمفهوم البروليتاريا في مجتمعات تشهد تطوراً واسعا للمعلوماتية والاتمتة** وقد تصل، إذا ما تسارع التوجه نحو تحويل العلم إلي قوة انتاجية مباشرة، إلى مرحلة تتخلق فيها شروط قيام عمل متغير في طبيعته ويتحقق بأقل قدر ممكن من العمال المنخرطين في عمليات الانتاج المباشرة. ومن جهة أخرى، **يلاحظ أن الخطاب الاشتراكي الجديد أخذ يستغني، أكثر فأكثر عن مفهوم الطبقة ليحل محله مفهوم الشعب أو الأمة،** وذلك من منطلق أن المنطق التدميري لسياسات رأس المال المالي في البلدان الرأسمالية المتقدمة بات يهدد مصالح مجموع الشعب، أو من منطلق أن التبعية البنيوية لبلدان ما كان يسمى بالعالم الثالث تضر بمصالح كل فئات الشعب باستثناء فئة ضيقة من الكومبرادور والبرجوازية الطفيلية.

وتطرح فكرة **المزاوجة بين السوق والخطة في إطار اشتراكية المستقبل** ،وهي فكرة يزداد أنصارها يوما بعد يوم حتى داخل بلداننا العربية، مشكلة نظرية عويصة. وينطلق الداعون إلي هذه المزاوجة من أن **ماركس** قد ارتكب خطأ نظريا عندما جعل الرأسمالية والسوق يتحدان في الجوهر وطرح الخيار ما بين منطقين اجتماعيين هما منطق السوق ، القائم على شكل الملكية الفردية لوسائل الانتاج ،ومنطق التخطيط ، القائم على شكل الملكية الجماعية لوسائل الانتاج، معتبرا أن من غير الممكن الغاء الرأسمالية من دون الغاء السوق وبالاستناد إلي التجربة التاريخية يرى بعض أنصار فكرة المزاوجة هذه أن الخطة قد ظهرت في بلدان« الاشتراكية الواقعية» بوصفها شكلا من أشكال احتكار القرار الاقتصادي ومصدرا لعلاقات سيطرة اجتماعية من نوع خاص فرضتها أقلية من الاداريين البيروقراطيين على مجموع العاملين، وصار الحزب بعد أن تملك الدولة وسيلة هذه السيطرة. والمشكلة النظرية التي يطرحها نموذج اشتراكية السوق يمكن أن يحتويها السؤال التالي: **هل ستقتصر السوق على المنتجات والسلع أم أنها ستشمل كذلك قوة العمل؟ واذا ما تم الاقرار بوجود سوق للأيدي العاملة، فما هي النتائج الاجتماعية التي ستترتب علي ذلك ولاسيما فيما يتعلق بتوفير فرص العمل للجميع؟.**

وترتبط بفكرة المزاوجة بين السوق والخطة فكرة أخرى مفادها **اشتراكية المستقبل ستقوم على تعدد أشكال الملكية** ، ويفرد خطاب هذه الاشتراكية الجديدة مكانة خاصة لشكل الملكية الفردية ويتم الرجوع، في هذا السياق ، إلى تجربة سياسة«النيب» التي أطلقها **لينين** في مطلع عقد العشرينات، علماً بأن**لينين** لم يتبن تلك السياسة إلا بعد توصله إلي قناعة بأن الثورة الاشتراكية لن تمتد قريبا إلى البلدان الرأسمالية المتقدمة، وأن روسيا المتخلفة ستكون بحاجة إلى تنظيم رأسمالية دولة « طيبة » تمهد الطريق للانتقال إلى مهمات البناء الاشتراكي.

وإلى الآن لم يحسم في إطار النقاش الدائر اليوم حول اشتراكية المستقبل الخلاف حول بعد هذه الاشتراكية ، في ضوء العولمة المتسارعة وتدويل الاقتصاد، هل هو بعد كوني بمعنى أن قضية الاشتراكية يجب أن تطرح علي مستوى الكون بأسره وأن بناءها «يمكن أن يتم على أساس محلي،**أم أنه بعد قومي** ، بمعنى أن هناك طرقا قومية إلي الاشتراكية وأن بناءها يتم داخل اطار الدولة-الأمة؟ واذا ما انطلقنا من البعد الكوني للاشتراكية ،فكيف سيتم التعامل حينئذ مع هذه الفجوة التي تزداد عمقا والتي تفصل، على مستوى التطور، مناطق العالم المختلفة؟ وفي المقابل اذا بقينا نسعى لبناء اشتراكية ذات ألوان قومية، فكيف سنتعامل وقتئذ مع سيرورات صارت تسمو على إطار الدولة- الأمة، كما هو حاصل في أوروبا مثلا؟.

ويذهب النقاش الدائر اليوم إلى حد التشكيك بجدوى الاستمرار في استخدام مفهوم التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الذي تستند إليه فكرة الانتقال ،حيث يرى البعض بأن التمييز بين علاقات انتاج رأسمالية وأخرى اشتراكية هو أمر ممكن، في حين أن التمييز بين الرأسمالية والاشتراكية هو أمر غير ممكن.

ويظهر الافتراق بصورة جلية كذلك بين الخطاب الاشتراكي التقليدي الذي عهدناه وبين الخطاب الاشتراكي الجديد المتوالد عن النقاشات الدائرة اليوم عندما يتعلق الأمر بتحديد طبيعة السلطة السياسية في**اشتراكية المستقبل وسبل وطرائق الوصول إليها** .

وبغض النظر عن مدى الاتفاق حول موقف**ماركس** من مسألة الديمقراطية السياسية ، فان من المعترف به إلي حد كبير أن **ماركس** لم يعالج قضية الديمقراطية إلا بالارتباط مع مسألة الثورة، ولم يترك نظرية عن دولة القانون، وأن **لينين** قد استعار عن **ماركس** مفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ومفهوم الثورة ، بوصفها قاطرة التاريخ وتعبيرا عن انقلاب كبير اجتماعي، تتضح ظروفه الموضوعية بفعل تفاقم التناقض بين مستوى التطور الذي بلغته القوى المنتجة وبين طبيعة علاقات الانتاج السائدة، ويتمثل هدفه في هدم أسس المجتمع القديم والاطاحة بالمؤسسات السياسية البرجوازية . ودون الخوض في نقاش ما إذا كان ما جرى في **أكتوبر** عام ١٩١٧ ثورة حقيقية معبرة عن نضج شروط مثل هذا الانقلاب الاجتماعي أم لا، فقد دلت تجربة الحياة على أن **البلاشفة** ، بقطيعتهم الجذرية مع الأشكال المعروفة للديمقراطية السياسية، لم ينجحوا في توليد اشكال وممارسات أكثر تقدما خصوصا بعد أن تركت ديمقراطية السوفييتات مكانها لديكتاتورية الدولة/ الحزب.

واليوم يعود الخطاب الاشتراكي إلى استعارة مفاهيم الليبرالية السياسية عبر عودته إلى اشاعة التعددية السياسية وضمان الحريات الفردية واحترام حقوق الانسان، وتأكيده مبدأ التداول السلمي للسلطة وحق الاقتراع العام والانتخابات الحرة كوسيلة للوصول إلى الحكم.

***

إن ما أود أن أخلص اليه من كل ما سبق ، وبغض النظر عن المشكلات النظرية العالقة التي جرت الاشارة إليها ، هو أن **اشتراكية المستقبل كما تتمظهر في الخطاب الاشتراكي الجديد لم تعد تمثل نموذجا مجتمعيا مختلفا بصورة نوعية يطقع مع النموذج المجتمعي الرأسمالي الذي عرفته الحداثة ويقوم على أنقاض هذا الأخير، بل صارت تظهر بوصفها نموذجا مجتمعيا متطورا عن النموذج المجتمعي الرأسمالي ويتوالد في رحمه.**

فالاشتراكية تبرز باعتبارها نتاج سيرورة طويلة تسعى إلى تحويل التنظيم المجتمعي الرأسمالي تحويلا عميقا، بما يضمن، في نهاية المطاف ،تجاوز الرأسمالية تجاوزا جدليا وجعل التقدم الكبير الذي حققه الانسان في ميدان العلوم والمعارف والتقنيات متوافقا مع تقدم حضاري باتت البشرية في أمس الحاجة إليه وهي تدخل الألفية الثالثة. أما وتيرة هذه السيرورة فتتوقف على درجة وعي المعنيين بهذا التحويل العميق بالتناقضات القائمة في المجتمع ومدى استعدادهم للانخراط في العمل المباشر من أجل تغيير الوضع القائم . وبهذا المعنى ، لن **يكون تجاوز الرأسمالية الغاء لها، بضربة ثورية واحدة أو باللجوء إلي المراسيم**

الادارية ،كما لن يكون قطيعة كلية مع النماذج المجتمعية القائمة حاليا، خصوصا بعد أن ثبت تاريخيا أن اجراءات القطع مع الرأسمالية التي اتخذتها أنظمة سياسية رفعت لواء الاشتراكية لم تفلح، رغم النجاحات التي حققتها في هذا الميدان أم ذاك، في توليد نماذج اجتماعية وعلاقات اجتماعية تضمن تحرر المنتجين من الاستلاب والاستغلال وتجعل مصيرهم في أيديهم، وذلك رغم اختيارها ملكية الدولة بدلاً من الملكية الفردية والتخطيط المركزي عوضا عن ليبرالية السوق.

وفي ظني فان هذا التصور الجديد للاشتراكية يحتم على أنصارها ان يعيدوا النظر في مفهوم الاشتراكية ،في أربعينيات القرن التاسع عشر تقريبا، بوصفها وعياً نقدياً للرأسمالية وتناقضاتها وعقيدة ورثت قيم الثورة الفرنسية وربطت ،في وحدة عضوية ،السياسي بالاقتصادي والاجتماعي. وفي مرحلة لاحقة، صار ينظر إلى الاشتراكية ، خصوصا في الأدبيات الماركسية ، باعتبارها أداة نضال البروليتاريا في سعيها من أجل قلب التنظيم الاجتماعي البرجوازي، وذلك إلى أن استقرت النظرة إلى الاشتراكية كمرحلة أولى أو دنيا للمجتمع الشيوعي، أو مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية.**وقد يكون من المناسب في ضوء تجربة الأمس وما تتمخض عنه نقاشات اليوم، أن نعيد الاعتبار إلى التعريف البدئي للاشتراكية، وأن نتعامل معها كحركة سياسية واجتماعية ورثت قيم الحرية والمساواة والاخاء، وعليها أن تسعى إلى استكمال النضال الذي دار على مدى قرنين من أجل وضع القيم موضع التطبيق**،وهو أمر لن يتحقق ما لم يتم القضاء على كل الأشكال والعلاقات التي تولد الاستغلال والتمييز والاستلاب.

ولكن ،ما هي آلية هذه السيرورة التحويلية الطويلة لتجاوز الرأسمالية تجاوزا جدليا ومن داخلها؟.

إن هذه الآلية تتمثل ، في ظني، في **الديمقراطية المتعمقة باستمرار** انطلاقا من المضامين التي اكتسبتها عبر نضالات الماضي. ففي خضم التناقضات التي واجهتها الرأسمالية ، استطاعت الليبرالية أن تكسب الديمقراطية مضمونا سياسياً صار يمثل مكسبا انسانيا، خصوصا وأنه تحقق إثر نضالات طويلة وباهظة التكاليف لعبت فيها الحركات الاشتراكية والعمالية دوراً لا يستهان به. ومن جهة ثانية، تركت تجربة «**الاشتراكية الواقعية**» بقيادة الاحزاب الشيوعية، رغم انهيارها ، رصيدا مهما في ميدان اكساب الديمقراطية مضامينها الاجتماعية .كما قامت الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية، من جهة ثالثة، بمحاولات جزئية للجمع بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية. ويمكن لكل هذه المكاسب أن تشكل قاعدة يستند إليها أنصار اشتراكية المستقبل في سعيهم من أجل التعميق المتواصل للديمقراطية وتوسيع مداها لبطال مختلف أشكال العلاقات القائمة بين البشر اضافة إلى العلاقات القائمة بين البشر والطبيعة.

إن التعامل مع الاشتراكية بهذا الشكل سيجعلنا نتجاوز، كما أعتقد ، الجدل السابق الذي دار حول شروط وطرق الانتقال إلى الاشتراكية. **فالاشتراكية تصبح خيارا مفتوحا أمام كل البلدان التي ستختلف في ما بينها على أساس معيار جديد هو المستوى الذي بلغه التطور الديمقراطي في كل منها على الاصعدة كافة، السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي**.ويوحد بين أنصار الاشتراكية في البلدان المختلفة النضال من أجل اشاعة الديمقراطية في العلاقات الدولية، وهو ما يعني بالملموس النضال من أجل القضاء على مظاهر السيطرة والاستغلال التي تبرز في العلاقات بين الدول، والحؤول دون تواصل تنامي الاستقطاب في الثروات بين دول غنية ودول فقيرة ،والعمل على اصلاح المؤسسات المالية والنقدية والتجارية الدولية، وكذلك هيئة الأمم المتحدة، إصلاحا ديمقراطيا، وضمان التنسيق والتعاون الدوليين في مواجهة التحديات الكبيرة التي يواجهها النوع الانساني وحماية البيئة والتحكم في حركة الهجرات البشرية على قاعدة احترام حقوق الانسان، وتوفير قيام شروط تفاعل ايجابي بين الشعوب يفضي إلى بلورة ثقافة عالمية جديدة تكون انسانية في مضامينها ومتنوعة في تعبيراتها.

وتبعا لهذا المعيار الجديد، يصبح النضال من أجل الاشتراكية في البلدان التي قطعت شوطاً كبيرا على طريق الحداثة،كما هو حال البلدان الرأسمالية المتقدمة،**نضالا من أجل الارتقاء بالديمقراطية السياسية من مستوى الديمقراطية التمثيلية إلى مستوى الديمقراطية المباشرة** ،بحيث لا تقتصر الديمقراطية السياسية في هذه البلدان على كفالة حق المواطنين في إيصال ممثليهم كل بضع سنوات إلى البرلمان ، وإنما تتجاوز ذلك إلى البحث عن اشكال جديدة تسمح للمواطن بتحمل مسئوليات مباشرة ، موزعة على مستويات مختلفة ،في إدارة وحكم المجتمع. هذا إلى جانب النضال من أجل إبراز المضمون الاجتماعي ،والاقتصادي للديمقراطية عبر اتخاذ اجراءات حددتها الوثيقة التي أقرها المؤتمر الاخير للحزب الشيوعي الفرنسي في كانون الأول ١٩٩٦ ، على سبيل المثال، في التصدي الحازم لسياسات رأس المال التي تزرع البطالة والتهميش وتنشر الفقر، ووقف التوجه نحو خصخصة المؤسسات المملوكة للدولة، والسعي من أجل توسيع قطاع الدولة والتفكير بتأميمات جديدة، ومواجهة نشاط من أسمتهم الصحافة الديمقراطية في الغرب بأسياد العالم الجدد الذين يقفون على رأس امبراطوريات المال والاعلام ويتمتعون بسلطات فعلية، وإن كانت مخفية ،تتجاوز سلطات الحكام المنتخبين، وضمان توزيع مسئوليات إدارة الاقتصاد بصورة ديمقراطية، على كل الذين يشاركون في عمليات الانتاج والتبادل على قاعدة التسيير الذاتي. ويبدو لي بأن **الديمقراطية في مجتمعات تلك البلدان ستبقى منقوصة ما لم يجر إقرار مبدأ التعدد الثقافي** ، الذي يفرضه تنوع تركيبتها السكانية، وما لم يتم الاعتراف بالحقوق الكاملة للعمال المهاجرين وعائلاتهم ،ويجري تقليص الهوة القائمة بين الثقافة العالمية والثقافة الشعبية.

***

والآن ،كيف يمكن النظر إلى مستقبل المشروع الاشتراكي في بلداننا العربية؟.

وإذا كانت الاشتراكية مشروعا لتطوير الحداثة، فعلينا الاقرار ، باديء ذي بدء ، أن بلداننا لم تقطع شوطاً كبيرا على طريق الحداثة، وأن التحديث الذي جرى فيها بقي ، في الغالب ولعوامل كثيرةداخلية وخارجية،تحديثا برانيا لم ينفذ إلى جوانية المجتمع **فإلى الآن، ما تزال مجتمعاتنا العربية تشكو من غياب دولة القانون، وتئن تحت وطأة قوانين الطوارئ وتعاني من ضعف تأثير العقلانية في الفكر والسلوك ومن استمرار التداخل بين الديني والسياسي ومن تغييب الحريات العامة والفردية واستمرار الانتهاك لحقوق الانسان**.وهذا الواقع، يفرض على أنصار الاشتراكية في بلداننا أن يفردوا مكانة خاصة في مشروعهم لمهمات اقامة دولة القانون والغاء القوانين الاستثنائية وتحقيق الفصل الكامل بين السلطات ،وكفالة حقوق الانسان، ولاسيما حقوق المرأة ،والاعتراف بتعددية الأديان والقوميات، وإقرار مبدأ التداول السلمي ، والاحتكام إلى سلطان العقل وفصل الدين عن الدولة ،وتأمين حرية الصحافة واستقلالها ، بما في ذلك حرية وصولها إلى المعلومات ،وتوفير شروط قيام اعلام موضوعي ، ورفع الوصاية التي تفرضها الدولة على النقابات والمنظمات الجماهيرية الأخرى.

إن النجاح في تحقيق هذه الاهداف ،والتي لا يمكن تصورحداثة من دونها ، سيسبغ على

الانسان العربي صفة المواطنة، بحيث يصبح قادرا على التمييز والاختيار، وسيوفر شروط قيام ديمقراطية تمثيلية ، تتناسب أشكالها مع خصوصيات واقعنا، الأمر الذي سيطلق بدوره في مراحل لاحقة سيرورة الانتقال من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية المباشرة ، ناهيك عن ان النجاح في تحقيق هذه الاهداف سيحول دون تفكك اقطارنا العربية ويوقف الحروب الأهلية المشتعلة هنا وهناك على الساحة العربية ، ويعلي من شأن الولاء الوطني على حساب الولاءات الطائفية والمذهبية والاثنية. ولا يظنن أحد أن هذه الأهداف لا علاقة لها بمهمات كبيرة، من نوع مواجهة الاحتلال والعدوان الأجنبيين،والتخلص من التبعية والسير على طريق التنمية، بل على العكس تماما فهي ، في ظني ، على ارتباط وثيق بمثل هذه المهمات. تكفي الاشارة هنا إلى أن **شعور الانسان العربي بحريته وكرامته وتمتع المجتمعات العربية بسيادتها سيساهمان في تفعيل عوامل القوة العربية في مواجهة الاحتلال والعدوان، أما الفئات الاجتماعية التي تشكل دعامة التبعية وتحول دون انطلاق تنمية حقيقية، كالفئات الكومبرادورية والطفيلية ، فهي لم تنتعش وتزداد نفوذا وتواصل تبديدها للثروات القومية إلا في غياب دولة المؤسسات والافتقاد إلى العلنية والرقابة والمساءلة.**وفي المقابل فان وجود مثل هذه الدولة سيشجع القطاعات المنتجة من البرجوازية على المشاركة بفعالية أكبر في تنمية اقتصادنا، كما سيوفر مناخاً ملائما لتشجيع الادخار في المصارف الوطنية، ولاستعادة الكثير من الطاقات الاقتصادية والعلمية التي نزحت إلى الخارج وتطوير البحث العلمي ، بوصفه شرطاً للتحرر من التبعية التكنولوجية ، والذي لا يمكن أن يزدهر إلا في ظل الحريات الفردية والعامة. . فبلداننا تمتلك ، في الواقع، من الطاقات ما يؤهلها للتخلص من التبعية وتحقيق تنمية حقيقية، والتحدي يكمن في توفير الشروط التي تسمح بالاستفادة من هذه الطاقات وتجميعها ليس على المستوى القطري فحسب، بل وعلى المستوى القومي كذلك، على اعتبار ان فرص النجاح في تحقيق هاتين المهمتين ستكون أكبر بكثير لو تمت على قاعدة التعاون والتكامل العربيين.

ولا يعني أفراد مكانة خاصة في مشروع أنصار الاشتراكية العربية للأهداف الواردة أعلاه الانتقاص من أهمية النضال من أجل ابراز وتعميق المضامين الأخرى للديمقراطية، فالديمقراطية قيمة انسانية متعددة ومتداخلة المضامين، وسيرورة التراكم الديمقراطي يجب **أن تكون تاليا متعددة الابعاد. وقد عرفت بلداننا العربية، ولاسيما في عقد الستينات ،محاولات لابراز المضمون الاقتصادي والاجتماعي للديمقراطية في حدود معينة وبتأثير تجربة «الاشتراكية الواقعية» . ويمكن أن تشكل هذه المحاولات ، وما أفرزته ، أساسا يستند إليه أنصار الاشتراكية في نضالهم** من أجل الحفاظ على شكل ملكية الدولة، في إطار التعددية الاقتصادية التي باتت امرا واقعا في كل البلدان العربية، والسعي ، شيئا فشيئا ، إلى تحويل قطاع الدولة إلى قطاع عام يعكس حقيقة مصالح العاملين.**وهذا يفرض أول ما يفرض وقف عمليات الخصخصة والتصدي بحزم لعمليات بيع مؤسسات الدولة** ، الذي يوفر فرص العمل لمئات الالوف من العمال والمستخدمين الذين يعيلون الملايين، ويجب أن يبقى حاضراً بقوة في قطاع الخدمات العامة ومسيطراعلى صناعات الاستخراج وتوليد الطاقة وعلى غيرها من الصناعات ذات الطابع الاستراتيجي ، ويظل متحكما بالقطاع المالي والمصرفي، ويبقى له دور فاعل في ميدان التجارة الخارجية. وكي يبرز هذا القطاع مشروعية وجوده، ويكون قادرا على التطور ، لابد من العمل على اصلاحه وتأمين مشاركة عماله ومستخدميه في الاشراف على نشاط مؤسساته، بما يضمن زيادة انتاجيته وتحسين نوعية منتجاته وتطوير قدراته التنافسية من منطلق أن أشكال الملكية العامة، والتي تشكل قابلة لتوليد علاقات انتاج ذات طبيعة اشتراكية وتسرع وتائر التنمية البشرية والاقتصادية ، لن تتجذر وتتوسع وتغلب في المجتمع ما لم تنجح المؤسسات المعبرة عنها في اثبات تفوقها النوعي على المؤسسات الاخرى.**ومن ناحية ثانية، تمثل الملكية التعاونية، التي شاعت في عدد من البلدان العربية، شكلا من اشكال الملكية الجماعية، ينبغي الحفاظ عليه وتطويره في اتجاه انتاجي،**خصوصا في ميدان الزراعة. كما يمكن الدفع في اتجاه جعل الشركات المساهمة أساسا لنشاط القطاع الخاص المنتج. .

إن الحفاظ على أشكال الملكية غير الفردية القائمة وتفعيلها هو شرط لابد منه لمواجهة الازمة الاقتصادية والاجتماعية المستفحلة التي تعاني منها بلداننا العربية ، والتي تتمظهر في تفاقم البطالة وتزايد الهجرات من الريف وتوسع الفئات الهامشية في المدن، كما أنه- أي الحفاظ على هذه الأشكال وتفعيلها- هو مدخل عملية التراكم الديمقراطي في المجال الاقتصادي- الاجتماعي،**وهي عملية يجب أن يكون من أهدافها الحد من الهوة الواسعة القائمة بين أقلية صغيرة، قد لا تتجاوز نسبتها الخمسة في المئة، تمتلك القسم الأعظم من الثروة وبين غالبية ساحقة من السكان تعيش عشرات الملايين منها دون خط الفقر أو تعاني من سوء التغذية** الأمر الذي يفرض اعادة نظر جذرية في السياسات المالية والضريبية بما يضمن توزيعا أكثر عدالة للدخل القومي ، وتأمين تكافؤالفرص والحفاظ على دور الدولة في ميدان الرعاية الاجتماعية.

ويجب أن يكون واضحا أن إنطلاق الديمقراطية كآلية لسيرورة تراكمية طويلة، تعدل موازين القوى لصالح الاشتراكية في بلداننا العربية ، لن يكون ممكنا ما دام الجمهور العريض غير مهتم بالسياسة وما لم يتطور وعي الناس وتزداد فاعليتهم ومشاركتهم في الشأن العام والحياة السياسية .وهو أمر لا يمكن تصوره ما دام البحث الصعب عن لقمة العيش هو الشغل الشاغل للملايين،وما دامت ظاهرة الأمية منتشرة بهذا الشكل الواسع، وما دامت مستويات التعليم تتراجع وما دام هوس الاستهلاك يمتلك النفوس- من يملكون ومن لا يملكون -وما دامت ظواهر الرشوة والتكسب غير المشروع والارتزاق تتحول إلى ظواهر عادية في حياتنا.

إن التحديات كبيرة جدا أمام أنصار الاشتراكية في بلداننا العربية، ولا أحد يستطيع أن يجزم من الآن إن كانوا سينجحون في التصدي لها ونفخ الروح في مشروعهم. ومع ذلك، وما دمنا متمسكين بفكرة الاشتراكية، يصبح من واجبنا أن نحاول.**والمحاولة يجب أن تبدأ منا، وتهدف أول ما تهدف، إلى تحسين صورتنا في مجتمعاتنا وتوثيق علاقاتنا بافرادها**.وعلى هذا الطريق ،علينا ، كي نكتسب المصداقية ، أن نكون ديمقراطيين في حياتنا الداخلية ، وأن نشيع التعددية في صفوفنا، وأن نطور المعرفة العلمية بواقعنا، وأن نزيل الجمود عن خطابنا وأن نعيد وصل ما انقطع في علاقاتنا مع المثقفين ، وأن ننفتح على الحركات الاجتماعية الجديدة وعلى المنظمات الاهلية التي صارت تحتل مكانة مهمة على خريطة العمل الجماهيري العربي ، وأن نبحث، رغم شحة امكاناتنا، عن الوسائل والادوات الكفيلة بايصال افكارنا ومقترحاتنا إلى الكتلة الشعبية الواسعة التي لم يعد في وسع أي طليعة أن تنوب عنها في عملية التغيير.

*** ندوة مجلة«الطريق»**
نحو تجديد المشروع الاشتراكي



عبد الله الطوخى

أن تمتلك النهر.. كل النهر وحدك

د. رفعت السعيد

لكل زمان أساطير عشقه.. ايزيس واوزوريس، وروميو وجوليت، قيس وليلى ولزمان اليسار المصرى **فتحية وعبد الله.**

ومع الأساطير تنبت التراتيل والأغانى والأشعار التى يتخذها العشاق شعاعا يزين العشق ويقتاده نحو سماواته المفترضة.. ولزمان اليسار المصرى هناك بيتان من شعر العشق.

وأقمنا فى تحد عشنا..
لهب أنت ونيران أنا.
فتنة أنت ولولا ثورة..
جمعتنا ما عشقنا بعضنا

وفى ظلال هذه الأحرف نبتت قصص عشق ،ونضال ، وتضحيات .. سجون وعذاب وحب وتألق فيها دوما قصة **عبد الله الطوخى و فتحية العسال.**

** أما قصتى أنا مع **عبد الله الطوخى** فهى قديمه، عتيقه كذلك النبيذ العتيق ، يزداد حلاوة كلما تراكم فوقه الزمن. فى سجن مصر(**١٩٥٣**) التقينا . انتحينا جانبا فى هذه الزنزانة أو تلك لنقطع ليال ممتدة بلا نهاية بحكايات لا تنتهى، بهرتنى ابتسامته المصممة على الارتسام رغم كل الآلام، وكان محدثا مبهرا تقتادك حكاياته لتتابعها بانبهار لا يعرف الارتواء .. بل تظل عطشانا .. للمزيد.

«بلدياتى» فرحت بحكاياته عن بلدته الملاصقة للمنصورة« **ميت خميس»** تذكرت معه أيام الطفولة الجميلة عندما كانت أقدامنا تتمرد على الخط المرسوم الذى ينتهى به الطريق المرصوف على كورنيش النيل بنهاية حديقة «شجرة الدر» والبناء الارستقراطى الملاصق «النادى الملكى» .. تتمرد أقدامنا خطوة أخرى، اثنتين لتصبح فجأة فى قرية ميت خميس الخضره.. شجرة جميز ضخمة (إنها ذات شجرة الجميز التى حكى عنها **عبد الله** فى كثير من كتاباته)..

وما إن تتمادى خطواتنا حتى يتلقفنا صبيه القرية كأنهم يصدون «غزاه» .. أو مغامرين . وتتعثر خطواتنا بالعودة دون أن نكتشف الاسرار المبهرة لهذا العالم المفتون

فتحية وعبد الله.. رغم الاختلاف كان وجع الوطن يجمعهما معا



فتحية العسال .. وبعض صديقاتها

(عبر ليال طويلة كشف لى عبد الله كل ما اشتقت إليه من أسرار).. وكنا نكيل لهم الصاع بعشر.. فما أن يأتى العيد حتى تتدفق جموع صبيان القرية إلى المدينة المبهرة وسوق العيد يستهلكون «العيدية» فى شراء خيزرانه طويلة أطول كثيرا من قاماتهم يحبكون الطاقية على رؤوسهم، وبما تبقى من قروش يلتهمون أشياء مثيرة للدهشة سندوتش طعميه أو قطعة من الحلاوة الطحينية.. وويل لهم منا، إذ نطاردهم بتسمية لم أزل لا أعرف معناها «يا أبو الدلف» ونضحك كثيرا وهم يعرجون، جميعا يعرجون فى مشيتهم. إنه الحذاء الجديد الذى ربما لا يلامس القدم الطليق من أى قيد إلا كل عيد.

ونتلاصق أنا وعبد الله الطوخى فى فترة السجن الأولى .. يمنحنى دفئاً وأخوة.. لم تزل قيمته حتى وإن: «أضحى التنائى بديلاً عن تدانينا».

**

الاسم: عبد الله محمد حمزة الطوخى

تاريخ الميلاد: ١٩٢٦

المهنة: محام- صحفى -فنان- مالك لنهر النيل.

الاسم الحركى: عطية.

الأسرة مستورة .. لكنها تبدو كالاغنياء فى ظل الريف الفقير.. الأرض التى تملكها تمنحها التميز والقدرة على أن ترسل أبناءها إلى المنصورة.. يمشون المشوار الطويل من أقصى المدينة إلى أقصاها حيث «مدرسة المنصورة الابتدائية الاميرية».

والفتى عبد الله يولد بعد وفاة الأب وتصبح الأم.. أماً وأباً، تستثير فيه كل كوامن الرجولة حتى وهو بعد طفل يأمل أن يلقى بظلال «الأب» على البيت المشتاق إلى رجل.

الطفل عبد الله إعتاد أن يضع طرف جلبابه فى أسنانه ويرمح حتى النهر.. تحت الجميزه العجوز المبهرة، يطارد العصافير، تبهره الطبيعة البكر. **فيبدو كمشروع فنان حتى وهو طفل.**

تسرع به الأيام «إخرج يا عبد الله أحرس الغله» وكأن الطفل قادر على حراستها، لكنه يخرج يخيل إليه أنه قادر فعلا.. وانه كبر فعلا، لكنها الام الفلاحه التى تعرف كيف تصنع الرجولة.. والرجال.

ثم .. تنتهى دراسته الثانوية.. ويأتى زمن الحرية.

**

الجامعة هناك فى القاهرة. آن له الآن أن يستمتع بانطلاقاته فى صخب المدينة الصاخبة. كان الطلاب يختارون كلية الحقوق لانها الكلية التى يتخرج منها الوزراء، هو **اختارها كى لا يتقيد بقيود الدراسة. كى يتفرغ لمحبوبته الجديدة القاهرة..** وانغمس فى هوى القاهرة، ويمضى الهوينا فى دراسته دون أى استعجال يعكر صفوه مع معشوقته.

كان الفن يناوشه يجرب أحيانا كتابه القصة القصيرة. أخذ مرة جائزة «**جنيهاً**» فانطلقت به الجائزة إلى مزيد من الاقتراب من الفن.

لكن.. ويل لك إذ تبحث عن الحرية فى وطن غير حر. هو فى قاهرة عام ٤٥-١٩٤٦ **,وتتفجر المظاهرات ويمارس حريته فى الدفاع عن وطنه**. كان فى المظاهرة الشهيرة....**كوبرى عباس**. فتح الطغاة الكوبرى.. ووقف الهجانه وصفوف العسكر بالشوم والرصاص فى المواجهة. والكثيرون ألقوا بأنفسهم إلى النهر.. البعض تدافع نحو الرصاص. هو تسحب من بين الاقدام ليخرج بجراح يعتبرها أوسمه لحريته.

ومن المظاهرات .. إلى المناقشات الصاخبة، ويشتبك معه فى حوارات صاخبة مع واحد من أعز أصدقائه «**أحمد الرفاعى**».. يستدرجه إلى صديق آخر «**زكى مراد**» تحتدم المناقشات يريدان أن يدخلاه قفص السياسة، هو يقاوم بكل قوة، يريد لنفسه أن يظل حراً دو قيد. هما شيوعيان. هو ليس ضد المساواة والدفاع عن الفقراء لكنه لم يشبع بعد من معشوقته «**حرية الانطلاق**» وأين فى ردهات القاهرة التى يتجدد عشقها دوما. ذات يوم نجحا فى أسره. أتاهم مستلسما راضخا متنازلا وبرضاء تام عن كل اعتراضاته. أطلق عليه **أحمد الرفاعى** قذيفه احتوته تماما. رواية «**الأم**» لمكسيم جوركى.

سحره عالم **جوركى**، منحه جنونا رائعا. تمنى أن يصبح ثوريا مثل «**بافل**».. وتمنى أن يسجن مثله، ان يعذب مثله، كى يصبح إنسانا مثله.. **وأصبح للحرية مذاق خاص، ان تدافع عن حرية الشعب والوطن.** وفتح **جوركى** أبواب رومانسية الثورية المبهر لتحتوى الفتى المتمرد، تبهره بعطرها المميزه، وتقتاده سعيدا نحو عوالم رائعة. هكذا كما يقول هو «وجدت نافذة أطل منها على حياة جديدة».

وانطلق **عبد الله** فى غمار الفعل الثورى

، فى وطن كان يموج بالثورة المتدافعة والتى تدفقت دواماتها لتنسى الشاب المفتون برحيق الشيوعية؟ كل شئ وأى شئ إلا النضال.

ومن تنظيم **«نحو حزب شيوعى»** (نحشم) إلى الوحدة مع **حدتو** .. وانطلق مع **حدتو** انطلاقاتها الجماهيرية الدافقة، وانغمس معها فى أمواج فنانيها المبدعين، وفى غمار النضالات اليومية (مظاهرات ، مؤتمرات ، اجتماعات ، ملصقات ، منشورات) تصادم مع البوليس .. سجن يوما ، يومين ، احتجز فى الاقسام .. لكن التصادم الاكبر يقع.

**

القصة غريبة تصلح فيلما عربيا من طراز افلام حسن الأمام.

شهدى عطيه كان يقضى فترة العقوبة فى سجن عادى سجن طره تعرف على سجين (غير عادى) اسمه **فتحى ابو طالب** ، جنده للحركة الشيوعية، انطلق فتحى لينشر الشيوعية فى رحاب سجن طره وشكل خلايا عديدة ، والسجين غير العادى اكتسب شهرته من محاولات هرب مثيرة للدهشة (تحولت واحدة من هذه المحاولات الى فيلم عربى آخر) وهرب **فتحى أبو طالب** من سجن الاستئناف (قال لى يوما : كلما كان السجن شديد الحراسة كان الهروب أسهل) ومارس فتحى أبو طالب الهروب على طريقته، عيناه اليقظتان لاحظتا أن طعاما أسبوعيا يصل (من الحزب) إلى **شهدى** فى السجن. الطعام ملفوف دوما فى أكياس ورقية «عبد الباقى عمر» قمصانجى -شارع خيرت- السيدة » فهم دونما حاجة إلى ذكاء ان هذا الرجل شيوعى. ذهب إليه، رواغ كل منهما الآخر. اخيرا أخذه **«عبد الباقى عمر»** إلى المسئول وأخذه المسئول إلى بيت **عبد الله. الفكرة لا بأس بها عبد الله** محام ومن هنا يمكن اتخاذ مبرر قانونى . الهارب أتى للمحامى يستشيره.

جلس الهارب من سجن طويل يستمتع بهواء الشارع فى بلكونه المحامى، لكن شقيق سجين زميل لفتحى يراه (كان بالمصادفة السينمائية جاراً لعبد الله) ويأتى البوليس محملا بأسطورة نسجها السجناء واستمتع رجال الأمن بادعاء تصديقها .. الشيوعيون ساعدوا فتحى على الهرب كى **يغتال محمد نجيب** (كنا عام ١٩٥٣) الضابط سأل **عبد الله** .. فتحى أبو طالب عندك . اجاب : نعم فكيف ينكر وهو بالدخل . دخلوا . فتشوا ، لم يجدوه . أفلت كالقرد هبط على المواسير حافيا. انطلق إلى المكوجى المجاور صارخا وابور الجاز طق فى البت هات شبشب علشان أجرى اجيب الاسعاف.. أخذ شبشب المكوجى ثم تهادى فى شوارع القاهرة . (قال لى **فتحى** بعد ذلك عندما تدخل أى بيت إبحث لنفسك على طريق للهرب وادرسه جيدا ولا تترك شيئا للمصادفة) **لكن البوليس حفظها لعبد الله . وسرعان ما قبض عليه ضمن حمله قبض واسعة.**

**

لكن الحديث عن **عبد الله الطوخى** لا يكتمل إلا بالحديث عن **فاطمه** .. واسم الدلع **فتحية** فتاة، فاتنة، حلوة، عفريته تنطلق أمامه فى مرح منطلق. تعلق بها. تزوجها . لم تكمل تعليمها الابتدائى . بالكاد تفك الخط اقتاد خطاها نحو بحار الثورة .. ونحو بحار المعرفة (من حبها له نسجت اصراراً غريبا تعلمت. كتبتت . قرأت .. حتى أصبحت الآن واحدة من أبرز كاتبات مصر).

تزوجا..أقمنا فى تحد عشنا.. لهب أنت ونيران أنا.

وعندما سجن كانت **فتحية** زيتا لمصباحه تزوره كل يوم . كل يوم .ومن أجلها نصب **عبد الله** من نفسه مندوبا للشيوعيين لتنظيم الزيارة.. ينظم زيارات الآخرين ويستمتع بزياراتها اليومية.

سنوات السجن تمضى.. وينطلق الطير من جديد ليجد **فتحية** فى انتظاره.

وأقرأ معكم أسطرا من كتابته «بخروجى من السجن بدأت مرحلة جديدة من حياتى، وعرفت معنى الشعور بأن يولد المرء فى حياته

لقاء تحت الحصار وحديث عن الدولة الفلسطينية



الحرية .. أن تدافع عن حرية الشعب والوطن

مرة ثانية.. **لقد ظللت لفترة طويلة أحس بالغرابة أني حر طليق، وان في إمكاني أن أنهض وأفتح باب شقتي وأخرج إلى الشارع»** .. إن تجربة السجن لم تعد تجربتي وحدي ، بل تجربتها هي أيضا، واننا نحن الاثنين بتنا شريكين كاملين في التجربة بنارها ونورها»(دراما الحب والثورة).

أول قرار اتخذه بعد الإفراج عنه أن يتخلى عن مهنه المحاماة، وان يتفرغ للكتابة .. «فاض قلبي بكراهية هذه المهنة .. ألهث كل يوم وراء عالم برجوازي قح لا تزدهر فيه أحوال المحامي إلا بازدهار المشاكل بين البشر ، بينما أنا في الأصل أحلم بيوتوبيا الاشتراكية التي أساسها المحبه والتعاطف بين البشر»(دراما الحب والثورة).

«تركت المهنة غير نادم ولا أسف.. راسما مستقبلي على أن أكون كاتبا. وبالذات أديباً أدباً مشحونا ومبشرا بالقيم الثورية والانسانية».

وخاض طريق الفن حتى أعلى قممه .. العالية.

***

وأتوقف عن الكتابة مستشعرا الحيرة . كيف وكم من الصفحات أكتب عن عبد الله وهو الذي صنع تجربة مثيرة للدهشة تحتاج الدهشة وحدها صفحات وصفحات حتى تفك رموزها.

يقول **اميل لودفج** «لا تحاول أن تصف الجبل» فكلما تواصلت في الوصف وجدت ما يحتاج إلى مزيد من وصف.

وهكذا حالي الآن مع عبد الله.

كيف أتواصل مع الكتابة .. وكتاباته وحدها آلاف الصفحات حكى فيها بقدرته الرائعة على المسامرة حكايات عن نفسه وعن فتحية تحتاج إلى مجلدات وكل منها مبهر.. ورائق ويستحق أن يروى.

هل أحكى عن الفنان الذي قطع شوارع العاصمة وأرقتها آلاف المرات محملقاً في الوجوه باحثا عن كلمات تصلح لوضعها.. يقول«كنت أجلس في الاجتماعات الحزبية ، أسرح بعيدا عن الحديث أتأمل الوجوه وتفاصيلها، متسائلا كيف أصف هذا الشارب وهذه الشفاه في قصتي المقبلة».

أم عن قصته مع معشوقته الاخرى «**روزاليوسف**» التي أحبها وتعذب بها. عين فيها صحفيا .. هي تريد موضوعات صحفية.. يرضخ ، يكتب ثم ينفجر ضدها وضد نفسه ، ماله‌ذا تفرغت للفن، **هو يريد شيئا غير عادي.. وويل للفنان من طموحه غير المعتاد**.

أم عن أحلامه .. هذا الولد الريفي الساذج دوما، والذي استحم في القاهرة حتى نخاعه لم يزل يصدق الاحلام ويحاول تفسيرها بل هي تقتاده وتقوده.. وتفعل به ذلك حتى الآن. ينام ، يحلم، تورقه احلامه ، تفزعه ، تنفجر في وجهه ، وتضجره وأحيانا ترسم له خطط حياته. وحتى الآن وبعد أن شاب كل شعره وكتب كل ما كتب يكتب حمله غريبه«دائما تصدق أحلام ما قبل الفجر».

أم عن جنونه. هذا الرجل المجنون بالنهر يقرر أن يعيش فيه ومعه وله. وفي مركب يقطع النيل إلى أسوان.. ويتواصل في رحلات عدة حتى نبع منابعه. هذا الرجل تعامل مع النهر كأنه قد ورثه وحده عن أبيه ، ليس شوقا ولا مغامرة ولا بحثا عن خبطة صحفية، بل عشق عاشق، عشق من ذلك النوع الذي يدفعك إلى أن تمتلك ما تعشق.

أم عن رواياته وقصصه ومسرحياته.

كم أنت متعب يا عبد الله.

***

دعوني أحكي لكم حكايات عشقه.

عشق الحزب لكنه ابتأس من الانقسامية التي وصفها بأنها «فيروس» لاشفاء منه. ترك الحزب لكنه ظل متيما بعشقه وعشق عاشقيه.

عشق النهر.. فامتلكه ، لكن ويل لمن يعشق النهر ،ويحاول الكتابة عنه.. فمهما كتب يبدو مقصراً وكلماته الرائعة عن النهر تقطر اعتذاراً بأنها لا تفي بحق المعبود. وهل رضى العاشق يوما عن كلمات عشقه.. دوما يعتبرها غير لائقة .. وغير قادرة.

أم أحكي لكم عن حكايته مع **فتحية** . نسجا معاً حياة رائعة . إنطلقا معا في ربيع الفن الملهم.ثم بدأ يكتشف أنها تخوض تجربة العمل السياسي من أبوابها الخاصة. فزع . وحاول . ورضى. واقنع نفسه بأن هذا حقها . وقاوم .. وتصادم.. ورضى.

اختلفا في الموقف السياسي من **عبد الناصر** ومن **السادات** .. ومن مسألة السلام.

يقول عبد الله في الحوار معه« الفن والكتابة أنقذا حياتنا.. فالسياسة قد تفرق لكن الفن جمعنا وربط بيننا».

وبرغم الاختلاف في المواقف كان وجع الوطن يوجعهما معاً ويربطهما معا.

ايام النكسه أحس بأن روحه تهرب منه: كنت أنام على السرير متمنيا أن يهبط بي إلى لا رجعه» . لكنه بحسه الثوري أدرك واجبه رفض دعوه **صافيناز كاظم** لمقاطعة الكتابة. الكتابة اليوم أكثر ضرورة لمداواة جراح الوطن ورفض شماتة «**أحمد فؤاد نجم**«يا ما أحلى رجعه ضباطنا من خط النار» أوجعته هذه المواقف وانطلق يكتب ويكتب ليمنح مصر أملا في غد يتحقق فيه النصر.

ثم تفجر الخلاف بينه وبين فتحية عميقا.

هي تنطلق باندفاع إلى دروب النضال ضد **السادات** .. تنتمي للتجمع . تمارس نضالا متواصلا ضد زيارة السادات للقدس **وضد كامب ديفيد** هو أيد (من منطلق رومانسي يسعى للسلام بين البشر) كتب رواية عن جنديين التقيا في خط النار مصري واسرائيلي ، أدار بينهما حواراً إنسانياً تغلفه رومانسية مترفعة على المواقف الآنية. ما أن يتفقا على ضرورة السلام حتى يأتي الجيش الاسرائيلي تكتمل اللوحة الدرامية.. الجيش يقتل الاثنين: المصري والاسرائيلي معا ويجهض نبت السلام.

لانه لم يزل يعشق الحزب ذهب بروايته إلى **زكي مراد** . زكي أعجب بالرواية قائلا: **هذا سلامنا وليس سلامهم** وطبعت الرواية لتثير ضجيجا. إنسابت بين صفوف اليسار همسات «عبد الله كتب رواية تؤيد كامب ديفيد» وهاجموه دون أن يقرأوها .(هو وحتى الآن يندهش لخلطهم بين السلام كفكرة يتطلع نحوها البشر وبين كامب ديفيد.. ويقول في حواره : كانوا يهاجمونني. قال أحدهم اليهود يقتلوننا ولا يقتلون يهوديا. **ها هم قتلوا رابين** . يسرح ويبتسم أكثر فهو مبتسم دائما ويقول: الغريب فتى الرواية كان اسمه رابين).

كانت الرواية حاجزا يتمدد بينه وبين فتحية.. تصارعا معا.. تخاصما .. انفصلا ثم جمعهما قطار العشق الابدي للوطن.

فعبد الله يظل دوما رجل مواقف. عندما حاصر الاسرائيليون بيروت وبدأ الناس يغادرونها . ذهب هو.. إلى قلب النار ذهب. قال له صديق مصري« الناس تخرج وأنت تأتي ٩٠٪ ستموت هذه المرة» لكنه كان يكافح اليأس بابتسامته.. بصلابته وهناك وعلى ضوء مخبأ تحت الأرض اجرى حواراً مع **عرفات**. قال له **عرفات** وكأنه يقرأ الغيب**أعطني رفح .. أو أي قطعةأرض أقيم عليها دولة.. وأبدأ رحلة نضال جديد».**

المثير للدهشة أنه هناك.. التقى بفتحية اقتحمت هي أيضا الحصار مع وفد من الفنانين المصريين.

**

آه يا **عبد الله** . لا حيلة لي معك. ولا حيلة لي مع الصفحات التي تفرض عليّ حدودها المحددة.

.. لا حيلة لي. سوى أن اتوقف. راجيا ان تغفر لي أي تقصير. فأنا بالقطع .. مقصر.

لكني لم أزل اتخيلك مبتسما كعادتك صاخبا بشعرك الابيض، مشاكسا **فتحية** .. وتصيح معها..

أقمنا في تحد عشنا..
لهب أنت ونيران أنا
فتنه أنت ولولا الثورة..
جمعتنا ما عشقنا بعضنا.

رحيق السنين

يو.. إف.. أو

الأجسام الطائرة المجهولة الهوية

كأنما ليس فينا ما يكفينا من كم الدجل والخرافات، فاذا ببعض كتابنا ومفكرينا يستوردون إلينا في ظل سياسة آليات السوق والخصخصة، وفتح باب الاستيراد على مصراعيه، عفاريت آخر مودة من صنع دجالي الغرب، وإذا ببعض علمائنا ممن فشلوا في إضافة سطر واحد إلى أدبيات العلم العالمية، يشاركون بالرقص في هذا الزار القبيح المقزز، وإذا بنا نقتنع أن أهرامنا، أروع ما بقى من تراثنا، ليست من صناعة جدودنا، بل من صناعة عفاريت من زوار الفضاء.

د. سمير حنا صادق

وقصص الأجسام الطائرة المجهولة الهوية Unidentified Flying Object (UFO) والأطباق الطائرة FLYING SAUCERS والزوار من العالم الخارجي كانت ولا زالت موضوعا مسليا في الولايات المتحدة الأمريكية ومصدراً أساسياً لقصص أفلام هوليود المثيرة بداية من «أي تي» إلى **«يوم الاستقلال»** ، **ولكنها كحقيقة موضوعية قد حسمت في رأى العقلاء** في مقولتين نسردهما أولا ثم نناقش التفاصيل فيما بعد:

أولا- يعتقد أغلب المشتغلين بالفلك وبعلوم الفضاء أن إمكانية وجود حياة خارج كوكب الأرض هي بالحساب الدقيق إمكانية كبيرة جدا. فلابد ، ما دامت هناك آلاف البلايين من النجوم والكواكب، من وجود بعض الأجرام الفضائية التي تتوفر فيها الظروف التي تسمح بنشأة الحياة. ولكن **الاتصال بهذه الحياة الخارجية مسألة أخرى.** إذ أن معظم المجرات الموجودة في الفضاء الخارجي تبعد عنا بالآف السنين الضوئية، وسرعة الضوء هي الحد الأقصى لأي سرعة، وعلى هذا فان الاتصال المباشر (عن طريق الانتقال) بهذه الأحياء، إن وجدت ، عملية شبه مستحيلة . ولكن، من الممكن نظريا على الأقل، محاولة إرسال أو تلقي موجات باشارات لاسلكية تختلف في نظمها عن الاشارات العشوائية، مما يثبت أنها «مصنوعة» بعقل يفكر، ولقد بدأت هذه المحاولات (للإرسال والاستقبال) منذ عقدين ثم توقفت لفترة قصيرة لعجز في الميزانية- رغم أن تكاليفها لا تزيد عن ثمن دبابة حديثة- ثم عادت إلى العمل بجهود فردية ولم يحدث أي اتصال حتى الآن.

ثانيا:- إن كل ادعاءات مقابلات مع زوار من الفضاء الخارجي، أو مشاهدات لاطباق طائرة ، قد ثبت كذبها.

وقد عقد رجال سلاح الطيران الأمريكي مؤتمرا صحفيا أوضحوا فيه أن جانبا كبيرا من هذه المشاهدات ، قد حدث نتيجة لتجارب للسلاح في منطقة معينة من الولايات المتحدة رسنفصل الموضوع فيما بعد.

وهكذا ، انتهت في أمريكا بين العقلاء على الأقل، أسطورة الأطباق الطائرة وزوار العالم الخارجي.

ولكنها، كالعديد من غيرها من أمراض حضارة آليات السوق المعاصرة، قد انتقلت إلينا لتمد جذورها في أرضنا ، ولتبقى.

**

ظهرت إفادات رؤية الأجسام الطائرة مجهولة الهوية في **الولايات المتحدة** وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية وتركزت هذه الافادات في مناطق معينة . كان أبرز هذه الافادات في منطقة روزويل ROSEWELL,NEW MEXICO في عام ١٩٤٧ ، فقد أفاد سكان هذه المنطقة بمشاهداتهم ، مع تهديدات من شخصيات عسكرية بعدم التحدث عنها.

اتسع نطاق القصص، وازداد عدد« **المشاهدين»** ، بل وظهر بعض **«المخطوفين»** وسنتحدث عنهم فيما بعد، ونشرت الكتب والمقالات، وظهرت بعض الصور وأنشئ متحف يسافر إليه سكان الولايات المتحدة زوار البلدان الأخرى لرؤية «آثار» هذه الأطباق وركابها.

وبلغت تقارير مشاهدات هذه الأطباق منذ بدأت حتى الآن ما يزيد عن مليون مشاهدة في الولايات المتحدة وحدها. **ولوحظ أن أعداد هذه المشاهدات ترتفع بعد أحداث معينة**، فبعد إطلاق القمر الصناعي الروسي **«سبوتنيك»** تضاعف عدد المشاهدين عدة مرات. وبعد تجارب إطلاق الصواريخ كما سنوضح فيما بعد، ازداد أيضا عدد المشاهدين.

ثم ظهرت الحقيقة كاملة في شهر **يوليو ١٩٩٧** . فقد عقد **سلاح الطيران الأمريكي** مؤتمرا صحفيا مطولا مليئا بأفلام الفيديو والصور الموضحة، أوضح فيه المتحدث الرسمي أن **مشاهدات روزويل قد نتجت عن تجارب أجريت في معسكر مجاور للبلدة لتجربة مجموعة من بالونات التصنت والتجسس بمشاريع تحت أسماء مختلفة(سكاى هوك، موجول، موبى ديك، جراند سون)** وأن هذه البالونات ، كما وضح من الصور ، تظهر من أسفل وكأنها أطباق طائرة وأن استجابتها لتيارات الهواء، كان يظهرها وكأنها تحلق وتغير اتجاهاتها بقيادة ملاحيها. وظهر أيضا أن سلاح الطيران كان يلقى في هذه التجارب

«عفاريت» آخر موضة.. من صنع دجالى الغرب

الصلة بين عمليات والتجسس والصواريخ.. والاجسام الطائرة

٢٥٪ من سكان الأرض يمرون بحالة «هلوسة» فى حياتهم

أجساما مشابهة للأجسام البشرية فى محاولة لدراسة أثر السقوط على الجسم. وظهر أيضا أن العسكريين من العاملين بالمنطقة كانوا يهرعون إلى أماكن هبوط هذه الأجسام لجمع أشلائها ولدراستها وللمحافظة على سرية العملية.

لم يكن الموضوع يحتاج إلى مؤتمر سلاح الطيران الأمريكى، فبين أكثر من مليون مشاهدة يو. اف. أو. منذ عام ١٩٤٧، لم يثبت فى أى واحدة منها أنها لم تنتج عن سوء الفهم، أو الادعاء الكاذب، أو الهلوسة. **فكل هذه المشاهدات تثير تساؤلات عديدة وهامة، ولعل أهم هذه التساؤلات وأوضحها هو ولماذا فى الولايات المتحدة فقط؟** لماذا اصطفى زوار الفضاء الخارجي بعنصرية واضحة الولايات المتحدة ليخصها بزياراته؟ لماذا لم يشاهد ملايين من سكان المناطق البعيدة عن المدن فى**مصر** حيث السماء صافية، وحيث «يحلى السهر» بعض هذه ال «**يو. اف. او**»؟.

لم تكن تجارب «**روزويل**» هى المصدر الوحيد لرؤية هذه الأجسام، فقد انتشر استعمال البالونات فى سلاح الطيران الأمريكى لأغراض غير التصنت، منها مثلا لدراسة الأحوال الجوية، ومنها كعاكس للرادار، ومنها للتصوير عن بعد، ومنها للتجسس، حيث كانت تطير منها الالاف على حدود الاتحاد السوفيتى قبل استعمال الطائرة **يو٢** التى حل محلها بعد أزمة اسقاطها استعمال الاقمار الصناعية.

ولعل أغنى فترة بوفرة المشاهدات هى الفترة التى بدأ فيها سلاح الطيران الأمريكى دراساته عن تحويل وسائل حمل الأسلحة الذرية من الطائرات إلى الصواريخ، فقد كانت العقبة الأساسية فى هذه العملية هى مواجهة مشاكل عودة دخول مقدمة الصاروخ (الجزء الحامل للسلاح الذرى) إلى الغلاف الجوى، بما يصاحب هذه الدخول هذه من ارتفاع هائل فى درجة حرارته يؤدى إلى تحطيمه بل وتبخيره تماما. وقد تمكن سلاح الطيران الأمريكى بعد إجراء آلاف من التجارب الفاشلة من اجتياز هذه العقبة باستعمال مواد خاصة مقاومة للحرارة وبتعديل زاوية الدخول إلى المجال الجوى. ومن المؤكد أن **المحاولات الفاشلة كانت مصدراً للعديد من مشاهدات ال «يو. اف. أو»، بل ولعل الادارة الأمريكية قد شجعت تغطيته لهذه التجارب ولفشلها، هذه الأوقاويل عن الأطباق الطائرة.**

**

ولكن، لعل حكايات الاختطاف إلى الأطباق الطائرة أكثر إثارة من افتعال مشاهدة هذه الأطباق ولقد تعدى تعداد هذه الأقاصيص فى أمريكا فى السنوات الأخيرة الآلاف. ويحسب العلماء أنه إذا صحت هذه التقارير، وإذا لم يكن لدى زوار الفضاء تمييز عنصرى فى من يختطفونه، فانه لابد أن ملايين من سكان العالم قد اختطفوا ثم عادوا خلال النصف قرن الأخير.

ويتحدث أغلب **المختطفين** (بفتح الطاء طبعا) عن تغمية عيونهم، ثم أخذهم إلى مركب فضاء، حيث يزال غطاء العين ويحدثهم الزاور وهم عادة لهم رؤوس كبيرة وأجسام صغيرة، وعيون جاحظة، عما يمر به العالم الآن من الأزمات، ثم يأخذون منهم عينات من السائل المنوى للذكور، ومن المبايض للإناث بدون فتح البطن.

ويلفت العلماء الدارسون لهذه الظاهرة النظر إلى أنه:

أولا:- يتحدث زوار الفضاء دائما عما يحيط به العالم من مشاكل فى فترة الاختطاف، فلقد كان الحديث أولا عن الحرب الذرية، ثم أصبح عن ثقب الأوزون ومرض الإيدز. ويتساءل العلماء، إذا كان هؤلاء الزوار قد بلغوا ما بلغوه من تقدم علمى فلماذا لم يتحدث أحدهم عن ثقب الأوزون قبل اكتشافه أو عن مرض الايدز قبل معرفة سبل انتقاله؟.

ثانيا:- يتحدث المختطفون عن أجهزة علمية طبية فى الأطباق الطائرة، ولكن هذه الأجهزة (ميكروسكوبات وخلافه) لا تختلف عما يشاهد فى مستشفى أرياف فى إيريكا.

ثالثا:- ما يذكره المختطفون عن خرائط الكواكب التى شاهدوها فى الأطباق الطائرة لا تختلف عما درسوه فى المدارس من خرائط حتى وإن كان قد ثبت خطأها.

رابعا: يماثل شكل المختطفين(بكسر الطاء) حسب وصف المختطفين (بفتح الطاء) ما شوهد فى أفلام زوار الفضاء.

خامسا: ويتساءل العلماء، إذا كان فى مقدور هؤلاء الزوار أن يمروا من خلال الأجسام الصلبة (كما وصفهم البعض) وإذا بلغوا من التقدم شأوا كبيرا، فلم يتعبون أنفسهم فى هذه العمليات الساذجة؟ لماذا لا يستولون على إحدى محطات إذاعة التلفزيون ويذيعون منها بيانا يحققون به أغراضهم؟ لماذا هذه العمليات الساذجة بأخذ عينات من السائل المنوى والبويضات؟ لماذا لا يستنسخون إنسانا كاملا؟.

كان أول لقاء مزعوم بين البشر وبين زوار الفضاء فى كاليفورنيا، وكان المختطف شخص يدعى«**جورج ادامسكى**» يمتلك مطعما صغيرا بجوار أكبر تلسكوب فى العالم على جبل بالومار Palomar Mountain وأطلق ادامسكى على نفسه لقب أستاذ Professor وركب تلسكوبا بسيطا خلف مطعمه، ونشر عدة كتب عن لقاءات مع زوار فضاء يلبسون أردية بيضاء واسعة، ولهم شعر طويل أصفر، وتحدث عن أنهم جاءوا من كوكب الزهرة. ولكن، لم يكن العالم يعرف فى ذلك الوقت ما نعرفه الآن، وهو أن درجة الحرارة على سطح كوكب الزهرة لا تسمح بوجود أى حياة!! وأنهالت بعد هذه الحكاية التقارير عن زوار العالم الخارجي.

وجانب كبير من هذه الحكايات طبعا من المرتزقة ولكن هناك جانب آخر لابد أن نعترف به: **إذ يقدر المشتغلون بالعلوم النفسية أن حوالى ٢٥٪ من الجنس البشرى يمرون أثناء حياتهم بفترات من الهلوسة Hallucination يسمعون أو يرون فيها ما لا وجود موضوعى له. ولعل هذا** يمثل جانبا كبيرا من اللقاءات مع زوار الفضاء.

**

وهكذا.

وكأنما لم يسمع بعض كتابنا وعلمائنا الحكمة الشعبية التى تقول «إللى فينا مكفينا» فانهالوا على ما بقى من عقول شعبنا تحطيما وتلويثا.

حرام والله.

رياضة

بيليه.. الإنسان المتواضع

- **أنا وزير لخدمة الرياضيين الفقراء فى البرازيل**
- **ليس هناك خلاف مع الفيفا.. ولكن نسعى لانقاذ الكرة البرازيلية من المفسدين**
- **الكرة المصرية وضعها غريب لعدم وجود التنظيم الذى يخدم تطورها**
- **كرة القدم فى معظم دول العالم أنجح المشروعات الاستثمارية**

إنسان بسيط جداً.. بل أكثر تواضعا من أى لاعب كرة «على قدحاله» من بتوع الاحتراف الوهمى فى مصر.. ولو اتيح لك عزيزى قارئ اليسار أن تلتقى به وتبادله الحديث.. ستكتشف أنه يجمع بين قمة التواضع وقمة العبقرية.. وتعرف من خلال اجاباته على محدثيه الاخرين أنه يجيد ثلاث لغات غير البرتغالية.. وصاحب فكر مرتب وواضح.

أنه **أديسون آرانتيس دونا سيمنتو** .. الشهير **ببيليه**.. وصاحب الالقاب الكثيرة التى اطلقت عليه تقديراً لموهبته الكروية الفذة وتاريخه الحافل ودوره البارز فى تربع منتخب بلده على عرش بطولة كأس العالم للمرة الثالثة فى المكسيك. انه ملك الكرة.. الفنان الساحر.. الأسطورة.. الجوهرة السوداء..**ورغم اعتزاله اللعب منذ ربع قرن تقريبا ما زال اشهر شخصية رياضية فى البرازيل** .. وتوليه منصب وزير الشباب والرياضة فى بلده لم يضف إليه شيئا.. ولم يغير من شخصه البسيط المتواضع بل زاد من تواضعه.

فى حفل الغذاء الذى دعا إليه **البنك الأهلى المصرى** باحد الفنادق الكبرى المطلة على النيل.. استجاب **بيليه** للدخول مع الإعلامين الموجودين فى حوار مفتوح وأجاب بصدر واسع على كل ما طرح من أسئلة ولم تقتصر على كرة القدم واحدث ما وصلت إليه فى العالم .. والبرازيل.. **وانطباعاته عن الكرة المصرية خصوصا وان هذه هى الزيارة رقم ٣ .. التى يحضر فيها** الأولى عام ١٩٦٠ مع منتخب البرازيل ولعب ثلاث مباريات مع منتخب مصر.. والثانية مع **فريق سانتوس** الذى لعب مع الأهلى وفاز عليه بخمسة أهداف نظيفة.. أحرز منها هدفين. والأخيرة.. وهو يتولى منصب وزير الشباب والرياضة.

ورغم أن زيارته الأخيرة لحضور المباراة النهائية لبطولة الناشئين تحت ١٧ سنة كانت بدعوة من إحدى الشركات الراعية.. إلا أن **هافيلانج رئيس الاتحاد الدولى «الفيفا»** البرازيلى الجنسية.. أعلن عن غضبه الشديد لتواجده فى هذه المناسبة وطلب من اللجنة المنظمة العليا ألا يكون لوجود **بيليه** دور فى مراسم تسليم الكئوس والميداليات.

ورغم علم بيليه بذلك.. وأنه استقبل بشكل رسمى كوزير للرياضة فى البرازيل.. وهذا ما فعله الدكتور **عبد المنعم عماره** لتجنب حدوث أى صدام بينه وبين **هافيلانج** ورجال الاتحاد الدولى.. لم ينعكس ذلك على وجهه.. خصوصا وان حفل الغذاء هذا كان فى نفس يوم إقامة المباراة النهائية.

فالابتسامة لم تفارق وجهه فى كل اجاباته على محدثيه .. والحق كان شديد التجاوب لاسئلة الاعلاميين الموجودين .. صحفيين واذاعيين ومعلقين.. ولم يتأخر لحظة فى تلبية رغبة كل الذين طلبوا.. التقاط الصور التذكارية معه.

بداية وبصراحة شديدة قال **بيليه .. أنا لم أحقق ما أتطلع إليه من طموحات لتطوير الرياضة بصفة عامة فى البرازيل.. كوزير مسئول** والسبب فى ذلك يرجع إلى نقص الامكانات المادية بشكل كبير.. فالميزانية المخصصة لوزارة الشباب والرياضة لم تتعد عشر المطلوب.. وهو وضع لا ينفصل عن الوضع المالى للدولة والديون الكبيرة التى تعانى منها وتنعكس على الحياة فى البرازيل.

* إنه لشرف لى.. ولكل رياضى.. أو شخصية عامة أن يكون سفيراً شرفيا من قبل الأمم المتحدة.. وهو **المنصب الذى شرفت به**

حسن عثمان

من منظمة الصحة العالمية .. لقيادة حملة القضاء على مرض الجزام. فالقيمة الحقيقية لاى انسان أن يكون له دور فى أى عمل يخدم البشرية.

* المشكلة الحقيقية ليست بينى وبين الاتحاد الدولى «الفيفا» كما يحاول أن يصورها مستر «**هافيلانج**» كل ما فى الأمر أننى أسعى لعمل إصلاحات داخلية وقد حصلت من رئيس الجمهورية على إجراء هذه الاصلاحات لتعديل مسار الكرة البرازيلية التى أصبحت تعانى من كثرة المشاكل التى تحاصرها من كل اتجاه.. ومطلوب على وجه السرعة أن نتحرك لانقاذها قبل أن تغرق فى ظل انتشار الفساد الذى تعيشه اتهامات الرشوة للحكام..**وسبب ثورة هافيلانج يرجع إلى دفاعه المستميت عن ريكاردو تكشيرا زوج ابنته ورئيس اتحاد الكرة البرازيلى**.فهل يمكن أن يتصور أحد فى العالم ان **الجماهير البرازيلية العاشقة«للسامبا» هجرت الملاعب بسبب الفساد الذى سيطر على كل شئ**.. وأن الأمر وصل إلي أن يرتدى لاعبو فلامنجو قمصاناً سوداء فى إحدى المباريات احتجاجاً على فساد الإدارة .. التى تسببت فى تراكم الديون على النادى لتصل إلى ٥٠ مليون دولار.

لغة الواثق

أنا وجدت فى منصبى هذا ولقناعتى الشديدة بما يمكن أن أؤديه لخدمه الرياضيين الفقراء وكأنه أراد أن يؤكد عدم تنصله من ماضيه وطفولته المعذبة.. وأيام الفقر الأسود اللعين الذى تربى فى أحضانه.. عارياً .. حافيا.. يداعب الكرة على رمال شاطئ المحيط.. ثم إضطراره لأن يعمل ماسح أحذية ليعين اسرته الفقيرة.. والده الكهل.. وأمه المريضة قبل أن يكتشفوا نبوغه فى هذه المستديرة المجنونة (كرة القدم) ليصبح فى يوم من الأيام **اعظم من مارسها فى التاريخ** وهو اللقب الذى منحه له الاتحاد الدولى«الفيفا» عام ٨٤.

ويؤكد ذلك أكثر بقوله: **فى البرازيل مليون بيليه فقراء** لا يجدون الملعب الذى يمارسون عليه رياضتهم المحببه..ولا يجدون الحذاء الذى يتحكمون به فى مهارات كرة القدم.

نعم هجرة اللاعبين البرازيليين إلى الخارج للعب فى أندية أوروبا.. كان له مردود سلبى على مستوى المسابقات المحلية وكان وراء عزوف المشاهدين عن حضور المباريات وعدم اهتمام التلفزيون بنقلها.. لذلك نحن نسعى أن نضع الحلول المناسبة لمشاكل اللاعبين وتنظيم العلاقة بينهم وبين أنديتهم».

* وتطرق الحديث عن الكرة المصرية..وملاحظاته عليها.. فقال : لى ذكريات لا تنسى هنا ترجع إلى أكثر من ٣٥ عاماً والذى استطيع أن أؤكده من خلال احتكاكى فى الملعب مع لاعبى المنتخب المصرى فى الستينات.. ولاعبى النادى الأهلى.. وهنا التفت إلى **مصطفى عبده** وقال مداعباً.. هل تتذكر إنك تسببت فى اصابتى وابتعادى عن الملعب لأكثر من اسبوعين بعد عودتى لبلدى. واستطرد قائلا:..**اللاعب المصرى لايقل موهبة عن اللاعب فى الدول المتقدمة كرويا.. ولكن الفارق يكمن فى الامكانات .. والتنظيم**.واضاف متسائلا عن السبب الحقيقى لعدم تواجد الكرة المصرية بالشكل الذى يليق على الساحة الدولية.. مثلما هو الحال فى **نيجيريا .. والكاميرون.. وغانا** ودول أفريقية أخرى افرزت بعض اللاعبين المتميزين جدا ومنهم على سبيل المثال **جورج وايا.. وابيدى بليه** من قبل وغيرهما.. وأنا أرجع ذلك اذا صح تقديرى إلى **عدم وجود نظام هادف للمسابقات المحلية.. واذا وجدت بالشكل الجيد سوف يختلف الحال لان اللاعب المصرى موهوب بالفطرة.**


بيليه

*كرة القدم فى العالم كله أصبحت من أنجح المشروعات الاستثمارية.. وأن اختلف الوضع من بلد لاخر.. وهذا يرجع إلى العقلية الادارية التى تتولى شئون اللعب بالاندية واتحاد كل دولة على حدة.. ولا شك أن اللاعبين الحاليين يلعبون من أجل الفلوس.. وأنه كلما ارتفع المستوى الفنى للاعب زادت ايراداته وهو أمر طبيعى.

لقد حرصت فى لقائى مع مجموعة الناشئين بملعب **النادى الأهلى** .. وهو التجمع الذى قام بتنظيمه الشركة صاحبه الدعوة.. واحدى الشركات الراعية لمونديال الناشئين.. أن أنقل لهم بشكل مبسط مشوار حياتى مع الكرة..**وطلبت منهم الالتزام بنصائح وتعليمات مدربيهم لانهم بكل تأكيد أكثر خبرة ومعرفة**..ويتعاملون معهم كما يتعاملون مع أبنائهم.

وركزت فى حديثى معهم على التحلى بالروح الرياضية والاخلاق الطيبة بالملعب وخارج الملعب.. ودعوتهم للمشاركة معى ومع كل المهتمين بكرة القدم فى العالم .. باللعب النظيف.



فن

تأملات حول فيلم المصير ليوسف شاهين (٢)



كيف طاش الحجر في« المصير» وهربت العصافير؟!

يطرح فيلم« المصير» تساؤلات جمالية عديدة، يتعلق بعضها بالشكل، والآخر بالمضمون ، غير أن هناك عنصراً يغيب فى الأغلب عن هذه التساؤلات، وهو «الموضوع» ففى العلاقة الجدلية والحية بين هذه العناصر الثلاثة:الموضوع والمضمون والشكل تكمن قيمة العمل الفنى وجوهر أصالته ، وليس هناك دليل واحد فى تاريخ الفن على أن واحداً من هذه العناصر يكفى لتحقيق إنجاز فنى حقيقى، فربما اتخذ العمل الفنى من «المسيح» -مثلا- موضوعا له ، أو كان المضمون فى عمل فنى آخر ينحو إلى ترديد أفكار إنسانية تقدمية نبيلة ، أو جاء الشكل فى عمل فنى ثالث شديد الابهار والتوهج، ومع ذلك فان أياً من هذه الأعمال الفنية قد يبقى مبتسراً مسطحا ،بعيدا عن التأثير الوجدانى والفكرى العميق فى وعى المتلقى ولا وعيه على السواء.

أحمد يوسف

وإن نظرة متأملة على فيلم «**المصير**» توحي بقدر غير قليل من فقدان هذا التأثير على المتفرج (المثقف أو العادي كليهما) ذلك أن **كلا من هذه العناصر الجمالية الثلاثة ظل في حالة انفصال وانقطاع عن العنصرين الآخرين**، وأنت في النهاية لا تملك إلا أن تعترف على نحو ما باعجابك -المشوب أحيانا بالقليل أو الكثير من التحفظ- بكل من هذه العناصر، فاذا كان الفيلم يتحدث في موضوعه عن **ابن رشد (أو يوسف شاهين متقمصاً ابن رشد)**، واذا كان الفيلم ينادي في مضمونه **بالتحذير من خطر التطرف والارهاب على حاضرنا ومستقبلنا**، واذا كان الفيلم يحقق في **شكله السينمائي نوعاً من الأسلوب الهوليودي المصقول الذي يبدو لنا أحيانا حلماً صعب المنال** (خاصة في ظل ظروف سينمائية متخلفة ومتهالكة، بالمعنى التقني للكلمة)، فانه لا عجب إذن أن يخرج البعض من تجربة مشاهدة الفيلم وقد **استولت عليهم حالة من الانبهار والنشوة** (ودعك من صدق هذا الانبهار والاعجاب عند من ينظرون إلى يوسف شاهين على أنه «**عبقرية لا تتكرر**»، أو من زيفها عند من يضعون أنفسهم على نحو ما داخل «مؤسسة» يوسف شاهين الفنية والإعلامية)، لكن لاعجب أيضا أن **تستولي الصدمة على البعض الآخر**، حين يبدو لهم الحصاد الحقيقي في الفيلم متواضعاً أو حتى هزيلا، على الرغم من تلك الترسانة الانتاجية والإعلانية الهائلة التي توفرت لفيلم «**المصير**».

بين هذا الانبهار المفرط، والصدمة العنيفة، تراوحت ردود الأفعال تجاه الفيلم، لكن يبقى أن الأغلب الأعم من الكتابات النقدية حول الفيلم جاءت -كما هو متوقع من صحافتنا الفنية في هذا المناخ المضطرب حيث يختلط الحابل بالنابل- وهي تنحو في مدحها أو هجائها للفيلم وقد غلبت عليها النزعة الانطباعية المتعجلة. واذا كنا لا نقلل من شأن هذا المنهج الانطباعي في بعض أنواع النقد (فقد يأتي أحيانا أكثر صدقاً من العديد من الكتابات المتخلفة التي تزعم لنفسها العمق)، فاننا أيضا نحتاج إلى التوقف أمام العناصر الجمالية في فيلم «المصير»، ليس فقط من أجل تقييم العمل السينمائي، وإنما لمحاولة إلقاء الضوء على «العملية الفنية والابداعية» كتجربة يحتاج الجيل الجديد من السينمائيين إلى إدراك بعض الجوانب الخفية فيها، لعلهم يتذكرون دائما ما نعيد التأكيد عليه بين حين وآخر، ذلك **أنه اذا كانت قامة يوسف شاهين الفنية تبدو في جانب سامقة شامخة، فان الاجيال الجديدة لابد لها أن تتجاوزه**، حين تتعلم من ايجابياته وسلبياته، بدلا من أن تعيش حالة الانبهار بما يتحدث عنه البعض على أنه «عبقرية يوسف شاهين»، فالمكان الحقيقي لهذه الأجيال ليس أبداً عند أقدام أو عتبات يوسف شاهين الفنية وإنما **المكان الحقيقي لها هو أن تقف على أكتافه**.. فهكذا تسير حقا حركة التاريخ في الاتجاه الصحيح.

تنويعات على الفيلم التاريخي

ولعل «التاريخ» هو السؤال الأول الذي ينبغي علينا أن نبحث له عن إجابة في فيلم «**المصير**» فمن حقنا أن نتساءل حول السبب الحقيقي في اختيار **يوسف شاهين** لشخصية **ابن رشد** وعصره مسرحاً لأحداث فيلمه، وبالطبع فإن الاجابة القريبة والمباشرة -والمنطقية أيضا- هي أن **يوسف شاهين** وجد في هذا السياق التاريخي ما يجعله قادراً على أن يتحدث عن حاضرنا المعاصر، أو حتى عن **يوسف شاهين** نفسه. وأنت لا تملك في النهاية إلا أن تقبل بهذا المنطق الفني لكن هذا لا يحرمك الحق في أن تناقش يوسف شاهين في عمق وأصالة فهمه للماضي والحاضر، وقدرته على التعبير عنهما أيضا من خلال العمل السينمائي.

وأرجو ألا يبدو ذلك نوعا من محاكمة الفن من خلال الحقائق التاريخية، على العكس فان الفن قادر بدوره على محاكمة التاريخ، بشرط أن يتمتع هذا الفن بالأصالة، عندئذ قد يستطيع الفنان أن يكشف لنا بحدسه الفني المتوهج ما قد تعجز عن كشفه عشرات المراجع التاريخية الموسوعية. وليسمح لي القارئ بأن نطوف معاً في بعض الأعمال السينمائية المختلفة في أشكالها ومضامينها، على الرغم من أنها تعتمد جميعا على حقائق تاريخية. (للأسف، فان مفهوم «الفيلم التاريخي» يأخذ عندنا أحيانا شكلا قاصراً ضيق الأفق، ولتنظر على سبيل المثال إلى الكثير من الجدل حول الفرق بين قيام يوسف شاهين بالتصوير في سوريا ولبنان بدلاً من أسبانيا، فالانجاز الفني لا يتحقق بمجرد التزام الفنان بالتصوير في المواقع الحقيقية، لكنه انجاز يتحقق فقط من خلال وعي جمالي وسياسي فائق بكل عناصر عمله الفني، وتفاعلها معاً لصياغة رؤية فنية قادرة بحق على النفاذ إلى جوهر الماضي والحاضر والمستقبل، أو قل باختصار قادرة على الامساك بجوهر الوجود الانساني والصراع الدائم من أجل تحقيق حياة أكثر جمالاً وعدلاً).



لكن المشكلة الحقيقية تأتي عندما يكون علينا أن نقدم تعريفاً واضحا لما نتعارف على أنه «الفيلم التاريخي»، فهنا سوف يطرح علينا فن السينما طيفا شديد الاتساع من التجارب الفنية التي تزيد الأمر صعوبة، فما الذي يجمع على سبيل المثال بين أفلام مثل «**كليوباترا**» لمانكفيتش، و«**صعود لويس الرابع عشر إلى السلطة**» لروسيلليني، و«**ساتيريكون**» لفيلليني، و«**أجويرا، غضب الرب**» لهيرتزوج، و«**غزو الفردوس**» لريدلي سكوت، و«**قائمة شندلر**» لسبيلبرج، أو بالأحرى ما الذي يفرق بينها؟!.

قد يبدو كل منها للوهلة الأولى وكأنه ينضوي تحت لواء نوعية واحدة هي «الفيلم التاريخي»، فأنت فيها جميعا أمام إمكانيات إنتاجية شديدة الابهار في قدرتها على إحياء فترة تاريخية بعينها، وكأنك تراها تحدث أمامك بكل تفاصيلها الدقيقة التي

تبدو على الشاشة بقدر هائل من الصدق، الذى يجعلك تصدق للحظة أنك تشاهد فيلماً تسجيليا عن تلك الفترة التاريخية التى اندثرت. هناك إذن مستوى من تحقيق الصدق التاريخى لا يستطيع الفنان أن يتجاهله ، ويمكن لك أن تعتبره القاعدة التى يقف عليها مثل هذا النوع من الأفلام ، فالمعطيات التاريخية الأولى تحمل قدراً لا يستهان به من المصداقية، وهى المصداقية التى يزيد من عمق تأثيرها الوعى الكامل باحكام الايحاء بتفاصيل الفترة التاريخية.

ومع ذلك ، وفى مقابل «**الصدق التاريخى**» ، فان هناك أيضا عنصر «**القصد الفنى**» هنا يصبح فيلم «**كليوباترا**» تنويعا هوليوديا فارغا -وإن يكن مبهرا- على قصة حب ميلودرامية تستغل التاريخ مسرحاً لها، بينما يأتى «**صعود لويس الرابع عشر إلى السلطة**» تفسيرا شديد الواقعية -بالمعنى الحرفى للكلمة- لآليات الصراع الطبقى والسياسى فى الماضى والحاضر على السواء، ويغوص «**ساتيريكون**» فى عالم تعبيرى شديد القتامة والتشاؤم ، لا يدور فقط حول أسباب وتجليات سقوط وانحدار الحضارة الرومانية ولكن الحضارة الغربية المعاصرة أيضا، مثلما يدور «**أجويرا**» الذى يحكى عن بحار مغامر يكرس حياته لاكتشاف أراض جديدة، فى عالم وجودى ذاتى مغلق يضع الانسان بكل ضعفه وقوته فى مواجهة قدر طاغ ، لكنه القدر الذى لا يستطيع أن يمنع الانسان من محاولة تحقيق طموحه المأساوى النبيل، وعلى الطرف الآخر يقف «**غزو الفردوس**» ليحكى عن شخصية مماثلة، هذه المرة هى **كريستوفر كولومبس** ، ولكن فى رومانسية قد تلقى بعض الضوء على الحضارة الغربية وهى تخرج من ظلمات العصور الوسطى إلى ضوء عصر النهضة، لكنها تتجاهل- بقدر من الدهاء والذكاء -كيف قامت «الحضارة» الغربية بابتلاع حضارات أخرى تحت ستار وشعار التقدم والنهضة العلمية ،وفى النهاية يتحول «**قائمة شندلر**» إلى بكائية شديدة الاصطناع عن عذابات اليهود فى زمن النازية بينما يكون الصهاينة فى لحظتنا الراهنة يحصدون فى كل يوم أرواح الأبرياء من أبناء شعب فلسطين!.

إن هذا **القصد الفنى** -الذى لابد أن يكون واعيا على المستوى الجمالى والسياسى-هو جوهر أى عملية فنية ابداعية (وأرجو ألا يختلط فى ذهن القارئ بما نسميه «المضمون»، فالقصد الفنى أكثر شمولا بحيث يتضمن اختيار الموضوع والبحث عن الشكل الملائم لتوصيل المضمون المقصود إلى المتلقى) . وهذا القصد الفنى هو الذى قد يحقق للفنان- اذا امتلك الوعى الناضج- حرية بلا حدود فى الخيال والابداع ،حتى على مستوى



«الفيلم التاريخى» ، فقد يصل به أيضا إلى مشارف «الفانتازيا» ، على النحو الذى رأيناه فى بعض أفلام مهرجان القاهرة السينمائى الأخير، متمثلا فى فيلم «**انجلترا بلدى**» لتونى بالمر، الذى يدور عن فنان سينمائى معاصر يصور فيلما عن حياة الموسيقى **هنرى بورسيل** الذى ينتمى إلى القرن السابع عشر، فهنا تتداخل الحياة والفن والحقيقة والوهم، واللحظة المعاصرة والتاريخ، فى جدل خلاق يلقى الضوء على أزمة انجلترا المعاصرة ،وهو الأمر ذاته الذى تحقق فى فيلم «**المرآة الخساوية**» أول أفلام المخرج الأمريكى **أبارى هيرشى** الذى يتخيل فيه أن هتلر قد اختفى عن الأنظار فى قبو مهجور، لا يحمل معه إلا ذكرياته وأوهامه، ليصبح الفيلم كله ليس فقط مراجعة للنازية ومفاهيمها العنصرية ، وإنما لحضارة رأسمالية تعانى مأزقا حقيقيا وأزمة طاحنة ، فخلقت-كما فى أسطورة فرانكشتاين-وحشا كان من الممكن أن يدمر كل شئ حتى «الحضارة» التى خلقته.

بين التاريخى والمعاصر

ليس هناك لدينا إذن مفاهيم جاهزة ، قاطعة مانعة، حول لجوء يوسف شاهين إلى «الفيلم التاريخى» بكل تنويعاته التى تتباين كأنها ألوان الطيف ، وإنما ما نبحث عنه هو الوعى بذلك «القصد الفنى» الذى يخلق اتساقا فنيا وفكريا بين الموضوع والشكل والمضمون. لقد قال البعض عند عرض فيلم «**المهاجر**» أن ليوسف شاهين الحرية الابداعية الكاملة فى أن يخلق شخصيات فنية خاصة به، حتى لو كانت مقتبسة أو مستوحاة عن شخصيات تنتمى إلى القصص الدينى، وهو الأمر الذى لا يمكننا انكاره ، بل كان من الممكن علينا قبوله على أنه رؤية ذاتية شديدة العمومية والتبسيط للحضارة المصرية القديمة(والتى يقول عنها أنها حضارة موت لا حياة، وأن جماهير البسطاء-الغوغاء! كانت تسير دائما مثل كتلة عمياء فى ركاب السلطة الدينية والسياسية) ، لولا أن يوسف شاهين اختار لفيلمه «**المهاجر**» أن يدور فى عصر **أخناتون** تحديداً، فهناك ليس أمامنا أن نطالب **يوسف شاهين** بالتدقيق فى إدراك طبيعة هذا العصر، الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بدلا من أن يجعل العصر مجرد «ديكور» زائف للفكرة الغائمة التى يدور حولها.(ناهيك عن تصوير يوسف شاهين لمشاهد فيلمه وسط الآثار المصرية القديمة كما تبدو اليوم بينما كان ينبغى عليه أن يراها كما كانت بكل ألوانها وبهائها فى العصر الذى اختاره مسرحاً لشخصياته).

إن شئت تلخيصا لجوهر التناقض عند **يوسف شاهين** فى أفلامه «التاريخية» -إن جاز لنا أن نسميها كذلك-فهو أن «**القصد الفنى**» **عنده ليس واعيا وعياً ناضجاً على المستوى الجمالى أو السياسى** فهو يريد- أو هكذا يقول- أنه يسعى إلى صنع أفلام ثورية فى شكلها ومضمونها ، بينما النزعة الهوليودية عنده تستولى على وجدانه وعقله، حتى أن أجزاء كاملة من فيلم «**المصير**» تتحول إلى **استطرادات طويلة تحاكى ابهار الافلام الهوليودية «شبه التاريخية»** (انظر على سبيل المثال رحلة الفرنسى الشاب يوسف إلى بلاده عبر الغابات والجبال الثلجية فى ابهار

فارغ يفتقر إلى البلاغة السينمائية، أو إلى مشهد قيام المغنى مروان بانقاذ الفتى عبد الله من براثن المتطرفين، ولكن على طريقة «ورو»!). بل إن رسم الشخصيات وعلاقاتها وصراعاتها وطريقة التعبير السينمائية عنها لا تخرج عن هذا الاطار الهوليودى أبداً. من جانب آخر، فان رحلة تحقيق «القصد الفنى» تبدأ دائما عند **يوسف شاهين** من أفكار عامة جاهزة، لتبحث هنا وهناك فى التاريخ أو الواقع عن شذرات متفرقة يضمها معا فى توفيقية أو تلفيقية واضحة ،حتى لو افتقدت صدق التاريخ أو الفن على السواء.

ونحن نفهم أن«المصير» يدور بشكل أو بآخر عن رؤية **يوسف شاهين للأزمة التى يعانيها مجتمعنا فى اللحظة الراهنة** (بل ربما أيضا- وهذا هو الأرجح- يدور عن بعض من الأزمة الذاتية عند يوسف شاهين نفسه)، لكننا لا نستطيع أن نتجاهل أيضا أنه يبحث عن تجسيد هذه الرؤية والأزمة من خلال ابن رشد وعصره ،وهنا لابد أن نتساءل إلى **أى مدى استطاع يوسف شاهين أن يسبر أغوار الرجل والعصر، وأن يحقق التفاعل الجدلى الخلاق بين التاريخى والمعاصر**؟(ولا تنس أن يوسف شاهين هو الذى اختار بنفسه التجسيد والتحديد التاريخى، ولم نفرضه نحن عليه، ولتقارن على سبيل المثال فانتازيا فيلم« **كتاب طوق الحمامة المفقود** » للمخرج التونسى **ناصر خمير**، الذى اختار تعبيرا تجريديا عن رؤيته للروح والعقلية فى نفس العصر الأندلسى دون أن يحشر شخصيات تاريخية بعينها، فأنت لا تستطيع أن تحاكم مثل هذا الفيلم من خلال الحقائق أو الوقائع التاريخية، لأن ذلك ليس القصد الفنى أو الوسيلة الفنية لديه).

مأزق الذاتية والانتقائية

إذن، لقد حدد يوسف شاهين القصد الفنى لديه فى رحلته الابداعية لصنع فيلم «المصير» من خلال منطلقات ثلاثة: **الأول: هو** أن يقدم فيلما يدور فى موضوعه عن ابن رشد وعصره. **والثانى** هو أن تكون تلك الفترة التاريخية تجسيداً فنيا للصراعات السياسية فى عصرنا الراهن. **والثالث** هو أن يتم تغليف ذلك الموضوع والمضمون على نحو هوليودى مصقول، فى شكل فنى يسعى إلى الابهار لكنه **يوسف شاهين** -وتلك هى المفارقة -يقول أيضا إنه يعبر عن ذاته وصراعاته بكل تفاصيلها التى لا يعرفها القطاع الأكبر من المتفرجين، وأكاد أقول أنها لا تهم أيضا هذا القطاع الأكبر من المتفرجين، إلا اذاوجدوا فى التجربة الذاتية للفنان عناصر مشتركة تجمع بينه وبينهم.

بكلمات أخرى، فان **يوسف شاهين** يعود من جديد فى«**المصير**» إلى جوهر الضعف الجمالى فى الأغلب الأعم من أفلامه وهو ميله إلى أن يصيب عشرات العصافير بحجر واحد(فى العادة يطيش الحجر وتهرب العصافير!)، مما يجعله **يقع فى مأزق الانتقائية أو التلفيقية التى تفقد عمله الفنى**



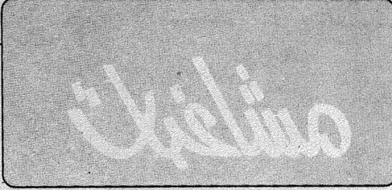
يوسف شاهين

قدراً مهما من الاتساق فى شكله ومضمونه، فهو يريد أن يجمع بين **ابهار مانكفيتش وواقعية روسيلليني ،وتعبيرية فيلليني، ووجودية هيرتزوج، وورمانسية سكوت، ولا مانع أيضا من بعض دعائية وديماجوجية سبيلبيرج، وأن يمزج ذلك كله بشذرات من هنا وهناك يحكى فيها عن نفسه!** (لكى نكون أكثر وضوحاً فان هذه الانتقائية يمكن لها أن تنجح على نحو أصيل اذا كانت متسقة مع موضوع ومضمون الفيلم، مثلما هو الحال مع فيلم يوسف شاهين«**اسكندرية كمان وكمان**»).

وهذه الانتقائية تتجلى بشكل صارخ فى فيلم«**المصير**» فى ظاهرة لا أعتقد أنها تتكرر كثيرا فى فن السينما، عندما ترى فيلما تبدو عناصره الفنية- كلا على حدةشديدة الإبهار والالتماع، ولتقارن مثلا تلك الكتابات النقدية العديدة التى تحدثت عن «**روعة التصوير» وجمال الموسيقى» و«إبهار المناظر الطبيعية**»، ولكن يبقى السؤال حول إذا ما كانت هذه العناصر الفنية قد انصهرت معاً فى بوتقة واحدة، تسعى إلى التأثير الوجدانى والفكرى الأصيل على المتفرج.

وإن ما يجعلنا نندهش حقا من تلك المفارقة، وربما كانت أيضا دهشة ممزوجة بالمرارة، هو أننا نؤمن فى قرارة أنفسنا بأن **يوسف شاهين فنان سينمائى يملك بحق القدرة على أن ينجز أفلاما تستطيع أن تصبح علامات فى تاريخ الفن السينمائى ،كما أنه صاحب رؤية تقدمية لا ننكر أننا نتفق معه فى الكثير من عناصرها**، لكن فلنكن أكثر صراحة مع أنفسنا ومع يوسف شاهين حين نقول **إن هذه القدرة «الحرفية» تفقد الكثير من تأثيرها بسبب الذاتية المفرطة عند يوسف شاهين**، تلك الذاتية التى قد تصبح هى جوهر وسبب وجود بعض أفلامه، لكنها تدمر بعض أفلامه الأخرى، وهى الذاتية التى تدفعه دفعاً إلى أن «يحشر» بعضا من همومه الخاصة فى سياق أفلامه حتى لو أتت بعيدة عن السياق(ونحن نؤكد مرة أخرى أننا لسنا ضد أن يعبر الفنان عن همومه، بشرط أن يجد المتفرج -على المستوى الحسى والوجدانى والفكرى-بعضا من ذاته فى العمل الفنى الذى يراه)، وهى أيضا الذاتية التى تسير بيوسف شاهين اليوم أكثر من أى وقت مضى فى طريق يجعل فيه من نفسه مؤسسة يدورفى فلكها بعض من التلاميذالصغارالمخلصين الذين يكررون الحكايات عن عبقريته، وبعض من أتباعه المتنفعين الذين قد يتفقون معه اليوم ويختلفون غدا حسب ما تقتضيه مصالحهم النفعية،بدلا من أن يستعين يوسف شاهين بمثقفين كبار يمكن له أن يفيد من إسهاماتهم الفنية أو الفكرية.وإن الدهشة المرورة تصل إلى اقصاها حين نرى أن **يوسف شاهين يجسد اليوم على نحو صارخ جانبا من أزمة الثقافة المصرية، تشهد فيها انجازات كبرى لمثقفين حقيقيين، لكن كلاً منهم يقف كالجزيرة المعزولة فى محيط مترامى الأطراف،بل هم أحيانا يدخلون فى معارك جانبية شرسة بين بعضهم البعض بدلاً من أن يبحثوا عن الأرض المشتركة التى تضمهم معاً!** ولتنظر إلى العديد من الكتابات التى هاجمت فيلم «المصير» -ومن قبله- «المهاجر» -فأنت لا تستطيع أن تخطئ أن الكثيرين من أصحاب هذه الكتابات ينطلقون -مثلما يقول يوسف شاهين عن نفسه- من مفاهيم ثورية وتقدمية، مما يجعلنا نسأل بالكثير من الحسرة:

ما هذا الذى يفعله يوسف شاهين بنفسه وبنا؟ ولماذا يهدر إمكاناته الفنية فى أفلام فيها الكثير من الإبهار والقليل من الأصالة ولماذا ينتهى «المصير» إلى أن يطيش الحجر، وتهرب العصافير؟!.





جمهورية مبارك وقوانين الصحافة!

لأن سوء الظن من حسن الفطن، فقد أثارت ريبتى تنبؤات المراسلين الأجانب فى القاهرة، بأن فصلاً جديداً من الصدام بين السلطة والصحافة على وشك الابتداء.. ومع أننى لم أجد فيما استندوا إليه من شواهد ما يدل على صحة استنتاجهم فاننى لم استبعده تماما، ليس لأننى حاصل على شهادة فى «حسن الفطن» ولكن لأن التجارب علمتنا ، أن الخواجات يعرفون بعض أخبار حكومتنا، قبل أن نعرفها نحن..!

والشواهد التى استنتج منها المراسلون الأجانب ما استنتجوه ، ليست خطيرة، لكنها تكثفت فى فترة زمنية قصيرة ، مما أعطى الانطباع بأن العدّ التنازلى للصدام بين الصحافة والسلطة قد بدأ، ومن بينها القرارات المتتالية التى أصدرها النائب العام بحظر النشر فى تحقيقات بلاغ القذف والسب، الذى قدمه وزير الداخلية ضد جريدة «الشعب»، ثم فى الحادث الارهابى الذى وقع أمام المتحف المصرى، ثم فى قضية الدعارة التى اتهم فيها بعض الفنانات، فضلا عن قيام النيابة العمومية باحياء المادة ١٩٩ من قانون العقوبات لتعطل بمقتضاها جريدة الشعب لمدة ثلاثة اعداد ، ثم حالة النشاط الصحفى المفاجئة، التى تلبست النائب العام، وانتهت باحالة ستة من محررى جريدة الشعب إلى محكمة الجنايات بتهمة القذف فى حق وزير الداخلية، واحالة أربعة من محررى جريدة الأحرار، إلى محكمة الجنايات ، بتهمة القذف فى حق «محمد فهيم ريان» رئيس مجلس ادارة شركة مصر للطيران، واحالة اثنين من محررى «روزاليوسف» إلى محكمة الجنايات كذلك، لاسباب مشابهة!.

فاذا أضفنا إلى ذلك كله، محاكمة ستة من محررى جريدة«الشرق الأوسط» بتهمة القذف فى حق الاخوين علاء، وجمال مبارك، وتصريحات رئيس مجلس الشورى بشأن إحكام الرقابة القانونية على الصحف التى صدرت مؤخراً، والتى تطبع وتحرر فى مصر، سواء بتراخيص مصرية ، أو بترخيصات من الخارج، بحيث تطبق نصوص القانون التى تقضى بأن يكون لكل صحيفة هيكل تحريرى واداري وميزانية ومصادر تمويل معروفة.. وقرار مجلس نقابة الصحفيين بتطبيق قانون النقابة ضد كل من يعمل بالصحافة من غير أعضاء النقابة، وتحريكه الدعوة الجنائية ضده، وابلاغ النائب العام ضد كل من ينتحل صفة صحفى..

كان منطقيا أن تثير هذه الوقائع جميعها الشك فى أن العدّ التنازلى للصدام بين السلطة والصحافة، قد بدأ ،ليس فقط بسبب كثرتها ، ولكن -كذلك- بسبب تتاليها بإيقاع سريع ،وفى فترة زمنية محدودة.

والحقيقة أن كثيراً من هذه الوقائع مما يمكن فهمه فى سياقه الطبيعى ،بصرف النظر عن درجة الرضا به، فصدور قرارات بحظر النشر فى بعض القضايا، ليس مؤشرا لوجود أزمة، وصدور تصريحات تندد وتهدد بالدخلاء الذين يسيئون إلى الصحافة، ليس أمراً خاليا من المبررات الحقيقية بصرف النظر عن صواب الاجراءات التى اتخذت لصد هؤلاء الدخلاء..

أما الذى بدا جديدا ، وأثار الشكوك فهو وقوف الصحفيين أمام محاكم الجنايات ،فقد جرت تقاليد جمهورية عبد الناصر على محاسبة الصحفيين على ما يقع منهم بالمنع من الكتابة، وجرت تقاليد جمهورية السادات على محاسبتهم باغلاق الصحف المعارضة، أما تقاليد جمهورية مبارك، فقد جرت -كسابقاتها- على عدم تحريك الدعوى العمومية فى قضايا النشر، وتركت المتضرر يلجأ إلى رفع الدعوى المدنية، ضد الصحف!

وهكذا ساد الاعتقاد حتى بين الصحفيين انفسهم، بأن القوانين التى تعاقب على جرائم النشر فى مصر، تصدر لتوضع فى الثلاجة، وبأن الصحفيين لا يحاسبون على ما يكتبون، فكان طبيعيا أن يثير تقديم اثنى عشر صحفيا إلى محكمة الجنايات كل هذا القلق، وأن يوحى بأنه البداية لصدام قادم بين السلطة والصحافة!.

ولامفر من الاقرار بأن الأمر يدعو للقلق بالفعل ، لأن الجميع كانوا لا يأخذون النصوص القانونية التى تقضى بحبس الصحفيين، مأخذ الجد، ويتعاملون معها بإستهانة، ويعتبرونها مجرد خيال مآتة، أو فزاعة تصدر للتخويف لا للتطبيق، ولولا أن النيابة العامة، فى اعقاب صدور القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ ، شرعت فى التحقيق فى بلاغات عديدة بجرائم نشر، حركتها شهوة الثأر من الصحفيين، لما أخذوا القانون ٩٣ مأخذ الجد،ولما اشتعلت مقاومتهم حتى أسقطوه.

ولا أحد بين الصحفيين والمهتمين بحرية الصحافة، يطالب باستثناء الصحفيين من تطبيق القانون، ولكن الواقع يقول، أن العقوبات على جرائم النشر والصحافة فى بلادنا-حتى بعد الغاء القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥- تحفل بتشكيله من الجرائم، لاتبدأ بسب واهانة احدى الهيئات النظامية ، ولا تنتهى بإهانة سفير دولة أجنبية، وتحفل بتشكيله من العقوبات لا تبدأ بحبس الصحفيين ولا تنتهى بمصادرة الصحف، ولم يكن أحد يقلق منها، لانها لم تكن تطبق، فاذا كان فى النية ،تغيير السياسة ، وتطبيق القانون ، فلابد أولا من تغييره، لكى يكون قانونا ديمقراطيا.. وإلاّ فلا مفر من سوء الظن، الذى هو من حسن الفطن!.

صلاح عيسى



كولاج وتصوير - مرحلة التقاطعات



نحت برونزي لفيرميرش